السنة التاسعة / يناير ٢٠١٨ / العدد: ١٧

النور

للدراسات الحضارية والفكرية

الفقه والدراسات القرآنية

- المبادئ التربوية في كتاب منهاج المتعلم للإمام الغزالي
- منهجُ النُورسيّ في التّمَذْهُب بين اللّامَذْهبيّةِ والتّعصُّب
- فقه الأولويات عند النورسي أولويات الإصلاح الديني والاجتماعي نموذجاً
- السنن الإلهية وآثارها الإيجابية في بناء عالم أفضل دراسة في فكر النورسي

al-Nur

Academic Studies on Thought and Civilization

An Academic Biannual Journal (January-July)
Published by the Istanbul Foundation for Science and Culture
Year 9, Number 17 (January 2018)
ISSN 1309 4424 (En-Nur)

Addresses for Subscriptions and all Communications

Istanbul Ilim ve Kultur Vakfi,
Kalendarhane Mahallesi, Delikanli Sk. No: 6
Vefa 34134 Fatih, ISTANBUL – TURKEY
Tel : +90 212 527 81 81 (pbx)
Fax: +90 212 527 80 80
info@nurmajalla.com

Abdulkerim Baybara: kerimbaybara@gmail.com
Sozler Publications,
30 Gafar al-Sadiq Street, al-Hayy al-Sabi',
Nasr City, Cairo, Egypt.
Tel. / Fax: +20 2 22 602 938

www.nurmajalla.com

للدراسات الحضارية والفكرية

تصدر عن مؤسسة إسطنبول للثقافة والعلوم
THE ISTANBUL FOUNDATION FOR SCIENCE AND CULTURE

صاحب الامتياز والمدير المسؤول: كنعان دميرطاش kenandemirtas@gmail.com

رئيس التحرير: أ.د. عمار جيدل editor@nurmajalla.com

المشرف العام: إحسان قاسم الصالحي ihsankasim@gmail.com

هيئة التحرير

أ.د. ثروت أرماغان؛ أ.د. محمد خليل جيجَك؛
د. سعاد الناصر؛ د. محمد جنيد شِمشَك

اللجنة الاستشارية

أ.د. حسن الأمراني؛ أ.د. سليمان عشراتي؛ أ.د. عبد العزيز برغوث؛ أ.د. عبد العزيز خطيب؛
أ.د. عبد الكريم عكيوي؛ أ.د. عبد المجيد النجار؛ أ.د. عماد الدين خليل؛ أ.د. محسن عبد الحميد؛
أ. د. محمد عبد النبي؛ د. بوكاري كيندو؛ د. سمير بو دينار؛ د. محمد كنان ميغا.

الإخراج الفني

سعيد طاقطاق، حسن الحفيظي

رقم الإيداع الدولي

ISSN: 1309 – 4424 (En-Nur)

الطباعة

العدد: ١٧/ يناير ٢٠١٨

İmak Ofset Basım Yayın Ticaret ve Sanayi Ltd. Şti.
Atatürk Caddesi Göl Sok. No: 1. Yenibosna/Bahçelievler–İstanbul
Tel: +90 (212) 656 49 97

المركز الرئيسي

Kalendarhane Mahallesi, Delikanli Sk. No: 6
Vefa 34134 Fatih, ISTANBUL – TURKEY
Tel: +90 212 527 81 81 (pbx)
Fax: +90 212 527 80 80
info@nurmajalla.com
www.nurmajalla.com
www.iikv.org

١- التعريف بالمجلة:

مجلة علمية أكاديمية محكّمة نصف سنوية (يناير- يوليو)، تصدر عن مؤسسة إسطنبول للثقافة والعلوم.

تُعَد مجلة ''النور للدراسات'' مجلة الباحث والمفكر المجدد فضلا عن من يتمرّس بالبحث من شباب هذه الأمة، وهي منبر علمي أكاديمي مفتوح أمام كلّ المفكرين والباحثين الجادين.

تعمل المجلة على توجيه النظر إلى الجمع بين أصالة الأمة ممثلة في أستاذها الأول ''مصادر الإسلام'' (القرآن الكريم والسنّة المطهّرة) وثقافة العصر فيما لا تتعارض وحقيقة ثقافة الأمة وأصالتها، كما تعمل على الإفادة منها في التأسيس لبعث معرفي وحضاري، إنساني البعد إسلامي الروح، يسعى إلى فحص المتداول في الدرس الاجتماعي والإنساني بقصد تمحيصه والتأسيس للبديل المنبثق عن التصور التوحيدي للعالم والحياة والإنسان، وتَعَهُّد هذا الكسب (العلم المنجز) بالمراجعة والاستدراك المستمر، وتدريب المثقف الرسالي على التوقّف المنهجي والمعرفي عند ''الكونية'' التي يراد من خلالها تمرير مشاريع التحكّم في المعرفة ومن ثمَّ الهيمنة على مؤسسات صناعة الوعي في برامجها ومناهجها، والحيلولة الموضوعية دون ضياع سائر موارد القرار في مختلف مجالات الحياة.

٢- تتناول المجلة وفق الخط العام المشار إليه أعلاه:

قضايا المنهجية الإسلامية الجامعة بين مخاطبة العقل والقلب في ذات لحظة التذكير، حتى يغدو الفصل بينهما في عداد المحال المنهجي والمعرفي على السواء.

قضايا المعرفة من حيث خلفيتها النظرية، ومصادرها ونظمها وفلسفتها وإنتاجها.

العودة بالأمة إلى أستاذها الأول ''القرآن الكريم''، مبعث نهضتها، ومؤسس فعاليتها في شعاب الحياة المعرفية.

الحث على البحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية في إطار النظرة الإسلامية وفي كنف تكاملها مع سائر علوم الشريعة، بقصد بعث الفعالية الحضارية المنشودة.

دراسة وفحص ثم تمحيص مناهج التعامل مع الخبرة المعرفية الإسلامية (التراث) والإنسانية في مختلف مجالات التدين (العقيدة، والشريعة، والأخلاق) بالإسلام.

الإفادة من مشاريع النهضة والإصلاح في العالم الإسلامي، ولاسيما مشروع بديع الزمان النورسي المبيّن في رسائله الموسومة بـ ''رسائل النور''، سعيا منا إلى الاستفادة من هذه التجربة وغيرها من خبرتنا في مجال النهضة والتغيير، بغرض المساهمة في فهم الحاضر والتخطيط الجيّد للمستقبل.[1]

---

[1] ما تنشره المجلة يعبّر عن رأي صاحبه، وليس رأي المجلة ضرورة.

المحتويات

- كلمة العدد السادس عشر..... أ.د. عمار جيدل: ٣

الدراسات والبحوث [1]

- رسائل النورسي في السجن... القيم التربوية والجمالية
دراسة في تحليل الخطاب .....د. هاني إسماعيل محمد: ٩
- المبادئ التربوية في كتاب منهاج المتعلم للإمام الغزالي ..... د. عارف أسعد جمعة: ٣١

ملف العدد : الفقه والدراسات القرآنية

- منهجُ الأستاذ بديع الزَّمان سعيدٍ النُورسيّ في التّمَذْهُب بين اللاّمَذْهبيّةِ والتَّعصُّب
(دراسة أصولية مقاصدية)..... أ.م.د. حسن خالد مصطفى محمود المفتي: ٥٣
- فقه الأولويات عند بديع الزمان سعيد النورسي أولويات الإصلاح الديني والاجتماعي
نموذجاً دراسة تحليلية موضوعية لرسائل النور ..... الباحث: آراس حمه أمين عثمان: ١٠٧
- السنن الإلهية وآثارها الإيجابية في بناء عالم أفضل دراسة في فكر
الإمام بديع الزمان النورسي .....د. رشيد كُهُوس: ١٣٧
- كليات التفسير الإشاري عند النورسي: الأسس والمقاصد ..... د. إدريس التركاوي: ١٤٩

الإصدارات و المؤتمرات

الإصدارات والنشاطات العلمية: ١٧٥
المؤتمرات والحلقات الدراسية: ١٨٣
معلومات عن النشر في المجلة: ١٩٢
- Contents: ١٩٣

[1] ترتيب الدراسات والبحوث يخضع لاعتبارات فنية صرف.

كلمة العدد السابع عشر

أ.د. عمار جيدل

اجتمع لمجلة النور للدراسات الحضارية والفكرية الانتشار والاشتهار في الأوساط العلمية الأكاديمية النزيهة، ولا يدعي القائمون عليها أنّهم أصحاب الفضل في هذا القبول، بل يرجع الأمر بعد الله الحنّان المنّان إلى الأساتذة الباحثين الذين يسّر لهم الله فضل الاستعمال في ميدان البحث المميّز؛ فاستعملهم الله في نفع القرّاء عموما والمهتمين بالدراسة الفكرية الجادة والنوعية، وفضلا عن ذلك لا ندّعي السبق في الاهتمام بالدراسات العلمية بأفق حضاري ينشد خدمة حاضر الأمة والإنسانية بوصل أجيالنا بأصول دينهم الباعثة على التحضّر واستشراف الفعالية النافعة في شعاب الحياة، بل نعدّ هذا الجهد مرابطة دون الأمة في تحقيق رشدها، واستعادة العناية بالبحث العلمي الصحيح النافع وفق الشروط العلمية الأكاديمية المضبوطة، استئنافا لجهود السابقين وتكاملا مع جهود المعاصرين، فكانت هذه الميزات سببا في إقبال الباحثين على المجلة راغبين في النشر والاقتناء أو التعليق والاستفهام، وبهذا الصدد نعتذر للباحثين الذين أرسلوا بحوثا بقصد النشر، لأنّ العدد الوفير الذي يصلنا من البحوث لا تستوعبه مجلة بهذا الحجم (١٩٦صفحة)، لهذا نَعِدُ الباحثين بنشر بحوثهم التي أجازها المحكّمون في القابل.

تضمّن العدد الذي بين أيديكم الدراسات والملف، فأدرجنا في الدراسات بحثين، الأول للباحث الدكتور هاني إسماعيل محمد بعنوان: ''رسائل النورسي في السجن... القيم التربوية والجمالية دراسة في تحليل الخطاب''، خلص كاتبه إلى أنّ النورسي رجل في أمّة، استعمله الله في خدمتها، ركّز جهوده على إنقاذ إيمانها -أساس وجودها وباعث مستقبلها- في ظل واقع مُحبط تعيس، والأستاذ النورسي من الزاوية المشار إليها مدرسة بحاجة إلى اكتشاف وتجديد وإحياء، وذلك بالتعرّف على رسائل النور خدمة للإيمان والقرآن، وتكمن أهميتها في كونها رسائل في تذوّق الجمال والقول البليغ واستجلابهما، فخطابها يسمو بالفكر، ويرتقى بالمشاعر نحو الصفاء الروحي، لأنّها رسائل من أروع الرسائل الأدبية المعبرة عن النفس تعبيرًا صادقًا، والمصورة للحياة تصويرًا حقيقيًا، فجاءت رائقة المعنى رائعة المبنى، هذا أهم ما انتهى إليه الباحث. أما البحث الثاني فوسمه صاحبه الدكتور عارف أسعد جمعة بعنوان: ''المبادئ التربوية في كتاب منهاج المتعلم للإمام الغزالي'' انتهى فيه إلى سَبْق أبي حامد الغزالي رحمه الله تعالى بالتأسيس للمبادئ التي ينادي بها الغرب في التربية

والتعليم، إذ أقام مسلكه على منهج علمي رصين استنبط مبادئه التربوية من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وينتظر من الأمة استئناف جهود سلفها من العلماء الربانيين في هذا المجال.

اخترنا ''الفقه والدراسات القرآنية'' عنوانا لملف العدد، وقد تضمن جملة من المقالات النوعية، كان الاستهلال ببحث الدكتور حسن خالد مصطفى محمود المفتي :'' منهجُ الأستاذ بديع الزَّمان سعيدٍ النُورسيّ في التّمَذْهُب بين اللاّمَذْهبَةِ والتَّعصُّب'' وهو دراسة أصولية مقاصدية ، وبعد عرض علمي مفصل لمكونّات البحث، خَلُص الباحث إلى جملة من النتائج والتوصيات، فأكّد فيها أنّ اللامذهبية والتعصُّب المذهبي وجهان لعملة رديئة واحدة، وأنّ الأئمة المجتهدين لم يتعصّبوا لمذهب فقهي على حساب مذهب آخر، وصلى بعضهم خلف بعض، إذ التمذهب غير التعصب، وفضلا عن ذلك فإنّ اختلاف علماء الأمة ومجتهدي الإسلام في الفروع الفقهية رحمة بالأمة واختلاف الفرق في الأصول زحمة ينبغي تجنبها، لهذا فإنّ قاعدة ''إذا صح الحديث فهو مذهبي''، لا تدل بأي وجه على نفي المذهب الفقهي، وكلّ ما سبق تقريره انتهى منها المصنّف إلى أن النورسي راعى التمذهب ونبذ طرفي الإفراط والتفريط فيه، كما أنّه لا يحبّذ تتبع رخص المذاهب ولا التلفيق بين آراء الفقهاء والمجتهدين، إذ هو من موجبات الفسق عند الجمهور، وكان النورسي -بحسب رأي الباحث- مائلا في الغالب -من الناحية الشخصية- إلى الأخذ بالعزيمة ولا يلتفت إلى الرخصة الشرعية إلا عند الضرورة، مؤكّدا في الوقت نفسه أنّ العناية الكبرى يجب أن تكون بالقرآن الكريم والسنّة المطهّرة، وأوصى الباحث في الأخير بضرورة قراءة كليات رسائل النور قراءة كلية متأنية، والعناية بالتمذهب لأنّه من المسالك التي تلقتها الأمة بالقبول لعمليتها وواقعيتها مع التخفيف من التعصّب، ولو سار الناس في التديّن وفق مسالك الفقهاء لاستفادوا تسليكا وتربية وتعليما.

وفي السياق نفسه كتب الباحث: آراس حمه أمين عثمان دراسته المسومة بـ ''فقه الأولويات عند بديع الزمان سعيد النورسي أولويات الإصلاح الديني والاجتماعي نموذجاً دراسة تحليلية موضوعية لرسائل النور'' وهي دراسة مستطابة؛ ختمها بالتأكيد على أنّ الجهاد أوسع من أن يقصر على الدلالة المشهورة، بل إنّ نشر حقائق الإيمان وترسيخ قواعد الإسلام، والسعي نحو التطوّر العلمي وتطبيقاته، جهاد لا يقلّ أهمية عنه، إن لم يكن أهمّ منه، وأكّد الباحث بهذا الصدد أن الجهاد في سبيل الله ليس عدائياً أو استبدادياً ظالماً، بل قصده بالدرجة الأولى إعلاء كلمة الله، وحفظ حرية العالم الإسلامي، وتعميق روابط الأخوة الإيمانية بين المسلمين.

ثم عرضنا دراستين قرآنيتين بامتياز، استهلتا ببحث ''السنن الإلهية وآثارها الإيجابية في بناء عالم أفضل دراسة في فكر الإمام بديع الزمان النورسي'' للباحث الدكتور رشيد كُهُوس، ختم بحثه بجملة من النتائج افتتحها بالتأكيد على أن للنورسي حضورًا نوعيًا قويًا في العناية بمقاصد القرآن الكريم، تجلى في منهجيته المستقلّة في اكتشاف مقاصد السور القرآنية وآياته، وهذا البُعد المقاصدي للقرآن في رؤية النورسي، يعدُّ خطوةً بنّاءة في تأسيس المدرسة المقاصدية التي لها أثرٌ عظيم في بناء الحضارة والعُمران، وبيّن أنّ: التوحيد، والنبوة، والحشر، والعدالة، هي المقاصد الرئيسة القرآن، وقد نوّع مسالك الاستنباط (الاستنباط بدلالة الإشارة، ودلالة النص، ودلالة المفهوم، وتنقيح المناط، وتحقيق المناط، والقياس الأولوي، والاستقراء...)، وفصّل القول في المقاصد المشار إليها بنظر وظيفي، وعدّ الباحث الرؤية المقاصدية عند النورسي حلقة ربط بين تجليات كتاب الله المسطور (القرآن)، والظواهر العلمية كتاب الله المنظور (الكون). وعرض أخيرا مجموعة من التوصيات ملخّصها التأكيد على العناية بدراسة مقاصد القرآن في رسائل النور والمساهمة في نشرها.

أنهينا ملف العدد ببحث الدكتور إدريس التركاوي والمعنون بـ ''كليات التفسير الإشاري عند النورسي: الأسس والمقاصد''، وبعد توقّف عند جملة مصطلحات بحثه وعرضها بما يخدم رؤيته، انتهى إلى أنّ أهم فكرة سيطرت على وجدان النورسي وهو يرسي دعائم فريدته (كليات رسائل النور) هي تنزيل القوانين الكلية القرآنية والكونية على ما لا يحد من الحوادث والنوازل الإنسانية المعاصرة لحياة المتدبر واستثمارها في معالجة إشكاليات العلوم؛ ولأجل العناية بجانب تطبيقي مما سلفت الإشارة إليه اختار الباحث دراسة التفسير الإشاري عند النورسي موضوعا لدراسة؛ وقرر المصنف أنّ هذا بحاجة إلى جملة علوم منها اللغة والأصول والمقاصد والمنطق... دعما لنظرية التفسير الإشاري. وقد كانت الكليات أقرب أنموذج منهجي لفكّ الإشكالات ودمج اللطائف والأذواق بالمساطر والقواعد، هكذا تأسست نظرية التفسير الإشاري في رسائل النور، خُتِم البحث بمقترحات نجملها فيما يأتي: الدعوة لتوسيع الاهتمام بالتفسير الإشاري من خلال العناية بأساطين التفسير في عصرنا، ثمّ نبّه إلى أهمية دراسة التصوف ومقاصد الجمال التعبدي في رسائل النور؛ دراستها من جهة صلتها بمختلف الأبعاد الوظيفية المتجلية في العمران والحضارة.

وانتهينا في هذا العدد إلى التعريف بأهم الاصدارات التي واكبت صدور هذا العدد، فعّرفنا بالجزء الثالث من اللؤلؤ والمرجان للدكتور مأمون جرار، تلاها عرض النشاطات العلمية خلال الفترة نفسها، فنقلنا للقرّاء الكرام فكرة تهذيب رسائل النور

لبديع الزمان سعيد النورسي وكيف عالجها الأستاذ العلاّمة محسن عبد الحميد، كما قدّمنا تقريرين عن نشاطات علمية أكاديمية عقدت في السداسي الثاني من السنة الحالية (٢٠١٧)، أوّلهما عن المؤتمر الدولي الحادي عشر لبديع الزمان سعيد النورسى، والثانى عن الندوة الدولية الثامنة للأكاديميين الشباب، وزيارة جامعات غجرات-مومباي، الهند.

وأخيرا هذه مقالاتكم عادت إليكم، آملين حضوركم القوي النوعي في قابل الأيام، كما نسجّل تأكيدنا على أنّ الإقبال على المجلة أصبح فوق طاقات استيعابها، لهذا تعتذر إدارة التحرير عن تأخّر نشر الدراسات، وتعدُ بنشر كلّ البحوث التي أجازتها الهيئة العلمية في أقرب وقت ممكن.

* * *

الدراسات والبحوث

رسائل النورسي في السجن... القيم التربوية والجمالية
دراسة في تحليل الخطاب

Nursi's Prison Writings: Their Educative and Ameliorative Value: A Study on the Analysis of Discourse

ABSTRACT

Dr. Hani Isma'il Muhammad

There are many studies on discourse analysis, and they almost all agree that the main purpose of utilizing its tools is to know the ideas and denotations behind the discourse, and looking at Nursi's messages in prison, we find that they are very important. The importance of the messages of Nursi is not only in the educational and aesthetic values, but they were published in dire straits, which make them stand for a true artistical experience and a true objective reality. Therefore, the research is to understand deeply and analyze the discourse of this experience so that its educational and aesthetic values can be discovered.

* * *

الملخص

د. هاني إسماعيل محمد[1]

تتنوع الدراسات التي تهتم بتحليل الخطاب وفك شفراته، وتكاد تجمع على أن الهدف الرئيسي من توظيف أدواته هي التعرف على ما وراءه من أفكار ودلالات، وبالنظر إلى رسائل النورسي في السجن وجدنا أنّ لها أهمية بالغة، حيث صدرت في وقت محنة وابتلاء، مما جعلها معبّرة عن تجربة صادقة فنيا، وواقعية موضوعا، ومن ثم يسعى البحث إلى قراءة هذه التجربة وتحليل خطابها، والكشف عن القيم التربوية والجمالية لهذا الخطاب.

* * *

المقدمة

تتنوع الدراسات التي تهتم بتحليل الخطاب وفك شفراته، وتكاد تجمع على أن الهدف الرئيسي من توظيف أدواته هي التعرف على ما وراءه من أفكار ودلالات، فتحليل الخطاب يسعى إلى محاولة التعرف على الرسائل المتضمنة في الخطاب التي

يستقبلها المتلقي، من خلال وضعها في سياقاتها التاريخية والاجتماعية، فالخطاب "ظاهرة معرفية اجتماعية مركبة"[2] لا تتوقف عند الوظائف اللغوية فحسب.

وهذا يفرض وضع المتلقي وآليات التلقي في الاعتبار، ذلك أنّ الخطاب عند مايكل شورت "اتصال لغوي، يعتبر صفقة بين المتكلم والمستمع، نشاطا متبادلا بنيهما، وتتوقف صيغته على غرضه الاجتماعي"[3] ومن ثم فإن عناصر تحليل الخطاب تتكون من: المؤلف + الخطاب + المتلقي

لا يمكن إهمال أي عنصر منها، ورسائل النورسي في السجن لها أهمية كبيرة من جهة تحليل الخطاب؛ فهي صدرت في وقت محنة وابتلاء، مما جعلها كاشفة بصدق عن جوهره ومعدنه، ففي وقت المحن تظهر معادن الرجال.

وتحمل بين طياتها فيضا من القيم الجمالية والتربوية التي تجعلها نابضة بالحياة، معبرة عن الواقع وإشكالياته، يستلهم منها شباب الأمة روح الثبات والصمود المشبعة بالأمل والتفاؤل، فيعملون بكل جد ونشاط لإحياء الأمة والأخذ بيدها إلى نور الإيمان.

جاءت هذه الدراسة في تمهيد ومبحثين، بالإضافة إلى خاتمة شملت أهم التوصيات والنتائج على النحو التالي:

تمهيد: الرسائل ومبدعها

المبحث الأول: القيم التربوية للرسائل

المبحث الثاني: القيم الجمالية للرسائل

خاتمة بأهم النتائج والتوصيات

التمهيد: الرسائل ومبدعها:

تمثل رسائل النور حالة استثنائية في تركيا والعالم الإسلامي، فقد صدرت في وقت عصيب على الأمة الإسلامية، إذ كانت تجتاح الأمة عاصفة التغريب وما تحمله من سعي دءوب لطمس الهوية ترغيبا وترهيبا، إبان سقوط الخلافة العثمانية، فكانت رسائل النور بمثابة شمعة في الظلمات التي تراكمت على الأمة الإسلامية بسبب الاحتلال ووكلائه في الوطن.

فانهالت على الأمة الإسلامية كتابات المستغربين من أبناء جلدتها، تلك الكتابات المليئة بالانتقاص من الحضارة الإسلامية عقيدة وفكرًا وتراثًا وقيمًا، كما انهالت علينا دعوات المستغربين الصريحة لاقتفاء أثر الغرب في سلوكه وأخلاقه ومنهجه، واتخذوا

من التطور المادي ستارًا لدعواتهم المناقضة لتقاليد الأمة وقيمها، وكأن العلم والتطور المادي لا يُدرَك إلا بفساد الأخلاق والتخلي عن فضائلها، والتمسك برذائلها.

هذا التلبيس لم يكن عبثًا أو جهلًا، بل كان -في معظم الأحيان- يصدر عن قصد وعلم، مدعومًا بالإرهاب الرسمي للحكومات التي سامت الأمة الإسلامية أصناف العذاب وألوان القمع من أجل نشر النمط الغربي في المأكل والملبس والمشرب.

لذا كان صدور رسائل النور في هذه الظروف حالة استثنائية تتعطش الأمة إليها حماية هويتها وكيانها من المسخ والطمس.

لقد نجح الغرب في طمس أمم من قبل مثل: الهنود الحمر في أمريكا، والسكان الأصليين لأستراليا، فكان يعمل -ولا يزال- على أن يجعل من الأمة الإسلامية فلكلورًا في متحف الفنون التاريخية.

ولكن كانت رسائل النور وصاحبها حائط صدٍ لتلك الرعونات الفكرية والمعنوية، فكانت رسائل النور أمصالا طعّمت بها الأمة ضد هذه الأمراض الجديدة، فقد قيّض الله تعالى النورسي لهذه الأمة في جميع الأمصار الإسلامية، فظلت الحميّة الإسلامية متأصّلة وقّادة متوهجة، قد تخبو ولكنها لم -ولن- تنطفئ بإذن الله.

هذا الانطباع الأول الذي يسري إلى القارئ عندما يطالع سيرة بديع الزمان النورسي، فهو رجل استثنائي جاء في ظروف استثنائية وكتب رسائل استثنائية.

تلك هي الظروف الاستثنائية التي ظهر فيها هذا الرجل الاستثنائي، فمن هو هذا الرجل؟ هو سعيد النورسي بديع الزمان (١٨٧٧-١٩٦٠) الذي سلك من نعومة أظفاره درب العمل للإسلام، وهُدي بفطرته النقية منذ صباه إلى سبيل الحق، فعمل بما عرَف، فقد رفضت نفسه الأبية أن يعيش حياة رغيدة فانية وإن طالت ألف ألف سنة، واختار أن يعيش حياة باقية وإن كانت في مشقة وكبد، فالخلود الحقيقي هو في الدار الآخرة، والسعادة الأبدية في جنات النعيم، والدنيا وإن طالت فهي قصيرة، فقد أدرك النورسي هذه الحقيقة الإيمانية بعد أن خيّر نفسه أي الأمرين تفضلين؟ فرغبت في خيار النعيم الأبدي وزهدت في الدنيا الفانية،[4] ومن ثمّ قاده هذا الاختيار إلى إدراك كنه الإيمان بالآخرة، وجوهر السعادة الأبدية، كما أدرك من خلالها مفهوم اللذة التي ضاع في متاهات البحث عنها فلاسفة ومفكرون على مر العصور، بينما ثبّت الله تعالى الأستاذ على هذا المنهج الرباني، وتلخص كلماته هذا المفهوم العقدي، قال:

"فكم يكون الإيمان بالآخرة إذًا كنزًا عظيمًا كافيًا ووافيًا لهذا الإنسان الوثيق الصلة بهذه الرغبات والآمال التي لا تنتهي، وهو لا يملك سوى جزء من الاختيار الجزئي،

ويتقلب في الفقر المطلق! وكم يكون هذا الإيمان محورًا للسعادة المطلوبة واللذة المبتغاة! وكم يكون مرجعًا ومدار استمداد وسلوة له تجاه هموم الدنيا غير المحصورة؟ فلو ضحى هذا الإنسان بكل حياته الدنيا في سبيل الفوز بهذه الثمرات والفوائد لكانت إذن زهيدة''.[5]

ويرجع النورسي تفضيل الإنسان للذة العاجلة مع ما فيها من عواقب وخيمة على اللذة الآخرة مع يقينه بها؛ إلى طغيان المادية على عقل الإنسان وفكره والتعامي عن رؤية العاقبة مما يترتب عليه ترجيح مقدار درهم من اللذة الماثلة على قنطار من اللذات الآتية، والسبيل الوحيد لإنقاذ الناس من هذا السفه هو إظهار الألم المبرح في تلك الملذات عينها والغالبة على حسهم، ويستشهد بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾. إبراهيم:٣

وما كان للنورسي أن يصل إلى هذا الفهم العميق لولا ما حباه الله به من فطرة نقية، وأسرة تقية، فالمصادر تذكر أن اسم والده ميرزا ولشدة ورعه وتقواه لقب بالصوفي ميرزا،[6] وأنه لم يَذُق حرامًا، ولم يُطعِم أولاده غير الحلال، حتى إنه إذا ما عاد بمواشيه من المرعى شد أفواهها لئلا تأكل من مزارع الجيران، أما أمه فاسمها نورية وكانت هي أيضا تقية ورعة، فعندما سئلت عن طريقة تربية أولادها، أجابت بأنها لم تفارق صلاة التهجد طوال حياتها إلا العذر الشرعي، كما أنها ما أرضعت أطفالها إلا وهي على طهر ووضوء[7]، في حين أن أخاه الأكبر الملا عبد الله كان قد سبقه لطلب العلم، وبه أعجب سعيد وعلى دربه سار في الطلب[8]، بل إنه في مستهل دراسته العلمية درس على أخيه ما يقارب السنتين، كما صرح هو بذلك.[9]

كان لهذه النشأة أثر عظيم في حياة النورسي العلمية والعملية، فما تركت هذه الأسرة التقية فرصة لشياطين الإنس والجن أن تجتال النورسي، فتحيد به عن الفطرة النقية والنفس السوية، ولم يقتصر دور الأسرة على توجيهه نحو العلم وطلبه، بل حلّته بالقيم الإسلامية والأخلاق الحميدة وخلته من أدران الدنيا ومغرياتها، ويبدو أن الأثر الأكبر كان لأمه بالرغم أنها توفيت قبل التاسعة من عمره، فعلى سبيل المثال يقسم لنا النورسي أن أرسخ درس تعلمه ودام معه مدى سني عمره؛ هو تلقينات أمه التي كانت تبثها إليه في طفولته، وتنشئه عليها ، حيث قال:

''أقسم بالله إن أرسخ درس أخذته -وكأنه يتجدد علي- إنما هو تلقينات والدتي رحمها الله ودروسها المعنوية، حتى استقرت في أعماق فطرتي وأصبحت كالبذور في

جسدي، في غضون عمري الذي يناهز الثمانين، رغم أني قد أخذت دروسًا من ثمانين ألف شخص''.[10]

هذه البيئة والتربية هي التي تفسر نبوغ النورسي وعبقريته، فقد نشأ في بيئة إسلامية، وترعرع في بيت إيماني، وتلقى العلم منذ نعومة أظفاره، وعلقت بنياط قلبه القرآن، وهو ما أسهم بشكل بارز في تكوين تلميذٍ عبقريٍّ ذاعت شهرته ''وهو لم يتجاوز بعد الخامسة عشرة من عمره، فأطلقوا عليه 'سعيدي مشهور' أي سعيد المشهور''.[11]

والمتأمل في سيرة سعيد النورسي يوقن أن الله تعالى اصطفاه لمهمة جلل، ورسالة عظيمة، ألا وهي إنقاذ إيمان تركيا والخلافة من الغرق في وحل العلمانية والتغريب، هذه المهمة التي نذر النورسي نفسه إليها، وتكبد من أجلها ما تكبد حتى إنه نفي وسجن، ولكن ظل يردد لتلاميذه في أشد الأوقات ضيقا ''إن الوقت الآن هو وقت إنقاذ الإيمان''.[12]

وقد أيقن النورسي هذا الاصطفاء الرباني، وأن الله تعالى هو الذي سير حياته لحكمة عظيمة، ومهمة كريمة، وأن كل ما أصابه من ابتلاء وعنت، كان تهيئة وإعداد رباني، يعبر عن ذلك قائلا:

''إنه في غضون هذه السنوات السبع من حياة النفي والاغتراب وعزلي عن الناس -دون سبب أو مبرر وبما يخالف رغبتي- أمضي حياتي في قرية نائية خلافا لمشربي، وعازفًا عن كثير من الروابط الاجتماعية التي ألفتها سابقًا، كل ذلك ولد لي قناعة تامة لا يداخلها شك من أنه تهيئة وتحضير لي للقيام بخدمة القرآن وحده، خدمة صافية لا شائبة فيها، بل إنني على قناعة تامة من أن المضايقات التي يضايقونني بها في أغلب الأوقات، والعنت الذي أرزح تحته ظلمًا، إنما هو لدفعي بيدي عناية خفية رحيمة إلى حصر النظر في أسرار القرآن دون سواه''.[13]

تعرض النورسي لمحن جسام وابتلاءات عظام، فهذه سُنَّة الله تعالى في الصالحين، فإن أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل من الناس كما جاء في حديث سعد بن وقاص. أنه قال: قلتُ: يا رسولَ اللهِ أيُّ النَّاسِ أشدُّ بلاءً قَالَ: الأنبياءُ ثمَّ الصَّالحونَ ثمَّ الأمثَلُ فالأمثَلُ منَ النَّاسِ، يُبتَلى الرَّجلُ على حَسبِ دينِهِ، فإن كانَ في دينِهِ صلابةٌ زيدَ في بلائِهِ، وإن كانَ في دينِهِ رقَّةٌ خُفِّفَ عنهُ، وما يزالُ البلاءُ بالعَبدِ حتَّى يمشيَ على ظَهْرِ الأرضِ ليسَ عليهِ خطيئةٌ.[14]

ومن ثم فقد توالت المحن على النورسي منذ حداثة سنه، فكانت أولى محنه نفيه مكبلًا من ماردين إلى بتليس، وهو في عمر السادسة عشر، وليس ذلك إلا ''لأنه أبدى

نشاطًا دائبًا ومناصرة للمنادين بالحرية، واهتمامًا بالأمور الاجتماعية والسياسية، فقرر متصرف ماردين سوقه مكبلًا بالأغلال إلى مدينة بتليس''.[15]

كانت هذه بداية المحن لكنها لم تكن نهايتها، إذ تعرض النورسي للنفي والأسر والسجن، بيد أن كل هذا لم يثنِ من عزمه، ولم يجعله يحيد عن هدفه، بل وقف كالطود العظيم يجابه ويواجه أفكار الانحلال والانحراف، ويفند الشبهات والمطاعن، يذود عن حياض الإسلام ودستوره الرباني القرآن الكريم، فكانت المحن منحًا ربانية، وفيوضات إلهية، انسالت حروفا من نور ومدادًا من مدد.

ولا غرو أن نجد رسائل النور تنبثق من ظلمات المحن وغياهب الشدائد، فقد شرع في كتابة رسائله بعد اقتياده من صومعته من جبل أرك إلى منفاه القسري في بارلا، فجاءت رسائل النور استلهامًا من القرآن الكريم، وتعبيرًا صادقًا عن الدروس المستفادة من الابتلاءات التي مرّ بها النورسي، فكانت له ولطلابه تثبيتًا على الحق، وترسيخًا للإيمان، كما أنها أصبحت لمن بعدهم بريق أمل، فإن مع كل عسر يسراً، ومن رحم كل محنة منحة ربانية، وما بين النصر والهزيمة إلا صبر ساعة.

لم استطرد في سرد سيرة الرجل فسيرته حافلة بالأحداث العظيمة والمواقف العظمى، ومن ثم قصرت البحث على القيم التربوية والجمالية في رسائله التي أرسلها إلى تلاميذه من سجنه في دنيزلي والتي ضمها الشعاع الثالث عشر.

لبث النورسي في سجن دنيزلي أو ما أطلق عليه المدرسة اليوسفية من ٢٠ أيلول ١٩٤٣ إلى ١٥ حزيران ١٩٤٤، أي ما يقارب التسعة أشهر، ''تعرض فيها أيضًا إلى محاولة تسميم دبرتها له بعض الأيدي الخفية، ولكن االله تعالى نجاه منها''[16] وحكى النورسي الدوافع والأسباب التي زُجَّ به في السجن بسببها، فقال: ''بدأ أعداؤنا المتسترون يحرّضون علينا بعضًا من المسئولين، وبعضًا ممن يعتدّون بأنفسهم، والمغرورين من العلماء والمشايخ الصوفية، فأصبحوا الوسيلة في جمعنا في تلك المدرسة اليوسفية 'سجن دنيزلي' مع طلاب النور القادمين من عدة ولايات''.[17]

وجهت له المحكمة قائمة تهم شملت ''تأليف جمعية سرية، وتحريض الشعب على الحكومة العلمانية، ومحاولة قلب نظام الحكم، ثم تسمية مصطفى كمال بالدجال والسفياني''[18] وهي ذاتها التهم التي وجهت له من قبل في محاكمة أسكي شهر، وبالرغم من إجماع المحكمة على تبرئته هو وطلابه إلا أن السلطات -حينئذ- أصرت على اعتقاله، ونفيه إلى أميرداغ وعمره يومئذ يناهز السبعين خريفا، فقد جاء في تقرير الخبراء ما نصه: ''إنهم ''أي تلاميذه'' ارتبطوا بسعيد بسبب مؤلفاته العلمية الدقيقة

إنقاذًا لإيمانهم وآخرتهم، ولم نجد أية أمارة أو صراحة تشير إلى سوء قصدهم تجاه الحكومة لا في مراسلاتهم ولا في كتبهم".[19]

المبحث الأول: القيم التربوية للرسائل:

تتجلى القيم التربوية في رسائل النورسي المستفادة من تجربة السجن من جهة كونها نابعة من ذات صادقة مع نفسها، ففي المحن تتعرى النفس من كل حظٍّ ومطمع، فليس ثمة مغنم تسعى إليه، لا سيما أنها تقاسي ألم السجن، وعذابات الوحدة، وفي هذه اللحظات القاسية يظهر جوهر الذات وحقيقة النفس، "فالمقامات الشخصية والمزايا التي يضفيها حسن الظن على الأشخاص تتزلزل وتتصدع في مثل هذه الأحوال المضطربة المزعزعة".[20]

وكثيرًا ما تنتكس النفوس الضعيفة وتوثر التخلي -بدل التحلي- عن كل القيم التي اعتنقتها وتبنتها من قبل، وفي المقابل تُنقى النفوس الزكية وتصفو، فتزداد إيمانًا على إيمان ونورًا على نور، ويتفتق من جنباتها خطاب مفعم بصدق المشاعر المشوبة بحنكة المُجرِّب وحكمة المُقرَّب، وهو ما تضمّنته رسائل النورسي في السجن، وصدق الله تعالى إذ يقول في كتابه المجيد: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾،[آل عمران:١٤٢] وبهذا الصدد توقفت عند القيم المتدلية من نصوص الرسائل:

قيمة التفاؤل والأمل: لعل أولى القيم التربوية التي نلمسها التفاؤل والأمل، فهو ينظر إلى الواقع والظروف الراهنة نظرة موقن بفرج الله، ومؤمن بقدره، يرى الخير كله في قدره وحكمه، وهو ما جعله يطلق على السجن اسم المدرسة اليوسفية، ومن ثم يتحول مفهوم السجن من محبس سالب للحرية إلى مدرسة مانحة للمعرفة، وقد تحول السجن -كما تنبأ النورسي- إلى مدرسة علمية بالفعل، وأصبحت السجون على أيدي طلاب النور مدارس بدلا من محابس، وهو ما نعاينه في قوله: "إنك قد أطلقت على السجن اسم المدرسة اليوسفية، وقد وهب لكم سجن دنيزلي من النتائج والفوائد أضعاف أضعاف ما أذاقكم من الضيق والشدة، ومنحكم فرحًا شديدًا وسرورًا عظيمًا وغنائم معنوية كثيرة، واستفاد المساجين معكم من رسائل النور، وقراءة رسائل النور في الأوساط الرسمية العليا وغيرها من الفوائد، حتى جعلَتْكم في شكرٍ دائم مستمر بدل التشكي والضجر، محولة كل ساعة من ساعات السجن والضيق إلى عشر ساعات من العبادة؛ فَخَلَّدتْ تلك الساعات الفانية".[21]

إن ما عاناه النورسي من عذاب في سجن دينزلي كان أشد وأشرس مما كان تعرّض له في سجن أسكي شهر، فقد صرح أنّ ما حدث له في يوم واحد في دينزلي عادل شهرًا مما كابده في أسكي شهر، وبالرغم من كل هذا فإن الأمل واليقين في فرج الله لم ينقطع عنده، بل أكّد على "أن المصائب الدنيوية الزائلة تنتهي بالأفراح والخيرات على الأكثر"[22] ولم يقف بالأمل والتفاؤل عند هذا الحد، بل قذف به النورسي إلى المستقبل، فاستشرفه وبث البشرى لتلاميذه في لحظات انتظروا فيها الإعدام أو الحكم بالسجن على أقل تقدير، بشارة ترجمها قوله لأصحابه في السجن: "لا تقلقوا يا أخوتي ستسطع تلك الأنوار".[23] ولقد سطعت بالفعل وتحقق ما استشرفه.

تكاد قيمة التفاؤل لا تنقطع في رسالة من رسائل النورسي، مما يؤكد على أنها قيمة متأصلة في جذوره وراسخة في نفسه، فضلا عن أنه يهدف بتكرارها إلى غرسها في نفوس طلابه، وترسيخها في نفوسه، ومن نافلة القول التأكيد على أن القنوط يتنافى مع القيم الإسلامية ﴿وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾الحجر:٥٦ بينما التفاؤل والأمل من القيم الإسلامية الأصيلة.

يستشف مما سلف تقريره أنّ استشراف النورسي ونظرته التفاؤلية نابعة من عقيدته الإسلامية، ومن إيمانه الراسخ، ذلك الإيمان الذي عمل على إنقاذه في نفوس طلابه بصفة خاصة، وفي نفوس الأمة بصفة عامة، بعد أن لُوِّث بدعاوي الإلحاد، وشبهات الإنكار، المدعومة بالإرهاب الرسمي والعلني من حكومات صنيعة تعادي الأمة.

قيمة إنكار الذات: الإيثار وإنكار الذات قيمة أثنى عليها القرآن الكريم ومدح المتصفين بها بالفلاح ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾الحشر:٩ وقد تجلت هذه القيمة القرآنية في رسائل النورسي عامة وفي رسائل دنيزلي خاصة، توجّه النورسي إلى تلاميذه بخطاب انبجست منه المشاعر الفياضة، مشاعر الأب الحنون والمربي العطوف، فعبّر عن سعادته بمحبسه لأنه بقرب تلاميذه، ويغازل خيالهم من شدة تعلقه بهم، قال:

"إخوتي الأعزاء، إنني محظوظ جدًا لوجودي بقربكم، وأخاطب أحيانًا خيالكم فأجد السلوان" ولأنه مربٍ وأب شفوق يتألم لألمهم ويتمنى لو أنه يحمل عنهم كل آلامهم، فيألم ويستريحون، ويشقى ويسعدون، يخاطبهم قائلا: "اعلموا أنه لو كان من المستطاع لتحملت جميع مشاقكم وضيقكم، وبكل فخر وسرور".[24]

لم ينحصر إنكار النورسي لذاته في دائرة طلابه فحسب، بل تفاني في إنكار ذاته من أجل الأمة وإنقاذها من براثين الإرهاب الفكري والإرهاب الحكومي، فتوجه بالشكر

والحمد لله لأنه أوصله إلى حالة روحية جعلته متصدقا بعرضه وشرفه رغبة في تحقيق الأمن والأمان للمستضعفين، ودفعا للبلاء عن للمضطهدين، ومن ثم قرر تحمّل جميع الإهانات والاتهامات من السلطة الغاشمة، ''في سبيل استتباب الأمن والنظام في ربوع البلاد، ولا سيما لراحة الأطفال الأبرياء، والشيوخ الموقرين، والمرضى الضعفاء، والفقراء، وسعادتهم الدنيوية والأخروية''.[25]

تلك السعادة التي سعى النورسي بكل جهد جهيد إلى جعل كل مسلم مستعد لينلها، بل كل إنسان، لذا كان متسامحا مع جلاديه ومشفقا عليهم، فتألم لحالهم، وحزن لأمرهم، حالة من التجرد وإنكار الذات لا يبلغها إلا الصادقون المصدَّقون، المخلِصون المخلَصون، حالة حوّلت شهوة الانتقام إلى رأفة الإخوة وحنان الأبوة، فالقلب الذي امتلأ بالحب للمسلمين لا ينبت فيه كره أو غل لأحد مهما كان، عبّر النورسي عن ألمه لحال معذبيه، وحرصه على إنقاذ إيمانهم، بقوله: ''أتفكر في الذين عذبوني بناء على شكوك وظنون، وأتألم لحالهم تألمًا حقيقيًا فأقول: يا رب أنقذ إيمان هؤلاء برسائل النور، وحوّل موتهم بسر القرآن من الإعدام الأبدي إلى تذكرة تسريح من الحياة، وأنا بدوري أسامحهم وأصفح عنهم وأتنازل لهم عن حقي''.[26]

لقد شغله هَمّ الآخرين عن ذاته، حتى أصبح متألما لهم بدلًا من التألم منهم، فأفنى ذاته في أمته، بحثا عن السعادة في الدارين لها، صنع من رسائله نورًا ساطعًا كشف لهم ظلمات دروبهم، وأنار لهم طريق الإسلام.

قيمة الأخوة في الله: أعلى القرآن الكريم من رابطة الأُخُوَّة، وحصرها في المؤمنين دون سواها، وقدمها على ما سواها من روابط سواء أكانت روابط دم ونسب، أم رابط وطن وبلد، فقال عز وجل ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾.[الحجرات:١٠]

ولما كان النورسي رجلا قرآنيا، اقتبس من نوره نورًا لرسائله، وزادًا لطلابه، فجاءت رسائله تدعو إلى الأخوة والحب في الله، وأكدت لهم قوة هذه الرابطة الإسلامية، فقال لتلاميذه ''أنتم أقوى أخوة من أشقاء النسب'' وهو ما يستوجب على الأخ أن يتغاضى عن زلات أخيه، ويعفو عن هفوته ''فالأخ يستر تقصير أخيه، ويتناسى نقصه، ويصفح عنه''.[27]

ضرب الأستاذ أروع مثال فيما دعا إليه من العفو والصفح عن الإخوان والتجاوز عمّا اقترفوه من زلات وهفوات، حتى إن كانت نتيجتها المصائب والبلاء، وفي مقدمتها السجن ظلمًا وعدوانًا، خاطب تلاميذه بروح سمحة، وقلب صاف، ''أطمئنكم مقسمًا بالله إنه بالرغم من أن لي نصيب في هذه المصيبة أكثر من كل منكم بعشرين أو

ثلاثين درجة، فلا أستاء ممن سبب هذه المصيبة بنية خالصة ومن جراء فعاليته في الخدمة وعدم أخذه بالحذر، بل حتى لو تضاعفت هذه المصيبة بعشر أمثالها فلا امتعض منهم ولا أستاء''.[28]

أوردنا -آنفا- حب النورسي الشديد لتلاميذه بلغ درجة الهيام بأطيافهم، هذا الحب الذي حوّل السجن إلى جنة، إحدى ثمارها لقاء الأخوة، فلقاء الإخوان يذهب الأحزان، ولقد صرح بذلك في إحدى رسائله لطلابه،[29] وعَدَّ رؤية الأحباء وأخوة الآخرة، يبدل المصيبة إلى عناية إلهية ونعمة ربانية.

ولما كانت رسائل النورسي في السجن رسائل تربوية في الدرجة الأولى عملت على إعداد جيل رباني، وشباب قرآني، لم تكن نظرته إليهم نظرة مثالية أفلاطونية، تحلق في عالم الخيال بعيدًا عن واقع الحياة، أو واقع النفس البشرية، لهذا نجد النورسي يشخص أدواء تلاميذه، وحاول معالجتها بالمنهج الرباني، فأوصاهم بـ ''المحافظة على قوة التساند والأخوة، وذلك بإبداء التضحية وترك الأنانية والتواضع قدر الإمكان''،[30] وطالبهم بالحذر من الشيطان والنفس، حتى لا تحدث فرقة واختلاف بين بعضهم بعضًا، وأن التسامي بالمشاعر هو الوسيلة الوحيدة لمواجهة المخربين ودعاة الإلحاد الذين يسعون لإفساد الشباب داخل السجن.

كما طالبهم بعدم معاتبة من كان سببًا في وقوع المحنة، فهو أمر دُبِّرَ بليل، ودعاهم إلى التصالح ونبذ الخصام، مؤكدًا لهم على ثقته فيهم وفي إيمانهم، لعلمه بأنّه متعامل مع بشر لهم محاسن ومساوئ، ولحظات قوّة وضعف، وإن كانت سريرتهم نقية، وقلوبهم صافية، ويؤكد أن ما بدر منهم سببه النفس الأمارة بالسوء، قال الأستاذ:

''فأنا هنا أحيل اختلافكم وأنانيتكم غير المتوقعة إلى النفس الأمارة، ولا أجده لائقا بطلاب النور، بل أعدّه نوعًا من أنانية مؤقتة، توجد في أولياء صالحين، أيضا، ممن غلبتهم نفوسهم الأمارة، فلا تخيبوا يا إخواني حسن ظني بكم بالإصرار والعناد. تصالحوا''.[31]

خطاب مربٍّ بصير بالنفوس، عَلِمَ خباياها، مما قد لا يعلمه المرء من نفسه، وهو خطاب مفعم بالعاطفة، والتربية بالحب فوضع أيديهم على الداء، وأكّد لهم أنه داء خطير لا يصدر إلا عن النفس الأمارة بالسوء، وفي ذات الوقت أكّد لهم أن هذا الداء مع ما فيه من خطورة قد لا يخلو منه الأولياء الصالحين أمثالهم، لذا يجب عليهم أن يداووا أنفسهم ويتخلصوا من هذا المرض القلبي، ولا خلاص منه إلا بالتصالح وتفعيل قيمة الإيثار، مؤكّدا على أنّ التصالح ليس هينًا على النفس إذ قد يعاند الإنسان

ويكابر، فحذرهم مما قد يُتوَهم أن يقعوا فيه، وحفّزهم على مواجهة هذا الداء بحسن ظنه فيهم، فجاء الخطاب بعاطفة أبوية جيّاشة ممزوجة بخبرة المربى.

المبحث الثاني: القيم الجماليّة في الرسائل

قبل عرض القيم الجمالية في رسائل النورسي في سجن دنيزلي، يتعيّن التأكيد على أنّ المحن التي مرّ بها النورسي كان لها أثر جلي في جماليات الخطاب على مستوى الرؤية والأداة، مما أسهم في تكوين خطاب نابض بالألم المشوب بالأمل، خطاب اعتصره الهم الفكري، وأرّقه سمو الهدف، فالنورسي صاحب قلم نازف يبث وعيا ولا يسرد، ''وليس النورسي صاحب قلم باردٍ يغمسه في مداد فكر بارد، ليكتب ما يشاء وقتما يشاء، إنما هو المعاناة الجريحة المدماة التي تنزف فكرًا فيه حرارة الروح، ودفء القلب، وإنما هو السحابة المثقلة بماء الحياة والتي لا يدري أحدٌ متى تبرق وترعد وتغيث''.[32]

كما يجب التأكيد على أن جماليات الخطاب في رسائل النورسي بصفة عامة نابعة من جمالية النص القرآني الكريم، ذلك النص الخالد الذي خلب الألباب بسحر بيانه وأذهل العقول بجمال نظمه، وأطرب القلوب بلحن نغمه، ولقد أدرك الأدباء قديما وحديثا ذلك فنهلوا من نبع بلاغته، وارتووا من عين فصاحته، ''ولقد استيقن سعيد النورسي أن القرآن هو المبتدأ والختام، عند الأديب المسلم، فعكف عليه مغترفا، فظهر ذلك في أدبه إبداعًا وتنظيرًا''،[33] فجاءت رسائله مشرقة بإشراقة القرآن، تستلهم حكمة خطابه، وجماليات نسقه.

ومن نافلة القول الإشارة إلى أن النورسي بدأ حياته الدعوية دفاعًا عن القرآن الكريم، فقد أثار حفيظته ما قرأه في إحدى الجرائد ''أن وزير المستعمرات البريطاني غلادستون قال في مجلس العموم البريطاني، وهو يخاطب النواب وبيده نسخة من القرآن: ''ما دام هذا القرآن بين أيدي المسلمين فلن نستطيع أن نحكمهم، لذلك فلا مناص لنا من أن نزيله من الوجود، أو نقطع صلة المسلمين به''؛ لذلك صمم على أن يكرس كل حياته لإظهار إعجاز القرآن، وربط المسلمين وقال: لأبرهنن للعالم أن هذا القرآن شمس معنوية لا يخبو سناها، ولا يمكن إطفاء نورها''،[34] وقد وفى بما عاهد الله عليه، وبرهن عن هذه الشمس بقبس نوري منها.

وقد أشار النورسي إلى أثر القرآن الكريم، وفيوضاته عليه، فقال: ''أرى القرآن منبع كل الفيوض، وما في آثاري من محاسن الحقائق ما هو إلا من فيض القرآن''،[35] وهذه نتيجة سننية لمن انشغل بالقرآن تلاوة لحروفه وتذوقًا لنظمه وتدبرًا لآياته، وهو

ما يستدعي قوله تعالى ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾،فصلت:٤٤ ''فإن مشاهدة جمال القرآن تابعة لدرجة سلامة القلب وصحته؛ فمريض القلب لا يشاهد إلا ما يشوّه له مرضه، فأسلوب القرآن والقلب كلاهما مرآتان ينعكس كل واحد في الآخر''.[36]

ولا ريب أن نفس النورسي امتزجت بالقرآن فشاهدت جمال أسلوبه ودقة تعبيره، ولا شك أن إبداعه في الرسائل نتاج هذا الامتزاج الطاهر فكتب بمداد قرآني أسلوبًا وفكرًا، حتى صار ''شاعري الروح والنفس، وجداني الانسياب، رشيق في صوره وأخيلته، مع عمق أفكاره ودقيق معانيه''،[37] وهو ما تجلى بصورة واضحة في محنة دنيزلي، والتي سنعرض الآن لبعض قيمها الجمالية الجمة.

١- التناص القرآني: تَعج رسائل النورسي في سجن دنيزلي بالتناص القرآني، والتناص في مفهومه الأدبي يعبر عن هذا الاستلهام الوجداني والاستدعاء الفكري للمخزون الثقافي والموروث المعرفي، وبالتالي توظيفه فنيًا في بنية الخطاب، وعليه يمكن اعتماد تعريف جرارد جنيت Gérard Genette للتناص بأنه ''حضور متزامن بين نصين، أو عدة نصوص، أو هو الحضور الفعلي لنص داخل نص آخر، بواسطة السرقة أو الاستشهاد أو التلميح''[38] فالتناص يرصد تلك العلاقة التفاعلية التي يقيمها النص مع غيره من النصوص الواقعة في مجاله الحواري والتي تم استدعائها معرفيا؛ ''وتأسيسًا على ذلك؛ فمن المفاهيم الأساسية التي يؤديها مفهوم التناص في النظرية النقدية الحديثة هي الوظيفة التحويلية والدلالية؛ إذ أن الأمر لا يتعلق بإعادة إنتاج المادة المقتبسة بحالتها القائمة الأولى؛ ولكن بتحويلها ونقلها وتبديلها''[39] إلى نسق جديد، وتجربة وليدة تمتاز بالأصالة والحداثة معا، فتؤدي رسالة مفارقة وموافقة في آن.

وأولى صور التناص القرآني في رسائل النورسي التي وجهها إلى تلاميذه من سجن دنيزلي، استلهام قصة يوسف عليه السلام وإطلاق اسم المدرسة اليوسفية على السجن، وهو ما يستدعي تجربة سيدنا يوسف عليه السلام، والمحن المتتالية التي مرت عليه مذ تآمر إخوته، عليه مرورًا بإلقائه في الجب، وانتهاء بالزج به في السجن زورًا وبهتانًا، بينما كان العناية الإلهية تتولاه، والقدر الرباني يعده ويهيئه لأمر جلل، هو إنقاذ الناس من فقر القوت والقلوب معا.

هذا التناص ألهم النورسي الصبر والسكينة، فضلا عن الثبات واليقين، في لحظات المحنة والشدة التي أصابته نفسيا وبدنيا في سجن دنيزلي، يصف لنا هذه الحالة

المتردية وكيف كان استلهام قصة يوسف طوق نجاة ومصدرًا لتجديد الإيمان، يقول النورسي:

''فبينما كنت أتقلب من شدة الحمّى المتولدة من البرد، وأتململ من حالتي النفسية المتضايقة جدًا، انكشفت في قلبي حقيقة عناية إلهية، ونُبهتُ إلى ما يأتي: إنك قد أطلقت على السجن اسم المدرسة اليوسفية، وقد وهب لكم سجن دنيزلي من النتائج والفوائد أضعاف أضعاف ما أذاقكم من الضيق والشدة، ومنحكم فرحًا شديدًا وسرورًا عظيمًا وغنائم معنوية كثيرة''

وقد توالى التناص القرآني لآيات العناية والرعاية الإلهية، كما هو واضح في توظيف قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾الطور:٤٨ التي يؤكد النورسي على أنه شاهد شهود اليقين السلوان التام والصبر الكامل الذي يبعثه معناها الإشاري.[40]

وختم النورسي الرسالة نفسها بتناص قرآني آخر، هو قوله تعالى: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾، البقرة:٢١٦ داعيًا تلاميذه إلى الاسترشاد بها.[41]

وإن كان التناص في الآيتين السابقتين يدعو للصبر والرضا بقضاء الله وقدره فإن التناص القرآني يتطور في باقي الرسائل ليتجاوز مرحلة الصبر على البلاء إلى مرحلة اليقين بالفرج والفوز، حيث سرد النورسي خمس آيات متتالية تؤكد على حفظ الله لأوليائه، يسرد النورسي هذه الآيات: ﴿إِنَّ اللهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾الحج:٣٨ ﴿يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾الحديد:١٢ ﴿اللهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ﴾الشورى:٦ ﴿طُوبَى لَهُمْ﴾، الرعد:٢٩ ﴿رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا﴾التحريم:٨ مؤكدًا على أنها لفتت نظره عندما كان يفكر في كيفية الدفاع عن إخوانه أمام قاضي التحقيقات، وفي موضع آخر يأتي التناص القرآني قاطعًا بالنصر، حاكمًا بين أهله وأعدائه، ﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾المائدة:٥٦ مما حدا بالنورسي أن يعلن في محبسه أنه غالب منتصر لا مغلوب منهزم ''إننا لسنا مغلوبين أمامهم، ليقضوا ما هم يقضون، فالآية الكريمة ﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ تبشر بظهورنا عليهم منذ اثنتي عشر سنة''.[42]

ولا يخفي القيمة الجمالية لهذا التناص القرآني التي تشحذ النفوس بقوة إيمانية لا يضاهيها قلم أو كلم، فالنص القرآني يملك روحا سماوية وسحرًا بيانيًا، لا يملك المتلقي إلا الانقياد إليه، والاستسلام لروعة بيانه، وقوة حجاجه.

٢- استدعاء الشخصيات التاريخية

لله در القائل:

اقرؤوا التاريخ إذ فيه العبر ضل قوم ليس يدرون الخبر.

يكرر التاريخ نفسه ومن يقرأه قراءة فاحصة يستشرف المستقبل ويدرك الواقع في الغالب الأعم، وقد كان للنورسي ثقافة موسوعية جعلته يطلع على الموروث التاريخي لأصحاب الدعوات، الذين وقفوا بالمرصاد لمعاول الهدم، وأنقذوا الأمة من الاستلاب الثقافي، والاستعمار الفكري، وهو ما يفسر استدعاء النورسي لشخصيات تاريخية حملة الرسالة وأدت الأمانة، برغم ما عانت من اضطهاد وظلم وابتلاء.

لم يكن هذا الاستدعاء محض صدفة أو عفو خاطر، بل جاء معبرًا عن توافق الرؤى، واتحاد الغاية والهدف، مما حدا بتشابه التجارب والخبرات، وربما كلمة النورسي عن جلال الدين الرومي تلخص هذا المعنى إذ قال: ''لو كان مولانا جلال الدين الرومي في هذا العصر لكتب رسائل النور ولو كنت أنا في ذلك العصر لكتبت المثنوي''.[43]

وبناء على ذلك فإن استدعاء النورسي للشخصيات التاريخية كان استشرافًا لمستقبل الدعوة، وسلوى لواقعها، فجاءت الشخصيات في رسائله من الشخصيات التي يشهد لها التاريخ الإسلامي بمواقفها الصلبة، وثباتها الشامخ، والتي سطر التاريخ المحن التي مروا بها، أمثال الإمام أحمد بن حنيل، وأبو حامد الغزالي، يقول النورسي ''وقد أخمد أئمة الإسلام العظام كالإمام مالك، والإمام أحمد بن حنبل، والإمام الغزالي، والشيخ الكيلاني، والجنيد البغدادي، نار تلك الفتن التي دبت في مجال الشريعة والعقيدة''.[44]

يؤكّد الأستاذ في اختيار تلك الشخصيات السامقة أنّ الابتلاء سنّة الله في الخلق، فجميع من ذكرهم ممن قادوا الجهاد الفكري ضد حملات الباطل، ابتلوا وامتحنوا، ومن الملاحظ أن النورسي يكتفي بسرد أسماء الشخصيات دون ذكر الأحداث وهو هنا يشارك المتلقي في استدعاء الأحداث التاريخية، والتعايش معها، وهو ما تشير إليه نظريات النقد الأدبي الحديثة التي تؤكد على الدور الفاعل للمتلقي، وتنفي عنه الدور السلبي وتجعل من صلته بالنص متوازية مع صلة المؤلف، ''فالمتلقي حين يقرأ تثار عواطفه واحساساته، ويكون باعثاً لذكرياته وخيالاته، كما أنه يكون باعثاً لأحلامه واستشرافاته المستقبلية ولذلك لا تقل صلة المتلقي بالنص عن صلة الشاعر بنصه''.[45]

أدرك النورسي هذا بحسه الشعري وذوقه الأدبي فشارك المتلقي في بناء النص، ولأن النورسي يعلم أن متلقي رسائله هم طلاب علم وأصحاب دعوى يثق في خلفيتهم الثقافية ومعرفتهم التاريخية، مما يتيح له الإشارة إلى الأحداث دون سردها، واستدعاء الشخصيات دون تعريفها، فهي أعلام لا يجهلها إلا جاهل، وهو ما يعطي النص قيمة جمالية إذ يذهب كل متلقٍ مذهبًا فيتخيل الآلام والعذابات، ويتذوق العطايا والانتصارات، كل على طريقته، وكل على قدر تفاعله مع النص والواقع في آن.

٣- توظيف السرد القصصي: إنّ القصة في أبسط تعريف لها هي ''أُحدوثة شائقة، مرويّة أو مكتوبة، يُقصد بها الإمتاع أو الإفادة''،[46] وترادف بهذا التعريف الحكاية والخبر والرواية، والقصة القصيرة، إلا أنّ مصطلح الرواية والقصة القصيرة ينصرف أكثر ما ينصرف إلى مفهوم هذا الفن المقتبس من الآداب الأجنبية بشكله الحديث، وتتمتع القصة بتأثير قوي في وجدان المتلقي ومشاعره، وذلك نظرًا لتجنبها الخطاب المباشر الذي تأباه النفوس، وتمجه العقول، واعتمادها على الأسلوب الفني الذي يتميز بالحبكة الدرامية والتشويق والإثارة في نقل الأفكار والخبرات، ''والقاص الناجح يجعل القراء يفكرون، ولكن الغرض الأول لكل أنواع القصص المؤثر وغير المؤثر أن يجعل القراء يشعرون''.[47]

وظّف الأستاذ السرد القصصي توظيفًا فنيًا لما حباه الله به من حس شعري وذوق أدبي، جمع بين القيمة الجمالية والرسالة الإبداعية، فعندما أراد أن يخفف على تلاميذه فقدان أحد زملائهم، الذي ترك الدعوة إيثارًا للنجاة يضرب لهم مثالا بقصة شيخ خافت السلطة من كثرة مريديه؛ فقال لهم ليس لي إلا مريد ونصف من هذه الحشود الحاشدة، وليبرهن لهم على ذلك نصب خيمة في ضاحية من ضواحي المدينة، ودعا الألوف من مريديه، وقال من كان حقًا مريدي ويطيع أمري فسيذهب إلى الجنة، ثم قام بذبح خروف وأبدى الأمر كأنه ذبح أحد مريديه ففر الناس من حوله ولم يسمعوا له أو يطيعوا، إلا رجلًا واحدًا دخل الخيمة، ثم تبعته امرأة، ''فقال ذلك الشيخ لرجال الدولة: ها قد شاهدتم أن لي مريدًا ونصف مريد''.[48]

يعقب النورسي على هذه القصة حامدًا الله أن رسائل النور لم تفقد إلا طالبًا ونصف طالب في امتحان اسكي شهر، بينما انضم إليها من أهل اسبارطة عشرة آلاف، مجددًا يقينه في ربه، وثقته في تلاميذه، فيؤكد أنه لن يخسروا -بإذن الله- أحدًا في امتحان دنيزلي، بل سيربحون أتباعا جددًا.

ويوظف في موضع آخر السرد القصصي تعميقا لقيمة الأخوة وستر الأخ على أخيه، فيسرد قصة شخص غير مسلم استطاع الترقي في طريقة صوفية حتى نال مرتبة خليفة الشيخ، وشرع بوظيفة الإرشاد، بيد أن إحدى مريديه كشف أمره، وأنه ساقط في قاع التردي، إلا أن هذا الشخص فطن بفراسته إلى أن مريده قد كشف أمره فقال للمريد: لقد عرفتني إذًا. فأجابه المريد: ما دمت قد بلغتُ هذا المقام بإرشادكم، سأجلك وأوقرك بعد الآن أعظم من قبل. وبدأ بالتضرع لله أن يهدي مرشده، وأن ينقذه من الضلالة، حتى استجاب له الله تعالى، وانقلب الشخص من الفساد إلى الصلاح، ومن السقوط إلى الترقي، وهكذا يصير المريد شيخًا لشيخه – على حد قول النورسي.

كما يشير النورسي إلى درس مهم من هذه القصة، ألا وهو ''ألا يترك الطالب أخاه عندما يراه مبتلىً بفساد، بل يزيد من أخوته معه ويسعى لإصلاحه''[49] ولا يعين الشيطان عليه، فكل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون.

وبذات الأسلوب يسرد حكاية طالب علم نحو وصرف توفي أثناء مدارسته لعلمه، فسألاه منكر ونكير: من ربك؟ فأجاب: من: مبتدأ، ربك: خبره، يحسب نفسه أنه في المدرسة لا في القبر.

ومع طرافة الخبر الذي يرويه النورسي فإنه يستخلص منه أن طالب العلم في منزلة الشهداء، حيًا يرزق ويتدارس العلم، وأن من لزم شيئًا مات عليه.

وهكذا جمع السرد القصصي عند النورسي بين الطرافة والتشويق، مع التكثيف والإيجاز الشديد في المتن، مع غزارة وكثافة المعنى والمقصد، وهي قيمة جمالية أحسن النورسي توظيفها أيما إحسان.

الخاتمة

يقف الباحث مشدوها أمام النورسي وهمته، فقد كان رجلا بأمة وقف برسوخ أمام طغيان مدجج بالسلاح، وشبهات مسمومة يبثها أذناب الغرب ورجاله، تحت رعاية وعناية السلطة وقتئذ، ولكن إن كان هؤلاء الأذناب الذين بذلوا وقتهم وجهدهم لإطفاء شمس الإسلام، فإن النورسي تحت رعاية وعناية المتعالي استطاع بشخصه الضعيف أن يحيي الأمة، وينقذ إيمانها، وخاصة في عقر أرض الخلافة العثمانية تركيا.

قد كان -ولا زال- النورسي مدرسة نحتاج إلى تجديدها وإحيائها، فقد أدى النورسي مهمته على أكمل وجه، وتحتاج الأمة -الآن- في ظل الهجمات الممنهجة ضدها فكريًا وعسكريًا واقتصاديًا، أن ينتدب الشباب المسلم وفي مقدمتهم تلاميذ النورسي لإنقاذ الأمة كما أنقذها النورسي، نحتاج من يكتب رسائل جديدة، تبحث عن

إشارات قرآنية للواقع المعاش، ما أروع كلمات النورسي عندما وصف حاله وحال مولانا جلال الدين الرومي فقال: ''لو كان مولانا جلال الدين الرومي في هذا العصر لكتب رسائل النور ولو كنت أنا في ذلك العصر لكتبت المثنوي، ذلك لأن خدمة الإيمان والقرآن في عصره كانت على ذلك النمط أي بالمثنوي، وأما الآن فإن الخدمة على منهج رسائل النور''.[50]

تحتاج الأمة إلى من نقول عن رسائله لو كان النورسي في هذا العصر لكتب هذه الرسائل، لأن خدمة الإيمان والقرآن اليوم على ذلك النمط، لذا يوصي الباحث بأن يعكف الباحثون على دراسة تجربة النورسي والاستفادة منها في وضع مشروع نهضوي لمواجهة الظروف الراهنة والمحدقة بالأمة، وتوظيف هذه التجربة في موجهة الهجمات الشرسة على الإسلام والأمة الإسلامية من الداخل والخارج.

ومن ثم تصدر لنا دراسات تطبيقية يمكن من خلالها رسم خارطة مستقبل لشباب الأمة ليكونوا قادة ربانيين عاملين، فيتحولوا من الصلاح إلى الإصلاح مقتدين بالنورسي وتجربته الفريدة.

كما يوصي الباحث بالاهتمام بالجانب الجمالي والبلاغي في خطاب النورسي، فالدراسات التي تناولت هذا الجانب قليلة مقارنة بالدراسات الأخرى التي تناولت رسائل النور من قبل، فالنورسي لديه حرارة التجربة وتوهج الشعور مع قلم مبدع، فاتسمت رسائله بالصدق الشعوري والواقعي معا، مع طهارة المعنى وصفاء الفكرة، وهو ما تفتقره كثيرًا من الأعمال الفنية المعاصرة التي تفتقد الصدق الشعوري، أو ينقصها الفكرة السوية، وربما تفقدهما معا.

إن القيم الجمالية لدى النورسي تؤهله عن جدارة إلى أن يكون رائدًا من رواد الأدب الإسلامي الذي يصور الحياة والكون من خلال نفس مؤمنة، فالأدب الإسلامي كما عرّفه نجيب الكيلاني: ''تعبير فني جميل مؤثر، نابع عن ذات مؤمنة، يترجم عن الحياة والإنسان والكون وفق الأسس العقائدية للمسلم، وباعث للمتعة والمنفعة، ومحرك للوجدان والفكر، ومحفز لاتخاذ موقف والقيام بنشاط ما''.[51]

وغاية الأدب الإسلامي كما يذكر عبد الرحمن رأفت الباشا هي ''ترسيخ الإيمان بالله عز وجل في الصدور وتأصيل القيم الفاضلة في النفوس، وتفجير ما يمكن من طاقات الخير والصلاح''،[52] وهي الغاية عينها التي سعت إليها تحقيقها رسائل النور، لذا فإن الأديب المسلم هو من تسمو أعماله بالفكر، وترقى بالمشاعر نحو الصفاء الروحي، ولا تنحط بها نحو الغرائز الشهوانية، فأعمال الأديب المسلم توقظ الروح

الإسلامية، وتنقيها من اجتيال شياطين الإنس والجن، وتقويها ضد نزوات الهوى والنفس، فإذا أدى الأديب في أعماله هذه الرسالة ''حَظِي بالانتساب إلى الأدب الإسلامي، وعُدّ من الأدباء الإسلاميين''.[53]

من الأخطاء التي وقع فيها النقاد والدارسون للأدب العربي هي حصر الأدب في بعض الفنون دون الأخرى، وقصر غايته -في الأعم الأغلب- على التسلية والمتعة، مع الاهتمام بالزخارف البيانية والفنون البلاغية، وقد أدت هذه النظرة الضيقة إلى حصر الأدب العربي في أغراض محدودة، وحبس الأديب في قفص التقليد لهذه الأغراض المتداولة المتهالكة، فإما أن يكون الأديب مدللا يرضى عنه الأمراء والسلاطين فيصدع بالمديح، وإما أن يكون في ضيق وشدة فيصدح بالهجاء والرثاء والعتاب، هذا هو الأدب عند المؤرخين والدارسين للأدب العربي، إذا كان حرًا طليقا يشدو بما يجيش في النفس من مشاعر وأفكار، وقف له الدارسون والمؤرخون بالمرصاد متهمين إياه بأنه لا صلة له بالأدب والبلاغة، لأنه خرج عن توصيفهم القاصر وبلاغتهم العاجزة، ليس إلا.

فمثلا الرسائل التي كتبت بطريقة عفوية، كالرسائل بين الآباء والأبناء، أو الأصدقاء، أو المذكرات والخواطر الشخصية؛ التي يكتبها الشخص بتلقائية وبشكل طبيعي بعيدًا عن زخرفة الأدباء وتنميق البلغاء، ''قد تكون هذه القطع أكثر جمالًا، وأقوى تأثيرًا، ومثالًا للبلاغة؛ من كثير مما كتبه الكاتبون ليخلد ذكرهم ويضفى عليهم ألقاب البليغ الكبير، والكاتب القدير، والأديب الشهير، لأن الأول أقرب إلى الطبيعة وأكثر اتصالًا بالحياة، وأصدق تعبيرًا عن خلَجات النفس ودقات القلوب، وأسرع دخولًا إلى أعماق النفس الإنسانية، وأكثر مسًّا للقلوب وتحريكًا للمشاعر، والثاني يفقد هذه المعاني، ويتجرد من هذه الأوصاف''.[54]

وهو ما لمسناه في رسائل النورسي التي تعد -من هذا الباب- من أروع الرسائل الأدبية المعبرة عن النفس تعبيرًا صادقًا، والمصورة للحياة تصويرًا حقيقيًا، فجاءت رائقة المعنى رائعة المبنى.

* * *

المصادر والمراجع

١. إبراهيم فتحي: معجم المصطلحات الأدبية، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، تونس، ١٩٨٦م.
٢. أبو الحسن علي الندوي: مقدمة كتاب "الأدب الإسلامي وصلته بالحياة مع نماذج من صدر الإسلامي" لمحمد الرابع الحسني الندوي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٩٨٥.
٣. أحمد بن حنبل: المسند، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الجزء الثالث.
٤. أديب إبراهيم الدباغ: إشراقات قلب ولمعات فكر، دار النيل للنشر ٢٠١٣.
٥. بديع الزمان سعيد النورسي: الشعاعات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر، الطبعة الثانية، ١٩٩٣م.
٦. بديع الزمان سعيد النورسي: اللمعات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر، القاهرة، الطبعة الثانية، ٢٠١١م.
٧. بديع الزمان سعيد النورسي: المثنوي العربي النوري، شركة سوزلر، القاهرة، الطبعة السادسة، ٢٠١١م.
٨. بديع الزمان سعيد النورسي: الملاحق، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر، القاهرة، الطبعة الثانية، ٢٠١١م.
٩. جبور عبد النور: المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، ط٢، ١٩٨٤م.
١٠. جمال الدين فالح الكيلان، وزياد حمد الصميدعي: بديع الزمان سعيد النورسي قراءة جديدة في فكره المستنير، دار الزنبقة، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٤م.
١١. حسن الأمراني: شعرية النص في المثنوي العربي النوري، مقال بمجلة المناهل المغربية، ع٥٠، مارس ١٩٩٦، ص ٥ - ٤١
١٢. سعيد النورسي رجل القدر في حياة أمة: أورخان محمد علي، كتاب منشور على موقع: ww.iikv.org/ar/books/academic/203.pdf
١٣. ظافر بن عبد الله الشهري: مقال "من صور التلقي في النقد العربي القديم" المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل (العلوم الإنسانية والإدارية) المجلد الأول،ع١، مارس ٢٠٠٠م، ص ٥٧ – ٧٦
١٤. عبد الرحمن رأفت الباشا: نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد، دار الأدب الإسلامي للنشر والتوزيع، ط ١، ١٩٩٦م.
١٥. عبد القادر بقشي: التناص في الخطاب النقدي والبلاغي دراسة نظرية وتطبيقية، أفريقيا الشرق، المغرب، ٢٠٠٧م.
١٦. علي القاضي: ماذا تعرف عن بديع الزمان سعيد النورسي، دار الهداية، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.
١٧. نجيب الكيلاني: مدخل إلى الأدب الإسلامي، سلسلة كتاب الأمة القطرية، ع ١٤، سنة ١٤٠٧ه.
١٨. نعيمة سعدية: تحليل الخطاب والإجراء العربي، مجلة الأثر ع ١١، عدد خاص بأشغال الملتقى الدولي الثالث في تحليل الخطاب، جامعة ورقلة بالجزائر، فبراير ٢٠٠٧، ص ٧٦ – ٩٤

* * *

الهوامش

[1] أستاذ النقد والأدب المقارن المساعد، كلية العلوم الإسلامية – جامعة غيرسون التركية.
[2] نعيمة سعدية: تحليل الخطاب والإجراء العربي، مجلة الأثر ع ١١، عدد خاص بأشغال الملتقى الدولي الثالث في تحليل الخطاب، جامعة ورقلة بالجزائر، فبراير ٢٠٠٧، ص ٨١.
[3] السابق، ص ٧٧.
[4] بديع الزمان سعيد النورسي: الشعاعات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر، ط ٢، ١٩٩٣، ص٢٧٧.
[5] الشعاعات: ص٢٧٨.
[6] أورخان محمد علي: سعيد النورسي رجل القدر في حياة أمة، ص٨.
[7] علي القاضي: ماذا تعرف عن بديع الزمان سعيد النورسي، دار الهداية، الطبعة الأولى، ٢٠٠١، ص٧.
[8] جمال الدين فالح الكيلان، وزياد حمد الصميدعي: بديع الزمان سعيد النورسي قراءة جديدة في فكره المستنير، دار الزنبقة، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٤م، ص ١٣.
[9] بديع الزمان سيعد النورسي: سيرة ذاتية، ص ٣٦.
[10] السابق: ص ٤٣.
[11] جمال الدين فالح الكيلان، وزياد حمد الصميدعي: بديع الزمان سعيد النورسي قراءة جديدة في فكره المستنير، ص ١٤.
[12] علي القاضي: ماذا تعرف عن بديع الزمان سعيد النورسي: ص ١٤.
[13] بديع الزمان سيعد النورسي: سيرة ذاتية، ص ١٠.
[14] رواه الإمام أحمد في مسنده: ٧٨/٣.
[15] بديع الزمان سعيد النورسي: سيرة ذاتية، ص ٥٩.
[16] أورخان محمد علي: سعيد النورسي رجل القدر في حياة أمة، ص ١٤٥.
[17] بديع الزمان سعيد النورسي: اللمعات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ص ٣٧٠.
[18] بديع الزمان سيعد النورسي: سيرة ذاتية، ص ٣٢٨.
[19] بديع الزمان سعيد النورسي: الشعاعات، ص ٤٠٠.
[20] السابق، ص ٣٦٢.
[21] بديع الزمان سعيد النورسي: اللمعات، ص٣٦٣.
[22] بديع الزمان سعيد النورسي: الشعاعات، ص ٣٦٧.
[23] السابق: ص ٣٦٣.
[24] السابق: ص ٣٥١.
[25] بديع الزمان النورسي: الملاحق، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر، القاهرة، الطبعة الثانية، ٢٠١١م.ص ٢٢٦.
[26] السابق: ص ٢٢٧.
[27] بديع الزمان سعيد النورسي: الشعاعات، ص ٤٠٢.
[28] السابق: ص ٣٨١.
[29] السابق: ص ٣٦٩.
[30] السابق: ص ٣٦٩.
[31] السابق: ص ٤٠٢.
[32] أديب إبراهيم الدباغ: إشراقات قلب ولمعات فكر، دار النيل للنشر ٢٠١٣.

[33] حسن الأمراني: شعرية النص في المثنوي العربي النوري، مقال بمجلة المناهل، ع٥٠، مارس ١٩٩٦، المغرب، ص ١٠.
[34] علي القاضي: ماذا تعرف عن بديع الزمان النورسي، ص ٧.
[35] بديع الزمان سعيد النورسي: المثنوي العربي النوري، شركة سوزلر، القاهرة، الطبعة السادسة، ٢٠١١، ص ١٦٣.
[36] السابق: ص١٦٤
[37] أديب إبراهيم الدباغ: إشراقات قلب ولمعات فكر.
[38] عبد القادر بقشي: التناص في الخطاب النقدي والبلاغي دراسة نظرية وتطبيقية، أفريقيا الشرق، المغرب، ٢٠٠٧، ص٢٤.
[39] الصفحة نفسها.
[40] بديع الزمان سعيد النورسي: الشعاعات، ص٣٤٩.
[41] السابق: ص٣٥٠.
[42] السابق: ص٣٩٧.
[43] بديع الزمان سعيد النورسي: سيرة ذاتية: ص ٥٣٨.
[44] بديع الزمان سعيد النورسي: الشعاعات: ص ٣٨٨.
[45] ظافر بن عبد الله الشهري: من صور التلقي في النقد العربي القديم، المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل (العلوم الإنسانية والإدارية) المجلد الأول، ع١، مارس ٢٠٠٠م، ص٦١.
[46] جبور عبد النور: المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٤م، ص ٢١٢.
[47] إبراهيم فتحي: معجم المصطلحات الأدبية، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، تونس، ١٩٨٦م، ص ٢٧٥.
[48] بديع الزمان سعيد النورسي: الشعاعات، ص ٣٧٧.
[49] السابق: ص ٣٧٨.
[50] بديع الزمان سعيد النورسي: سيرة ذاتية، ص ٥٣٨.
[51] نجيب الكيلاني: مدخل إلى الأدب الإسلامي، كتاب الأمة ع ١٤، سنة ١٤٠٧ه، قطر، ص٣٦,
[52] عبد الرحمن رأفت الباشا: نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد، دار الأدب الإسلامي للنشر والتوزيع، ط ١، ١٩٩٦م، ص٩٤.
[53] السابق: ص٩٥.
[54] أبو الحسن علي الندوي: مقدمة كتاب ''الأدب الإسلامي وصلته بالحياة مع نماذج من صدر الإسلامي'' لمحمد الرابع الحسني الندوي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٩٨٥، ص٩٥.

المبادئ التربوية في كتاب منهاج المتعلم للإمام الغزالي (ت ٥٠٥ هـ)

Imam al-Ghazali's Educational Principles in His Treatise *The Way of the Student*

ABSTRACT

Dr. 'Arif As'ad Jum'a

- Imam al-Ghazali reported a detailed explanation of the principles and methods of teaching, and demonstrated the evidences from the Quran and Hadith, poetry and sayings of the Muslim scholars and educators.

- The number of educational principles mentioned by al-Ghazali in his book, Curriculum of learner reached (28) principle. 20 of which were mentioned in a frank and direct way .i.e. in an affirmative manner (tansis), and (8) principles were mentioned indirectly (runs down and the conclusion), and the methods of viewing principles also varied between giving evidences or examples or guidance .

Keyword; Ghazali, principles, methods, the content, curriculum

* * *

الملخص

د. عارف أسعد جمعة[1]

– أورد الإمام الغزالي شرحاً مفصلاً لمبادئ وطرائق تعليمية، ودلل على ذلك بشواهد من القرآن الكريم والأحاديث الشريفة وشواهد شعرية وأقوال للعلماء والمربين المسلمين.

– إن عدد المبادئ التربوية التي ذكرها الغزالي في كتابه منهاج المتعلم بلغ ''٢٨'' مبدأ، ورد منها بشكل صريح ومباشر أي بالتنصيص ''٢٠''، وورد ''٨'' مبادئ بطريقة غير مباشرة (بالتعريض والاستنتاج)، كما تنوعت كيفية عرض المبادئ سواء بالشواهد والأمثلة والتوجيه.

كلمات مفتاحية: الغزالي، المبادئ، الطرائق، المحتوى، منهاج.

* * *

مقدمة

سجلت التربية الإسلامية سبقاً كبيراً في دعوتها لتعميم التربية والتعليم، وقد أرشدت المربين إلى مسؤولياتهم التربوية والتعليمية تجاه المتعلمين، وذلك من جميع النواحي (الإيمانية والأخلاقية والجسمية والاجتماعية والعقلية) وقد استطاع المربون المسلمون وضع القواعد والمبادئ والطرائق التعليمية التي تسهم في تفعيل التعليم في المجتمع، وتعد هذه المبادئ والطرائق التعليمية ذات فعالية كبرى ناتجة عن خبرة علمية تربوية تظهر إبداع أولئك المربين، وتبرز دورهم الفاعل في السير بالعملية التعليمية والتربوية نحو أهدافها وغاياتها الكبرى، وظهرت نتائجها في تلك العصور التي سميت بالعصور الذهبية، ومن هؤلاء المربين ابن سحنون والقابسي والغزالي وابن خلدون...

وقد استشعر علماء الحضارة هذا السبق لعلماء العرب والمسلمين في مجالات كثيرة قالت زيغرد هونكه: ''المسلمون في الواقع هم الذين ابتدعوا طريق البحث العلمي الحق القائم على التجربة''.[2]

وقال غوستاف لوبون ساخراً ممن يقارن العرب في العصور الوسطى بالأوربيين ''لقد كان الوضع على عكس الوقت الحاضر تماماً، فالعرب كانوا هم المتحضرون، والأوربيون هم المتأخرون، ولا أدلّ على ذلك من أننا نسمي تاريخ أوربا في ذلك الوقت بالعصور المظلمة''.[3]

يسلط هذا البحث الحالي الضوء على أحد أهم أعلام الفكر التربوي الإسلامي وهو حجة الإسلام الإمام أبي حامد الغزالي الذي عني بالتربية والتعليم إلى جانب ما اشتهر به من علم بالفقه والأصول والفلسفة والتصوف وعلم الأخلاق، ويسعى البحث لإبراز الجوانب التربوية والتعليمية من خلال تحليل كتاب منهاج المتعلم للغزالي علماً أنه أكثر كتب الغزالي اهتماماً بالتربية والتعليم إضافة إلى تطرقه لمواضيع تربوية في كتب أخرى مثل ''إحياء علوم الدين، رسالة أيها الولد''.

لمحة عن الغزالي: اسمه أبو حامد محمد بن محمد ابن أحمد الغزالي، ولد سنة ٤٥٠ هـ في ''طوس'' إحدى مدن خراسان لوالد فقير، اتسم بالصلاح وكان يمتهن غزل الصوف، وعليه سرى لقب الغزالي، وتوفي سنة ٥٠٥هـ[4]

يعد الإمام الغزالي من رواد الفكر التربوي الإسلامي، وتنبّه الإمام الغزالي قبل علماء التربية الغربيين إلى مبادئ تربوية تعليمية سبق بها وإن المقارن بين آرائه في

العصور الوسطى وعلماء الغرب في العصور الحديثة سيلحظ تقارباً بل ويكاد يكون تطابقا بالمبادئ والطرائق التعليمية، وهذا إن لم يدل على توارد الأفكار فهو ليس أدل من كونه يرجع إلى التلاقح الفكري وتأثر المتأخرين بالسابقين.

كتاب منهاج المتعلم للغزالي؟

أولاً: مبادئ التعليم عند الغزالي: قدّم الغزالي جملة من مبادئ التعليم تعتمد على الأسس النفسية والتربوية ومن هذه المبادئ التي أكدّ عليها الغزالي في كتابه منهاج التعليم .

١-١ مبدأ تحفيز عملية التعليم لدى المتعلم: اعتنى الغزالي بإثارة دافعية المتعلم نحو طلب العلم بغية جعله يبذل قصارى جهده في التحصيل والسعي والمسارعة إلى الاستفادة من الوقت في تحصيل العلوم النافعة، وقد أولى الغزالي هذا المبدأ أهمية من خلال:

١ – استفتاحه الكتاب بتبيان مكانة العلم وفضله من خلال ذكر آيات كريمة وأحاديث شريفة تدل على فضل العلم ومكانته.[5]

٢- تبيان فضل العلم في الآخرة وأن غايته القصوى كسب مرضاة الله عزّ وجلّ.

٣- تبيان سعادة أهل العلم في الدنيا والآخرة وقد نقل قول الشاعر في ذلك:

أهل العلم في الدارين مسعود والخلد في الجنة الفردوس موعود

العلم عز وأهل العلم محترم والجهل ذل، وأهل الجهل مطرود

٤- تبيان ثمار العلم في الدنيا: ذكر الغزالي أن للعلم ثماراً في الدنيا كثيرة ذكر منها الزهري عشر حيث قال: ''الشرف إن كان دنيئاً والغنى إن كان فقيراً، والعزة إن كان مهيناً، والقوة إن كان ضعيفاً، والجود إن كان بخيلاً، والقرب إن كان قصياً، والكبر إن كان صغيراً''.[6]

٥- ومن الأساليب الداعمة للدافعية أسلوب الترغيب والترهيب حيث ذكر الغزالي ثمرات العلم في الدنيا والآخرة.

ثم أفرد الغزالي للعقوبات المترتبة على إهمال العلم وعدم العمل به. حيث أورد آيات كريمة وأحاديث شريفة تدلل على كلٍ في موضعه.

- وإن هذا الاهتمام بالدافع عند الغزالي يعدّ له سبقاً كبيراً في مجال علم النفس التربوي، حيث أكد كثير من علماء النفس الغربيين أهمية دراسة سلوك الإنسان وعلاقته بالتربية ودوره في توجيهه توجيهاً صحيحاً من خلال التحكم بالدوافع، وقد عُرِّف

علماء النفس الدافع بأنها ''حالة من الإثارة أو التنبه داخل الكائن العضوي في الإنسان والحيوان تؤدي إلى سلوك باحث عن هدف وتنتج هذه الحالة عن حالة ما، وتعمل على تحريك السلوك وتنشيطه وتوجيهه''،[7] وأشارت أنيتا وودلف (١٩٨٠) أن عملية التعلم والتعليم تقف على حسن استخدام علم النفس وما يتضمنه في توجيه المتعلم نحو التعلم[8] (أبو جادو، ١٩٨٨)، وبيّن الغزالي من خلال دراسته لسلوك الإنسان أهمية مراعاة ذلك في توجيه المتعلم وتقويم سلوكه وتوجيهه نحو غايات علمية مرتبة وفق سلم هرمي أعلاه مرضاة الله عزّ وجلّ، ثم تأتي بعده الغايات والأهداف الأخرى وقد أكد ماسلو maslow وهو أحد أكبر المهتمين بنظريات دوافع السلوك بل تنسب إليه هذه النظريات من حيث التأسيس قال ''إن حاجات الإنسان يمكن أن ترتب وفق سلم هرمي حسب أهميتها بدءاً من الحاجات الدنيا وحتى أعلى قمة هرم الحاجات، وإن الحاجة الأكثر إلحاحاً سوف تطغى على اهتمام الفرد ثم ينتقل إلى الأخرى بعد قضائها''.[9]

-ولم يفت الغزالي ما فات ماسلو حيث أراد الغزالي أن يجعل الحاجة الكبرى والدافع الذي يعتلي قمة الهرم مستمر الدافعية والإلحاح، فمرضاة الله تطلب بالعلم حتى آخر لحظة في حياته، في حين رأى ماسلو أن المتعلم تتناقص عنده حدة الدافعية كلما قُضيت واحدة منها.

- وينبغي على المعلم أن يتابع المتعلم في تحصيله ويرأب الصدع بين المتعلم وصعوبة المادة العلمية، حتى لا ينصرف عن التعلم بسبب الصعوبة، وهذا ما أوصى به الغزالي حيث قال: ''ولا يُعرض المتعلم عن العلم والتعلم إذا لم يؤثر في قليله شيء من العلم فإن العلم إذا دخل السمع نفعه يوماً، وكذلك عمل بما علم ولم يتركه''.[10]

١- ٢ مبدأ مراعاة أهمية التعلم والاستيعاب لدى الطلبة: يعد هذا المبدأ من أهم مبادئ التعليم حتى إن متابعة التخصص العلمي في العصر الحالي يخضع إلى تقييم القدرات لدى الطلبة ومدى أهليتهم لمتابعة هذه العلوم وأكد الغزالي على ذلك فقال ''لا يُكتم العلم عن أهله فإن وضع العلم في غير أهله إضاعة له، ومنعه عن أهله ظلم وجور ويسأل عن كل منهما يوم القيامة''[11] وعدّ الغزالي منع المؤهلين من تعلم الفن المناسب لمؤهلاتهم وقدراتهم ذنباً يحمل مسؤوليته المعنيون بذلك ''التربويون''، وأكد كثير من العلماء المسلمين أهمية مراعاة الاستيعاب لدى المتعلمين(كابن حيان وابن خلدون) قال أبو حيان التوحيدي ''إن الناس في العلم ثلاث درجات فواحد يلهم فيتعلم فيصير مبدعاً، والآخر يتعلم ويلهم فهو يؤدي ما حفظ، والآخر يجمع له بين أن

يلهم وأن يتعلم فيكون بقليل ماتعلم مكثراً بقوة ما يلهم''،[12] وقال ابن خلدون: ''إن الشدة على المتعلمين مضرة بهم وذلك أن إرهاق الحد في التعليم مضر بالمتعلم سيما في أصاغر الولد، ومن كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين سطا به القهر وضُيّق على النفس في انبساطها، وذهب بالقهر عليه، وعلمه المكر والخديعة وصارت له هذه عادة وخلقاً وفسدت المعاني الإنسانية التي له من حيث الاجتماع والتمرن وهي الحمية والمدافعة عن نفسه ومنزله، وصار عيالاً على غيره في ذلك''.[13]

١-٣ مبدأ إلزامية التعليم: بدأ تطبيق إلزامية التعليم في العالم منتصف القرن الثامن عشر في دول أوربا وصار ينتقل إلى دول العالم حتى أضحى قانون إلزامية التعليم سائداً في معظم دول العالم في القرن العشرين، بينما أكد الإمام الغزالي مبدأ إلزامية التعليم منذ القرن الخامس الهجري (القرن الحادي عشر الميلادي) حيث قال: ''ثم اعلم أن كل علم يتوصل به إلى فرض عين فتحصيله فرض عين''،[14] ولم يقتصر مبدأ إلزامية التعليم عند الغزالي على سن محدد كما هو في العصر الحالي، إنما هدف تطبيق مبدأ إلزامية التعليم إتاحة فرص التعليم لجميع أفراد المجتمع، حيث قال: ''إن العلم المتعلق بمعرفة الله تعالى وبالصلاة والزكاة والصوم والحلال والحرام وغير ذلك فرض عين، ولا بد لكل مسلم ومسلمة طلبه وتحصيله وإقامته''،[15] ويمكن أن يسمى المبدأ وفق ما يراه الغزالي ''مبدأ تعميم تعليم''، وبيّن الغزالي سن التعليم الإلزامي إذ افترض أنه ينبغي أن يكون قبل البلوغ ''يجب على المتعلم أن يتعلم في صغره قبل البلوغ أو بعده''،[16] وأوجب الغزالي على الأبوين إلزامية تعليم أبنائهم، وهذا ما عليه التربية المعاصرة إذ ألزمت الأب تعليم الأبناء في سن الإلزام، قال الغزالي ''يجب على الآباء تأديب الأبناء وتربيتهم وإرسالهم إلى المعلم إذا بلغ أربع سنين وأربعة أشهر وأربعة أيام، فإن الأب إذا لم يؤدب ابنه ولم يجلسه بين يدي المعلم ظهرت آثار الانحراف في جميع أعضائه وخصوصاً في لسانه وذهب استعداده وقابليته للعلم وحدث الجهل والطغيان وأنواع المعاصي فيه''،[17] ولم يحدد الغزالي سناً للتعليم الإلزامي كما هو عليه الحال في التربية المعاصرة بل جعل طبيعة العلم وأهميته تفرض إلزاميته ''كل ما لا يؤمن من الهلاك مع جهله فطلب علمه فرض عين ولا يجوز تركه إن منع الأب عن طلبه''.[18]

١-٤ مبدأ مراعاة قبول المتعلم: أكد الغزالي هذا المبدأ بكلام موجز حيث قال ''لا يعلم العلم إلا لأهله''[19] في هذا الكلام بالغ الحكمة والفائدة فإن العامل الأهم في استمرارية التعلم مراعاة ميول المتعلمين، وإتاحة المتابعة لهم في العلوم التي يرغبونها.

١- ٥ مبدأ تطبيق التربية العملية: إن الاكتفاء بالعلم النظري وحده لا يجدي نفعاً ما لم يرتبط بتطبيق على أرض الواقع وعنون الغزالي لذلك بقوله ''العمل بعد العلم'' واستدل على ضرورته بحديث النبي ﷺ ''خيركم من تعلم العلم وعلمه الناس''.[20]

١-٦ مبدأ التعلم الوظيفي: أكد علماء التربية ضرورة أن تؤدي المادة التعليمية إلى فهم وظيفي مرتبط بالحياة، ومتسق في مواقف معينة وهو أحدث الوسائل التربوية التي ترمي إليها التربية المعاصرة،[21] واهتم الإمام الغزالي بهذا المبدأ بل جعله أساساً في التعلم ومن أكبر غاياته، فالمتعلم ينبغي أن يعلم أن العلم هو خير زاد ينفعه في الدنيا والآخرة فهو متصل بواقعه المعاش الدنيوي، وزاده بعد الموت ونقل الغزالي قول معاذ بن جبل رضي الله عنه ''إن العلم أنيس في الوحدة وصاحبي في الخلوة، ودليلي عند الحيرة، والوزير عند الأخلاء، التفكر فيه يعدل بالصيام، ودراسته يعدل بالقيام، وبه يعبد الرب، وبه يوحد، وبه يطاع، والعمل تابع له ففيه عز الدنيا وسعادة الآخرة''.[22]

١-٧ مبدأ الثواب والعقاب: (الترغيب والترهيب): قام مبدأ الثواب والعقاب بدور مهم في تدعيم الدافعية، وعني الغزالي بهذا المبدأ من خلال تبيان ثمرات العلم في الدنيا والآخرة، ومساوئ ترك العلم في الدنيا والآخرة والعقاب المترتب على تركه.[23]

وأكد ثورندايك على قانون الثواب والعقاب في تدعيم وتقوية الرابطة بين المثير والاستجابة على أن تستخدم بدقة لتثبت السلوك المرغوب، ومنع السلوك غير المرغوب.[24]

١-٨ مبدأ الهمة والجدية عند الغزالي: عنون لهما الغزالي معاً لارتباطهما الوثيق فقال ''ويجب على المتعلم الهمة العالية في العلم وغيره فإن المرء يطير بهمته كما يطير بجناحيه، أما إذا كانت له همة ولم يكن له جد أو كان له جد ولم تكن له همة عالية فلا يحصل له من العلم إلا قليل''.[25]

١-٩ مبدأ النشاط الذاتي في التعلم: يعد هذا المبدأ أحد أهم دوافع التعليم حيث يظهر المتعلم أن العلم غاية في ذاته وتغلب دافعيته على الدوافع الأخرى التي تعمل على استثارة المتعلم، وقد عمل الغزالي على هذا المبدأ في كتابه منهاج المتعلم حيث بيّن أن غاية العلم هو العلم ذاته فبه تدرك السعادة الدنيوية والأخروية، قال الغزالي ''العلم رفيق الدنيا والآخرة، وإن ثواب العلم يحقق السعادتين الدنيوية والأخروية''[26] وعند إدراك المتعلم أن العلم غاية بذاته فتتساوى عنده ''الغاية والدافع'' مما يعزز في نفسه الغائية والدافعية نحو التعلم، وفي هذا سبق للغزالي، ولم يفطن له القدماء ولا المتأخرون، فقد رأى الفلاسفة أمثال ''سقراط، أفلاطون، أرسطو...'' أن العلم غاية في

ذاته حيث تطلب اللذة المعرفية ولا يدركها إلا الخواص وهم الفلاسفة،[27] في حين يلاحظ أن علماء المسلمين تعلموا من الإسلام أن التعلم منفعة ولذة تقدم لجميع الناس، ولا يختص فيها أحد عن الآخرين، وأرجع الإمام الغزالي تحفيز النشاط الذاتي عند المتعلم إلى تعريفه بأثر العلم في حياته فقال ''إن علم ما يتعلق بنفسك في جميع الأحوال بمنزلة الطعام والشراب ولا بد لكل أحد من ذلك فإن حياة القلب به، كما أن حياة البدن بهما''،[28] وقال الغزالي ''واعلم أن الله تعالى جعل العلم وسيلة إلى كل فضيلة، وأن العلم ليزداد به الشريف شرفاً ويرفع العبد إلى مجالس الملوك''.[29]

١-١٠ مبدأ مراعاة القدرات العقلية لدى المتعلمين: يختلف المتعلمون بقدراتهم العقلية والاستيعابية للعلوم المقدمة إليهم، وقد أكدت التربية المعاصرة ضرورة استخدام الفرز الدراسي للتلاميذ بناءً على قدرات التحصيل لديهم وعلى ذلك فإن الجمع بين الطلبة الموهوبين والمتأخرين دراسياً سيؤثر سلبا عليهم جميعاً وقال INGRAM (إنجرام) بضرورة فرز المتأخرين دراسياً في صفوف خاصة تراعى فيها قدراتهم التحصيلية ويسير المعلم معهم حسب استيعابهم، وعليه أيضاً يستلزم إفراد الموهوبين بعناية فائقة من خلال تخصيص مدارس لهم تعمل على توجيه نشاطهم التعليمي نحو فاعلية تتناسب مع قدراتهم وتفوقهم الدراسي والعقلي والتحصيلي.[30]

- ويظهر سبق الإمام الغزالي تأكيده ضرورة مراعاة هذا المبدأ حيث قال ''ويجب على المعلم أن يتكلم في كل نوع من العلم بما يبلغ عقل المتعلم ويدرك ذهنه قال ﷺ 'كلموا الناس على قدر عقولهم' وعليه أن يحدث الناس بما يفهم القلوب بلا مشقة''.[31]

- ويظهر سبقه أيضاً في تأكيده على مبدأ الفصل الدراسي بين المتفوقين وغير المتفوقين لمراعاة حال كل من الفريقين حيث قال ''ويجب على المعلم أن يشخص طبيعة المبتدئ من الذكاوة والغباوة ويعلمه على مقدار سعته ولا يكلف الزيادة في مقداره... ولا يشرك الذكي مع الغبي فهو تقصير في الذكي وكسلان في الغبي...''[32] فالغزالي يرى في دمج تعليم المتفوقين والمتأخرين دراسياً ظلماً لكلا الجانبين فأحدهم يحتاج إلى علوم تناسب ذكاءه وقدراته، وآخر يحتاج إلى مراعاة قلة استيعابه لذلك أوصى الغزالي المعلم بالصبر والتكرار لأمثال هؤلاء حيث قال ''ولا يغضب بل يكرر في محل لا يفهمه حتى يفهم''.[33]

١-١١ مبدأ التعامل الودي مع غربة الطلبة المستجدين: يشعر كثير من الطلبة بالغربة في بداية مراحل التعليم بسبب الانتقال من مكان معتاد عليه إلى مكان جديد

بمناخه ومحيطه وبيئته، مما يستلزم على المربين أن يخففوا من وحشة الطلبة وعزلتهم، قال الغزالي ''يجب على المعلم إذا جيء بمبتدئ أن يراعيه ويكرمه ويعزه إلى يوم كان مأنوساً لأن المبتدأ كالطير الوحشي لا يأنس إلا بالتلطف فإن العلم أشق عليه وأمر فيجب إصلاحه على ما يقتضيه طبعه''[34] وما نبه إليه الغزالي في عصره حاول استدراكه المربون المعاصرون وذلك بتأكيدهم على التعامل الودي الأبوي مع الأطفال في قدومهم الأول للتعلم أو انتقالهم من مرحلة لأخرى أو لصف جديد.

١-١٢ مبدأ إنسانية التعلم: إن أي تفسير في السلوك والاستجابة بناء على التدريب والممارسة يسمى تعلماً عند علماء النفس، إلا أن المحرك الأساسي للسلوك عند الحيوانات هو الغريزة وكثيراً ما تهدى الغزيرة الحيوان إلى الفعل المناسب الملبي للحاجة، ومع أن الإنسان كرمه الله بالعقل وفاق الحيوانات بالتفكر والتدبر إلا أنه قد ينحط في درجات التفكير دون الغريزة فينغمس في الجهل المطبق قال تعالى: ﴿إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾الفرقان:٤٤ ولم ينسب الغزالي التعلم إلى الإنسان والحيوان معاً كما قال علماء النفس المعاصرين بل أكد إنسانية العلم حيث قال ''إن شرف العلم لا يخفى على احد من ذوي العقول مع أنه مختص بالإنسانية لأن جميع الخصال سوى العلم يشترك فيه الإنسان وسائر الحيوانات كالشجاعة والشفقة''.[35]

١-١٣ مبدأ إتقان آلة العلم: إن اللغة مفتاح التعلم ولذلك أكد الغزالي أهمية إلمام المتعلم باللغة العربية وصنوفها ليسهل عليه طلب العلم، حيث قال ''ويجب على المتعلم أن يقوم في التعلم الأهم من العلوم وهو الصرف والنحو وغيرها على الترتيب وذلك أن العلماء لا يصلون إلى مقاصدهم من العلوم إلا بسبب الألفاظ ولا تحصل إلا بهما''.[36]

يبين الغزالي أهمية اللغة العربية، فهي لغة راسخة بالقرآن واستمدت قدسيتها وانتشارها من دين الإسلام الذي فرض حب اللغة العربية والتعبد فيها بالصلاة وقراءة القرآن، ويذكر د.عناية الله في ''جامعة البنجاب'' ''أن العربية ذات أهمية عظمى لكونها اللغة الدينية للمسلمين، وبدون العربية يكون فهم الإسلام ناقصاً، ولأجل فهم الأفكار المؤثرة في حي االمسلمين وعقائدهم ومبادئ دينهم وأخلاقهم التي ينشئون عليها، وعلينا أن نعود إلى العربية، فهي الأداة الأصيلة لكل العلوم الدينية في الإسلام''،[37] ويؤكد العلماء أمثال ''جودوين، وكلوزومايز'' أهمية تعلم المفاهيم الصحيحة لأنها أساس التعلم والدراسة وهي الأداة الأساسية التي تحصل بها العلوم وهذا لا يفرق عنه قول الغزالي الذي عدّ فهم مدلول الكلمة أساس التعلم .وقال فيناك مؤكداً أهمية فهم

اللغة كونها أداة التعلم ''إن المفهوم هو تنظيم عقلي وذهني الذي يرتبط بها الفرد المثيرات السابقة بالأشياء في البيئة''،[38] وأشار الغزالي إلى التنظيم في الوصول للمعرفة، وذلك من خلال التنظيم العقلي المترتب على معرفة الكلمة ''الصرف'' ومدلولها ''النحو'' ثم ربط المعلومة بمدلولها ثم تعميمها لتحصل المعرفة بها.

١-١٤ مبدأ ربط التربية بالتعليم: إن ربط التربية بالتعليم يدل على الاهتمام بالجانب النفسي للمتعلم الذي يحكم سلوكه ويؤثر فيه، ولقد آمنت معظم الهيئات المعنية في التعليم بالعالم بأن التربية والتعليم مترابطان ولا ينفكان عن بعضهما، وهذا ما يفسر تسمية معظم الوزارات المعنية بالتعليم لمن هم تحت سن الجامعة بوزارة التربية والتعليم، حيث لم تعد المدارس مقتصرة على تقديم المعرفة العلمية فقط بل هي معينة بجميع جوانب نمو الفرد ''الطالب'' (العاطفي -الأخلاقي- العقائدي.) وأكدت المؤتمرات والمنظمات المعنية بالتربية ضرورة تأهيل التلميذ ومساعدته على تنمية سلوكه من جميع النواحي العقلية والجسمية والانفعالية وفق مواقف تربوية هادفة[39] ولقد سبق الإمام الغزالي في تبيان ضرورة هذا الارتباط بين التعليم والتربية إلا أنه قدم لمعنى ذو أهمية كبرى غفل عنه المتأخرون حيث أكد ضرورة تقديم التربية لتكون وعاءً للتعليم، وذلك بجعلها أداة للتعلم حيث قال ''الأدب قبل العلم ويبدأ بالتأديب ثم بالتعليم، فإن التعليم لا يكون إلا بعد التأديب لأن من ليس له أدب ليس له علم''.[40]

١-١٥ مبدأ تكريم المعلم: جعل الإسلام للمعلم مرتبة عالية تتناسب مع المسؤولية الملقاة على عاتقه، وهذا ما جعل علماء المسلمين يعنون بالمعلم وحقوقه وواجباته، فقد ذكر الغزالي فضل المعلم وعنون لذلك وأورد أحاديث شريفة شرح فيها فضل العلم ونقل الغزالي قول ''الربيع بن سلمان المرادي المتوفى ٢٧٠هـ 'العلماء سراج الأزمنة فكل عالم مصباح زمانه يستضيء به أهل زمانه وقال بعضهم كل حملة فيها عالم فهم أحياء، وكل حملة لا يكون فيها عالم فهم أموات' ''[41] وبذلك يظهر تكريم الإسلام للمعلم وإعطائه قيمة كبرى تستوجب التقدير والاحترام.

١-١٦ مبدأ التواد بين المعلم والمتعلم: راعى الإسلام مبدأ التوازن بين المعلمين والمتعلمين، وأعطى لكل حقه من خلال الانتصار لكليهما، وذلك بإلزام المعلم بواجباته وإلزام المتعلمين بتقديره وتكريمه،[42] وحثّ المتعلم على طلب العلم، وجعل مقياس التعلم والأدب المقيم الأساس له وإلزامه بتوفير واحترام معلمه والتقرب والتودد إليه[43] ويحصل ذلك التوازن عندما يعلم المعلم أن ثمرة علمه هو المتعلم،

وأن يعلم المتعلم أن سبب تعلمه وتحصيله الخير يرجع إلى المعلم بعد فضل الله عزّ وجلّ.

١-١٧ مبدأ التكرار الفعال: عنون الغزالي للتكرار بأنه رأس الحفظ فهو مبدأ من مبادئ التعلم،[44] وذكر الغزالي شروطاً للحفظ والاسترجاع باستخدام التكرار، ومنها:

١- عدم الاكتمال ''فينبغي للمبتدئ أن يكون قدر ما يمكن ضبطه بالإعادة مرة أو مرتين ويزيد كلمة بمقدار ما حصل حفظه بلا مشقة''،[45] ويعد هذا الشرط أحد أهم شروط الحفظ والاسترجاع، وهو الدافعية نحو الإكمال حيث تميل الفاعلية عند الإنسان إلى الإغلاق، وهو ما أكده الغزالي وما توصل إليه المتأخرون من علماء النفس. ''إن الأعمال التي يبدؤها الإنسان ثم يضطر إلى عدم إتمامها يخلق في نفسه توترات لا تزول إلا إذا أتم هذه الأعمال وأغلق دائرة نشاطها''.[46]

٢-الانتقال من الأدنى إلى الأعلى (توفير الاستمرارية) وفي ذلك يقول الغزالي ''ويكرر سبق الأمس خمس مرات وسبق اليوم قبل الأمس أربع مرات، وهكذا إلى واحد ويجب عليه أن يكرر كثيراً بعد الحفظ فإنه نافع جداً''.[47]

قال حمّاد أستاذ أبي حنيفة:

اخدم العلم خدمة المستفيد وأدم درسه بفعل حميد

وإذا ما حفظت شيئاً أعده ثم أكده غاية التأكيد

ويظهر أن التكرار يستخدم كطريقة تعليمية تسهم في تثبيت الحفظ لدى المتعلم، وقد حملت أفكار وآراء كثير من علماء المسلمين لتحط في بلاد الغرب ثم يرجع بها إلى الدول العربية والإسلامية على أنها نتاج علومهم وتجاربهم، وإن من علماء المسلمين محمود الكرماني كتب في التكرار رسالة سماها ''أسرار التكرار في القرآن'' حيث بيّن أن القرآن الكريم يكرر القصص والآيات بأسلوب ماتع يثبت الحفظ ويبعد الملل وهو أسلوب يجب أن يفيد منه كل متعلم وذلك بإبعاد التكرار عن النمطية والملل.[48]

١-١٨ مبدأ تدعيم التذكر عند الغزالي: أكد الغزالي على المتعلم ضرورة أن يتقن الحفظ من خلال تدعيم التذكر باستثمار الوقت في الحفظ، وتثبيت الحفظ بالكتابة ''ويجب على المتعلم أن يكون مستفيداً في كل وقت حتى يحصل له الفضل وأن يكون معه في كل وقت محبرة حتى يكتب ما سمعه من الفوائد حيث قال (من حفظ فرّ ومن كتب قرّ''[49] فإن التثبت للمعلومات يكون بالكتابة ويذكر الشافعي رحمه الله في ذلك شعراً:

العلم صيد والكتابة قيده قيّد صيودك بالحبال الواثقة

فمن الحماقة أن تصيد غزالة وتتركها بين الخلائق طالقة

- أثبت علم البيولوجيا والتشريح أن في دماغ الإنسان جملة عصبية، وفصوصاً مخية (الفص الجداري، الجبهي) تخزن المعلومات وتحتفظ بها وتعد الكتابة أحد المدونات على تلك الفصوص.

- وإن أهم العوامل المساعدة على الحفظ والتثبت عند الغزالي ''مواظبة الدرس، والحفظ وقت السحر، والتكرار ما بين العشاءين، ويجب عليه أن يستعمل ما يجلب الذكاء ويدفع النسيان والكسل فإن زوال العلم بالنسيان وأصل النسيان العصيان، المحافظة على السلامة البدنية ''لأن كثرة الطعام تكثر الماء والماء يكثر البلغم والبلغم يسبب النسيان والحجامة في القفى تورث النسيان'' والحفاظ على صحة الجسد وسيما الرأس فإن الجروح المقابلة لنقرة الرأس قد تسبب نسياناً حيث تقابل الجملة العصبية عند الإنسان والتي غالباً ما تستودع فيها المعلومات''.[50]

١-١٩ مبدأ الاهتمام بالمجال الانفعالي في التربية والتعليم: لم يهمل الغزالي الجانب الانفعالي في التربية والتعليم، بل أكد ضرورة مراعاة التقبل والاستيعاب عند المتعلم، وقد قدم العالم (كراثول) krathwohl تصنيفاً للأهداف السلوكية وفق المجال الانفعالي وصياغتها بمستويات متعددة، وهي:

١- الاستقبال: يجعل المتعلم حساساً لوجود بعض الظواهر والمثيرات، ويحتاج إلى وعي وإرادة في الاستقبال والإصغاء.

٢- الاستجابة التي تلي الانتباه إلى الظواهر: وتظهر على شكل ''قبول، أو إرادة في الإجابة، أو رضا في الاستجابة''.

٣- التقويم يظهر في تمثل القيمة عنده (تقبل القيمة، التفصيل، التمثل).

٤- التنظيم: تنظم القيم المتمثلة في نظام وتحديد العلاقات بينها ثم ترتيب القيم.

٥- تمييز قيمة أو نظام قيم لتأخذ مكانها.[51]

ويلاحظ أن مجال الانفعال عند(كراثول) يشابه كثيراً ما أكد عليه الغزالي في كتابه منهاج المتعلم فحسن العبارة والإيضاح يهيئ للاستقبال عند المتعلم ويثير عنده استجابة تظهر على شكل قبول لدى المتعلمين، ثم يعمل المعلم على تفصيل ما أجمله من كلام وإيضاحه وهذا يقابل التنظيم للقيم حتى يصل لدرجة التمييز، وذلك عندما يفهم من المعلم المراد بسهولة.[52]

وإن كان بلوم جعل الفهم يتوقف على استخدام المتعلم للأدوات والأفكار دون حاجة لربط هذه الأدوات بغيرها وأرجعه إلى نقل الأفكار والاستنتاج أو الاستقراء[53] إلا أن الغزالي جعل عملية إيصال المعلومات وإيصال الفهم تقع على عاتق المعلم أولاً وذلك باستخدام الشرح والإلقاء بما يناسب المتعلم ثم إتباعه بالتفصيل وحسن الكلام والتفصيل حتى يثبت له التعلم ''عن طريق فهم المتعلم بالتصريح أو بالتقويم''[54] ولم يدع ذلك لمبادرة المتعلم الافتراضية.

١-٢٠ مبدأ التربية الشاملة (التكاملية): لا يمكن فصل دور الأسرة والمجتمع عن دور المدرسة، فقد أثبتت التربية الحديثة ضرورة التكامل بين: ''البيت -المدرسة- المجتمع''، وعرفت اليوم بـ ''حركة مدرسة المجتمع''،[55] وألمح الغزالي على دور الوالدين وتواصلهم مع المعلمين حيث قال: ''يجب على الآباء أن يجدوا معلماً متصفاً بهذه الصفات''[56] وأكد بيرمر: أنه لا بد من تعاون الأسرة مع المدرسة من أجل مراعاة الخصائص الفردية لكل تلميذ على حده، وعبر هذا التعاون يدرك الأهل واقع سلوك أبنائهم التعليمي ويعملون على تحسين مستوى طفلهم التعليمي، ويحصلون على نواح ثقافية تتمحور في كيفية التعامل مع طفلهم بطريقة تربوية سليمة (السنبل، ٢٠٠٤)[57] وأسند الغزالي إلى الأهل الدور الأساسي في التربية الأخلاقية حيث قال ''ويجب على كل مسلم أن يجري لسان ابنه على كلام طيب وألفاظ مليحة يجزره عن كلمات الفحش والمهملات إذا ابتدأ التكلم''[58] وذكر الغزالي آداباً يتوجب على الأب تعليمها لابنه أثناء تلقيه العلم ومنها ''الانحناء للعاطس والشارب ومطارقة النعلين (النظافة) والجلوس على ركبته فإن الابن على ما رآه في حال الصبا من الأقوال والأفعال كما قيل (العلم في الصغر كالنقش في الحجر)''[59] (الغزالي، ٢٠٠٥)، وإن التربية المعاصرة تحمل الجانب التربوي لكل من الأسرة والمدرسة معاً، ولا يمكن للمدرسة أن تضطلع بهذا الدور وحدها،[60] (القائمي، ١٩٩٥) وقد شاع حديثاً عند التربويين المعاصرين مفهوم مدرسة المجتمع التي تؤكد وجود ترابط بين المدرسة والأسرة والمجتمع (السنبل، ٢٠٠٤)[61] وهذا ما أكد عليه الغزالي إلا أنه غلّب دور الأهل في التربية، ودور المدرسة بالتعليم وفي ذلك فائدة كبيرة حيث يثمر تعاونهما تربية وتعلماً فاعلين، وقد حمل الغزالي الوالدين مسؤولية المحافظة على القابلية والاستعداد للتعلم عند الأبناء، وهذا يبين أهمية التكامل في التربية المجتمعية وفق المنظومة الآتية:

١- التربية ''من الأهل'' والتعليم ''من المعلم'' ـ يوصل لمخرجات ''الأدب والعلم عند المتعلمين''.

٢- إذا عُدمت التربية وعُدم التعليم أو أحدهما ـ كانت المخرجات ''انحراف وتخلف وسوء أخلاق عند المتعلمين''.[62]

١-٢١ مبدأ علمية التعليم: عُدّ التزام الأسلوب العلمي في التعليم أهم المبادئ التربوية التي أكد عليه جميع التربويين ويقصد هذا المبدأ إلى تعريف المتعلمين بالمعارف ونظريات العلوم العصرية النافعة بطريقة علمية صحيحة، ولا بد للمتعلمين أن يعرفوا خواص الأشياء والظواهر وصفاتها، وأكد الإمام الغزالي على هذا المبدأ وبيّن ضرورة تقديم المعلم الأولى والأنفع إلى المتعلمين وصرفهم عن العلوم الضارّة ''إن كل علم يتوصل به إلى فرض عين فتحصيله فرض عين، وإن العلم المتعلق بمعرفة الله تعالى والصلاة والزكاة والصوم والحج وما يتعلق بالحلال والحرام وغير ذلك فرض عين، ...وعلم أحكام فرض الكفاية والسنة المؤكدة وعلم أيضاً حرمة تعلم ما يتوصل به إلى الحرام كتعلم السحر والنارنجات''[63] (الغزالي ٢٠٠٥)

١-٢٢ مبدأ المطارحة والمناظرة خير من تكرير شهر: وهذا المبدأ ذكره الغزالي وأكد أهميته في كتابه منهاج المتعلم (الغزالي ٢٠٠٥)[64] وهو مشابه للمبدأ الذي أكده الزرنوجي في كتابه تعليم المتعلم (الزرنوجي، ١٩٩٨)،[65] ويفيد هذا المبدأ المتعلم في تبيان أن التكرار الحرفي الأصم لا يفيد في التعلم إذا لم يدعم بما يثبته في الذهن، وإنما التكرار الفعّال هو المدعم المثبت ومثاله ما ذكره ثورندايك بأن التكرار المقرون بالثواب هو أكثر فاعلية في التعلم (راجح، ١٩٧٨)،[66] وإن استخدام المطارحة والمناظرة يفعل عملية التكرار لأنه يحرض على عملية الانتباه والملاحظة، وقد ذكر علماء التربية والنفس شروطاً للتكرار المفيد الذي تحققه طريقتا المطارحة والمناظرة، والشروط هي: أن يقترن التكرار بالانتباه والملاحظة، القدرة على التمييز بين الاستجابات الصحيحة والخاطئة، أن يقترن التكرار بالتدعيم.أن يعرف المتعلم من خلال التكرار مدى تقدمه في التعلم.[67] (راجح، ١٩٧٨)

١-٢٣ مبدأ المواءمة بين مراعاة الميول وتوجيه الميول: أكد الغزالي على ضرورة توجيه المتعلم نحو العلوم التي تتوافق مع قدراتهم ومؤهلاتهم ''ويجب على المتعلم ألا يختار نوع العلم بنفسه بل يفوض أمره إلى أستاذه''،[68] ويؤكد كثير من التربويين المعاصرين في المدارس الغربية ضرورة تصنيف التلاميذ حسب قدراتهم الدراسية، والجماعات المتشابهة، وقد دعم الغزالي منهجه باستخدام التعلم السلوكي مراعاة لميول وتوجه المتعلمين حيث أكد على ''التكرار، والتدعيم والتعزيز بالإثارة والاهتمام، وتنمية قدرة المتعلم على التمييز من خلال المطارحة والمناظرة

والمدارسة، الجدة والإبداع، وتدعيم الدوافع وتحفيزها'' وهذه السلوكيات الخمسة تعد منهجاً للمدرسة السلوكية.[69] (المبروك، ١٩٨٧)

١-٢٤ مبدأ التدرج في التعليم لدى المتعلم:

أكد الغزالي على ضرورة الانتقال من الأهم إلى المهم فقال: ''يجب على المتعلم أن يقدم في التعلم الأهم من العلوم وهو الصرف والنحو وغيرها على الترتيب'' (الغزالي ٢٠٠٥)[70] وإن إدراك المتعلم لأهمية العلم يجعله أكثر اهتماماً ودافعية للتحصيل.

١-٢٥ مبدأ الاهتمام بالمادة العلمية: إن معرفة المتعلم أهمية المادة العلمية يثير عنده دافعية التعلم، وعليه تقوم التربية الحديثة التي تحاول أن تعرض كل مادة علمية بشكل يثير الاهتمام لدى المتعلم، وأشار الغزالي إلى أن الاهتمام بالتعلم يبدأ من الاهتمام أولاً بالانتفاع من العلم والمعلم ''يجب على المتعلم تعظيم العلم وأهله وأستاذه وعليه أن يعلم أنه لا ينال العلم ولا ينتفع به إلا بتعظيم العلم وأهله وبتعظيم أستاذه'' (الغزالي ٢٠٠٥)[71]

١-٢٦ مبدأ مراعاة الاستعداد والقابلية للتعلم: قال الغزالي ''كل مولود يولد على القابلية والاستعداد إلا أن أبويه يُجهلانه، فإن الابن إذا اكتسب الأدب والعلم والمعرفة وأنواع السعادات الدنيوية والأخروية حصل من هذه الأوصاف الحميدة خير كثير له ولأبويه'' (الغزالي ٢٠٠٥)[72] وعدّ ثورندايك أن هناك قوانين تحكم عملية التعلم وهي قوانين الاستعداد والتهيؤ للتعلم والتمرين والثواب والعقاب (قانون الأثر)

١- قانون التدريب (التكرار) يبين أن قوة الاستجابة والتعلم تزداد في حال تكرار استعمالها.

٢- قانون الأثر: التكرار يقوي الارتباط بين المتعلم والمادة العلمية، وإنما يحدث الارتباط نتيجة الأثر القوي ''يقول ثورندايك تزداد قوة الارتباطات بين مثيرات معينة واستجابات معينة إذا كانت هذه الاستجابات متبوعة بحالة من الرضا والسرور أو الإشباع وتضعف هذه الارتباطات إذا كانت متبوعة بحالة من الضيق أو الألم أو الإزعاج''. (راجح ١٩٧٨)[73]

٣- قانون الاستعداد ''يفسر ثورندايك الارتباطات العصبية الوصلية بوحدات التوصيل العصبية - إما تكون مستعدة ويحدث التوصيل ارتياح أو لا يحدث، وهذه تعكس الحالة والعلاقة بين الخلايا العصبية وجاهزيتها للعمل واستعدادها والحالة

النفسية التي يكون عليها الكائن بالنسبة لميوله واتجاهاته.''[74] (راجح ١٩٧٨ / منصور ٢٠٠١)

ويلاحظ أن الغزالي حمل الاستعداد والقابلية على الفطرة التي فطر الله الإنسان عليها، وإن بقاءها يتحوّل إلى حسن تعامل الوالدين مع أبنائهم وهذا يفسر قابلية التعلم عند كل إنسان وبالمقارنة بين قولي ثورندايك والغزالي يُتوصل إلى أن ثورندايك يحمل الاستعداد على أمور عصبية داخلية متوافقة مع مواقف خارجية تحدث استعداداً، في حين حمل الغزالي الأهل ضرورة تعميق هذا الاستعداد في داخل أبنائهم وذلك بتزويدهم بالعلم والأدب والتواصل مع كل ما يعمقهما في النفس أي أن الغزالي فاق ثورندايك بتفسير الاستعداد عند الإنسان حيث جعله أمراً اكتسابياً يمكن التهيؤ له.

١-٢٧ مبدأ العناية بتأهيل المعلم: إن الدور الذي ينبغي أن يضطلع به المعلم يفرض عليه التمتع بصفات تؤهله لهذا العمل، وتؤكد التربية المعاصرة ضرورة توفر صفات في المعلم الجيد حتى يستطيع القيام بالتربية والتعليم، ومن يتبع الصفات التي أكد عليها الإمام الغزالي سيلحظ أن معظمها نادى بها المربون الغربيون أمثال: ''كمينسكي الروسي، بيرج الأمريكي، دافيد كينيث'' ومن هذه الصفات:

١- الحلم والأناة قال الغزالي ''ولا أفضل من علم، علم يزيده حلماً، (من عالم حليم)، والحلم ترك الاستعجال في العقوبة والانتقام''.[75]

٢- المهارة والقدرة على التعليم: قال الغزالي ''يجب أن يكون المعلم ماهراً في فنّ بعلمه'' وأشار إلى ضرورة أن يحقق في العلم قبل بذله.[76] (الغزالي، ٢٠٠٥)، ويعد هذا المبدأ من المبادئ العامة التي نادت بها المؤتمرات والمنظمات التربوية حيث أكدت منظمة اليونسكو للتعليم على ضرورة رفع ثقافة المدرسين، وتمرسهم بمهارات متخصصة وإكسابهم إياه حتى يقدروا على القيام بالمهام المطلوبة منهم[77] وأكد بيجس أن المعلم الماهر هو الذي يقدر على تحويل الأهداف التربوية العامة والخاصة إلى مواقف سلوكية وخبرات تعليمية تحقق نمواً شاملاً(Beqqs 1983)[78] وأشار ويلي إلى أهمية التدريس التخصصي حيث أضحى مطلباً عالمياً وهذا التدريس يفرض على المعلم التمكن والتخصص من المادة العلمية.

٣- التواضع والبعد عن التكبر: قال الغزالي ''وعلى المعلم تقريب الفقير إلى نفسه، وقطع الطمع والتواضع للمتعلم بحيث لا يظهر عليه التكبر''. (الغزالي، ٢٠٠٥)[79]

٤- القدوة الحسنة: ذكر الإمام الغزالي صفات تجعل من المعلم قدوة حسنة للمتعلمين، وهي ''أن يكون طاهر القلب واللسان وأن يكون نظيفاً من الغيبة وعدلاً في الدين وناصحاً في جميع الأمور وملائماً في العيش، وشريفاً في النسب وكبيراً في السن، وألا يكون غضوباً، وألا يخالط السلطان، ولا يُلبس الدنيا بشغله عن أمر دينه'' (الغزالي، ٢٠٠٥)،[80] أراد الإمام الغزالي أن يبين للمعلم أن وظيفته الأهم تناط بتقديم العلم والمعرفة ضمن قالب أخلاقي خالٍ عن أي أهواء وميول.

٥- مراعاة حال الطلبة نفسياً ومؤانستهم: حثَ الغزالي على مراعاة الحالة النفسية لدى الطلبة، وضرورة استيعابهم لضمان انسجامهم مع الموقف التعليمي قال الغزالي ''يجب على المعلم إذا جيء بمبتدئ أن يراعيه ويكرمه ويعزه إلى يوم كان مأنوساً لأن المبتدئ كالطير الوحشي، لا يأنس إلا بالتلطف فإن العلم أشق عليه وأمرّ فيجب إصلاحه على ما يقتضيه طبعه''.[81] (الغزالي، ٢٠٠٥)

٦- مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين: قال الغزالي ''يجب على المعلم أن يشخص طبيعة المبتدئ من الذكاوة الغباوة ويعلمه على مقدار سعته ولا يكلف الزيادة في مقداره ومن كُلّف يئس عن تحصيل العلم فيتبع الهوى''[82]

٧- إدراك غاية التربية والتعليم: إن وضوح الهدف التربوي لدى المعلم يشكل عنده دافعاً ذاتياً للقيام بمهمته، قال الغزالي ''يجب على المعلم أن ينوي بتعليمه إرشاد عباد الله تعالى للحق فإن الله لو هدى رجلاً بسببه فهو خير له من جميع أموال الدنيا يتصدق بها في سبيل الله''[83] والتربية المعاصرة تؤكد على ضرورة معرفة الأهداف التربوية لدى المعلم، وقد أكد المربي (Mager) ''أن الأهداف التربوية يجب أن تكون واضحة وإلا فقد العمل غايته وسيتحول إلى عمل عشوائي وارتجالي (ومن لم يتأكد من المكان الذي ترغب الذهاب إليه فستجد نفسك في مكان آخر)''.[84]

وصارت الأهداف التربوية تأخذ مكانها في المناهج والتدريس منذ القرن التاسع عشر، إلا أنها كانت ذات أهمية وأولوية لدى الإمام الغزالي منذ ذلك العصر.

٨- العناية بشخصية المعلم وهندامه ''وينبغي أن يكون العلماء وطلاب العلم في زماننا أحسن ثياباً وأعظم عمامة وأوسع أكماماً فرقاً عن الجهلاء''.[85]

٩- إتقانه لأداء التوصيل المعرفي وهذا مما نبهت إليه التربية المعاصرة وسبق إليه الغزالي حيث قال ''ومن الواجب على المعلم حسن العبارة عند التكلم وتفصيل الكلام وإيضاحه بعد ظهوره''.[86]

١٠-توجيه المتعلم نحو تعلم العلم النافع والانصراف عن العلوم الضارة.

١-٢٨ مبدأ مراعاة الفروق الفردية: أكد الغزالي ضرورة مراعاة الفروق الفردية لدى المتعلمين وعدّه من المبادئ المهمة حيث قال الغزالي "وكما أن الطبيب لو عالج جميع المرضى بعلاج واحد قتل أكثرهم، كذلك المربي لو أشار على المريدين نمط واحد من الرياضة أهلكهم وأمات قلوبهم وإنما ينبغي أن ينظر في مرض المريد، وفي حاله وسنه ومزاجه وما تحتمله نفسه من الرياضة ويبني على ذلك رياضته".[87]

الخاتمة

يلاحظ من خلال ما أورده الإمام الغزالي رحمه الله تعالى سبق هذا العالم لما أتت به المدارس الغربية الحديثة، فغالب المبادئ التي ينادي بها الغرب في التربية والتعليم، ذكرها الغزالي قبلهم بثماني مئة عام، ويعلل ذلك بالمنهج العلمي الذي سلكه الغزالي في استنباط المبادئ التربوية من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وإن المتوجب على الأمة الإسلامية أن تنحى منحى علمائها الأقدمين الذين كانوا نبراساً وقدوة يستنار بها لأنهم عرفوا قدسية ما نزل فيهم من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فيرجعوا إليهما ويستقوا منهما ما يصلح حالهم بعامة وتربيتهم ومعاشهم، كما ينبغي أن يستفيدوا من التراث الذهبي الذي يمتلئ بكنوز من علماء محققين في كل العلوم وبخاصة في علوم التربية أمثال الغزالي والنووي وابن جماعة والهيثمي...

المراجع

١. إلياس، أسما (٢٠٠١)، اتجاهات حديثة في تصميم وتطوير المنهاج، دار التربية الحديثة، دمشق.
٢. الكرماني، محمود (٢٠٠٨)، أسرار التكرار في القران، دار الفضيلة، الرياض.
٣. القائمي، علي (١٩٩٥) أسس التربية، ، دار النبلاء، بيروت.
٤. جابر، عبد الحميد (١٩٨٢) الأسس العامة للتدريس، دار النهضة، بيروت.
٥. جمعة، عارف (٢٠٠٨) مفاهيم التربية الجنسية وطرائق تدريسها -رسالة ماجستير- كلية التربية، جامعة دمشق.
٦. حميدة، إمام (٢٠٠٠) أسس بناء وتنظيمات المناهج، دار الزهراء، القاهرة.
٧. الفنيش، أحمد (٢٠٠٣) أصول التربية، دار المدار الإسلامي.
٨. عبد الخالق، أحمد (٢٠١٣) أصول الصحة النفسية دار المعرفة الجامعية، القاهرة.
٩. راجح، أحمد (د، ت) أصول علم النفس المطبعة المصرية، الإسكندرية.
١٠. العلي، صالح (٢٠٠٩) أصول الفكر التربوي في العصور الوسطى عند علماء المسلمين رسالة دكتوراه، كلية التربية، جامعة دمشق.
١١. التوحيدي، أبو حيان (١٩٨٨) الإمتاع والمؤانسة ، تحقيق أحمد أمين، دار الكتاب العربي، بيروت.
١٢. سارتون، جورج (١٩٦٣) تاريخ العلم، دار المعارف، القاهرة.
١٣. غازي، نادر (٢٠٠٠) تحليل مضمون برامج التلفزيون السوري في التربية البيئية رسالة دكتوراه، كلية التربية، جامعة دمشق.
١٤. شمس الدين، عبد الأمير (١٩٩٢) التربية بين الوراثة والبيئية، دار البلاغة، بيروت.
١٥. عبد الدايم ، عبد الله (١٩٨١)، التربية عبر التاريخ دار الملايين، لبنان.

١٦. السنبل، عبد العزيز(٢٠٠٤) التربية والتعليم في الوطن العربي على مشارف القرن الحادي والعشرين، منشورات وزارة الثقافة دمشق.
١٧. منصور، علي (٢٠٠١) التعلم ونظرياته منشورات جامعة دمشق.
١٨. الزيادي، أحمد (١٩٩١) تعليم الطفل بطيء التعلم، دار الأهلية، عمان.
١٩. الزرنوجي، برهان الدين (١٩٩٨) تعليم المتعلم طريق التعلم دار النعمان للعلوم، دمشق.
٢٠. رمضان، إنصاف (٢٠٠٥) التفكير الفلسفي عند علماء المسلمين، دار المحبة، دمشق.
٢١. مسلم، إبراهيم (١٩٩٣) الجديد في أساليب التدريس، دار البشير، عمان.
٢٢. أبو خليل، شوقي (٢٠٠٢) الحضارة العربية الإسلامية، دار الفكر، دمشق.
٢٣. المبروك، عثمان (١٩٨٧) طرق التدريس وفق المنهج الحديث، الدار الليبية للنشر، طرابلس.
٢٤. أبو جادو، صالح (١٩٩٨) علم النفس التربوي دار الميسرة، الأردن.
٢٥. شمس الدين، عبد الأمير (١٩٩٠) الفكر التربوي عند الغزالي رسالة دكتوراه جامعة بيروت العربية لبنان
٢٦. هوفر، كينث (دت) المحاضرة، لايوجد اسم لدار النشر، ومكان النشر
٢٧. الجقندي، عبد السلام (٢٠٠٥) المرشد في طرائق التدريس منشورات الدعوة الإسلامية، طرابلس.
٢٨. ابن خلدون، عبد الرحمن (١٩٦٨) ديوان المبتدأ والخبر، لجنة البيان العربي، القاهرة.
٢٩. الغزالي، محمد (٢٠٠٥) منهاج المتعلم، دار البيان، دمشق.
٣٠. بشارة، جبرائيل (١٩٨٣) المنهج التعليمي، دار الرائد العربي، بيروت.
٣١. أحمد، شكري (١٩٩١) منهجية أسلوب تحليل المضمون وتطبيقاته، مركز البحوث التربوية، جامعة قطر.
٣٢. زغلول، محمد (١٩٨٠) نظرة في حاضر العربية، الكتاب العربي، القاهرة.
٣٣. دروزة، أفنان (٢٠٠٠) النظرية في التدريس وترجمتها عمليا، دار الشروق، عمان.

* * *

الهوامش

[1] دكتور في التربية – مدرس في أكاديمية بشاك شهر للعلوم العربية والإسلامية / اسطنبول.

[2] الحضارة العربية الإسلامية /شوقي أبو خليل، ص ١٧.

[3] المرجع السابق، ص١١٢.

[4] – نشأ الغزالي محباً للعلم طوّافاً في مجالس الفقهاء والعلماء لا يدخر وقتاً ولا جهداً ولا مالاً في سبيل العلم، وجعل من السفر سبيلاً للقاء العلماء والأخذ عنهم، فتتلمذ على أيدي أشياخ كبار أمثال: الإمام أحمد بن الرادذكاني، ونصر الإسماعيلي، وإمام الحرمين الجويني... ثم قصد بغداد فولاه نظام الملك سنة ٤٤٨هـ التدريس في مدرسة بغداد وأمضى فيها خمس سنوات حيث بلغ أعلى الرتب العلمية في عصره، ثم ترك التدريس وعكف على دراسة التصوف وتزكية النفس ثم رجع إلى طوس وتوفي فيها سنة ٥٠٥ هـ وبرع الغزالي في عدة علوم أهمها: الفقه وأصوله، وأصول الدين، وعلم العقائد، والتوحيد، وعلم المنطق، والفلسفة، والتربية، وعلم التصوف، وفاقت مؤلفاته ٢٥٠كتاباً، ولعل أشهر كتبه في التربية "منهاج المتعلم، إحياء علوم الدين" إضافة إلى آراء تربوية تضمنتها كتابات في الفلسفة والفقه والأخلاق. راجع التفكير الفلسفي الإسلامي / إنصاف رمضان، ١٨٢-١٨٤.

[5] منهاج المتعلم/ الغزالي، ٤٤-٤٦.

[6] المرجع السابق ١١٦.

[7] أصول الصحة النفسية / أحمد عبد الخالق، ص٣٦١.

[8] علم النفس التربوي / صالح أبو جادو، ٧٣، ١٩٨٨.

[9] maslow-1954, p 32

[10] منهاج المتعلم / الغزالي، ص١٠٦.

[11] منهاج المتعلم / الغزالي، ص٨٧.
[12] الإمتاع والمؤانسة / أبو حيان ص٤٧.
[13] مقدمة ابن خلدون، ص١٣٦٤.
[14] منهاج المتعلم / الغزالي، ص٤٤.
[15] المرجع السابق، ص٤٤-٤٥.
[16] المرجع السابق، ص١٠٨.
[17] المرجع السابق، ص٩١.
[18] المرجع السابق، ص١٠٣.
[19] المرجع السابق، ص٧٦.
[20] المرجع السابق ص٨٤.
[21] المرشد في طرائق التدريس / عبد السلام الجقندي، ص٢٥.
[22] منهاج المتعلم / الغزالي، ص٥٦.
[23] المرجع السابق، ص٦٦-٦٧.
[24] أصول علم النفس / أحمد راجح، ص٢٦٩.
[25] منهاج المتعلم /الغزالي، ص١١٠.
[26] المرجع السابق، ص٧٠.
[27] التفكير الفلسفي الإسلامي / إنصاف رمضان. ص٥٨.
[28] منهاج المتعلم / الغزالي، ص٤٤.
[29] المرجع السابق، ص ٤٦.
[30] تعليم الطفل / أحمد الزيادي، ص٤٠.
[31] منهاج المتعلم / الغزالي، ٨٨-٨٩.
[32] المرجع السابق، ص٨١.
[33] منهاج المتعلم / الغزالي، ص٨١.
[34] المرجع السابق، ص٧٩.
[35] منهاج المتعلم / الغزالي، ص٤٧.
[36] المرجع السابق، ص١٠٣.
[37] نظرة في حضارة العربية / محمدزغلول، ص ٢٣ GOOdwin-KLOUSMEIR-1975- p244 -٢٤
[38] vinack-1952- p106
[39] علم النفس التربوي / صالح أبو جادو، ص٤٥.
[40] منهاج المتعلم / الغزالي، ص٨٠.
[41] المرجع السابق، ص٥٢.
[42] المرجع السابق، ص١٠١.
[43] المرجع السابق، ص٢٢.
[44] المرجع السابق، ص٥٩.
[45] المرجع السابق، ص١١٦.
[46] علم النفس / أحمد راجح، ص٣٠٦.
[47] منهاج المتعلم / الغزالي، ص١١٦.
[48] أسرار التكرار / محمود الكرماني، ص١٩.
[49] منهاج المتعلم / الغزالي، ص١٠٦.

[50] منهاج المتعلم / الغزالي، ص١١١-١١٢.
[51] اتجاهات في التربية / إلياس، ص ٤٨–٥٠.
[52] منهاج المتعلم / الغزالي، ص٨١–٨٢.
[53] اتجاهات في التربية /إلياس، ص٣٨.
[54] منهاج المتعلم / الغزالي، ص٨٢.
[55] التربية والتعليم في الوطن العربي / سنبل، ص٢٥٢.
[56] منهاج المتعلم / الغزالي ص٩٣
[57] التربية والتعليم في الوطن العربي / سنبل، ص٢٥٣
[58] منهاج المتعلم / الغزالي، ص٩٣.
[59] المرجع السابق، ص٩٣.
[60] أسس التربية /القائمي، ص٢٥٨.
[61] التربية والتعليم في الوطن العربي / سنبل، ص٢٥٢.
[62] منهاج المتعلم / الغزالي، ص٩١.
[63] المرجع السابق، ص٤٥-٤٦.
[64] المرجع السابق، ص١١٧.
[65] تعليم المتعلم / برهان الزرنوجي، ص١٣٩.
[66] علم النفس / أحمد راجح، ص٢٨٠.
[67] علم النفس / أحمد راجح، ص٢٠٨.
[68] منهاج المتعلم / الغزالي، ص٧٨.
[69] طرق التدريس / عثمان المبروك، ص٤٢-٤٣.
[70] منهاج المتعلم / الغزالي، ص١٠٣.
[71] منهاج المتعلم / الغزالي، ص٩٥.
[72] المرجع السابق، ص٩٦.
[73] علم النفس / أحمد راجح، ص٢٤٢.
[74] علم النفس / أحمد راجح، ص ٢٤١–٢٤٣–التعلم ونظرياته / علي منصور، ص٢٥٦–٢٦٢.
[75] المرجع السابق، ص٥٩.
[76] المرجع السابق، ص٩٠.
[77] تقرير التربية في العالم، منظمة اليونسكو، ص٦٣.
[78] beqqs-1983-15
[79] منهاج المتعلم / الغزالي، ص٨٢.
[80] المرجع السابق، ص٧٧.
[81] المرجع السابق، ص٧٩.
[82] لمرجع السابق، ص٨١.
[83] المرجع السابق، ص٨٣.
[84] مفاهيم التربية / عارف جمعة، ص٥٣.
[85] منهاج المتعلم / الغزالي، ص١٠٢.
[86] المرجع السابق، ص٨٢.
[87] أصول التدريس / أحمد الفنيش، ص١٣٨.

ملف العدد

الفقه والدراسات القرآنية

منهجُ الأستاذ بديع الزَّمان سعيدِ النُورسيّ في التّمَذْهُب بين اللاّمَذْهبيّةِ والتَّعصُّب (دراسةٌ أصوليةٌ مقاصديةٌ)

Ustad Bediuzzaman Said Nursi's Way Between Sectarianism and Non-Madhhadbism (A Study on the Principles of the Aims of the Shar'ɪa)

ABSTRACT

Prof. Dr. Hasan Khalid Mustafa Mahmud al-Mufti

The efforts of Sheikh Nursi (may Allah be merciful to him) were mostly focused on the scientific, cognitive and spiritual revolution in order to save the faith, but his messages are not free of the jurisprudential matters, and one of the most serious difficulties of this new age and the most controversial matters are the ijtihad and tradition (Attaqlid). There are those who are fanatic of school (Madhab) adherence and there are those who chose the method of non-adherence to schools of religion (Allamadhabia), and there is a mid-notion calling for school adherence without fanaticism to adherence or complete detachment, which is the approach of the Sheikh Nursi, which we tried to highlight in this paper, under the title of: (Sheikh Badi'zaman Said Nursi approach in school adherence (Madhabiah) between complete detachment from schools (Allamadhabia) and Fanatic adherence to schools – a fundamental purposeful (Maqasidy) study). The paper is divided into an introduction, two chapters and a conclusion. In the introduction, I mentioned the importance of research and its problematic points and its purpose. I devoted the first chapter to the definition of the jurisprudential and fundamental terms of the title and what related to them; the most important of which: Method, schools of jurisprudence, fatwas, detachment from schools (Allamadhabia), fanatic adherence to schools of religion, Ijtihad Mujtahid (jurist entitled to independent reasoning), common people, *License* in jurisprudence, Talfiq. As for the second chapter, I talked about: "The 2 parties of detachment from schools (Allamadhabia) and fanatic adherence to schools of religion (Allamadhabia) in the balance of Shariah and reason, and I stated of the Sheikh Nursi's middle approach between the 2 parties with giving preponderance, finally the conclusion of the most important findings and recommendations.

* * *

الملخص

أ.م.د. حسن خالد مصطفى محمود المفتي[1]

إن جهود الأستاذ النورسي(رحمه الله) في الغالب كانت منصبة في الثورة العلمية والمعرفية والروحية من أجل إنقاذ الإيمان، لكن لا تخلو رسائله عن المسائل الفقهية، وإن من أخطر صعاب العصر وأكثر مسائله جدلا هما مسألتا الاجتهاد والتقليد، فهناك من يتعصب للمذهب وهناك من اختار اللامذهبية مسلكه، وهناك أمة الوسط حيث التمذهب من غير التعصب ولا الانسلاخ، وهو منهج الأستاذ النورسي الذي حاولنا تسليط الضوء عليه في هذه الورقة البحثية، والذي جاء بعنوان: (منهج الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي في التمذهب بين اللاّمذهبة والتَّعصُب ـ دراسة أصولية مقاصدية ـ) وهي في مقدمة ومبحثين وخاتمة، ذكرت في المقدمة أهمية البحث وإشكاليته والهدف منه، وخصصت المبحث الأول في التعريف بمصطلحات العنوان الفقهية والأصولية وما يتعلق بها وأهمها: المنهج ، التمذهب الفقهي، الفتاوى الشرعية، اللامذهبية، التعصب المذهبي، الاجتهاد والمجتهد والعامي، تتبُّعُ الرُّخص، التَّلْفِيْقُ في المذهب. وأما المبحث الثاني فقد ذكرت فيه: طرفا (اللامذهبية والتعصّب المذهبي)، في الميزان الشرعي والعقلي، وبيان منهج الأستاذ النورسي الوسط بين الطرفين مع الترجيح، ثم أنهيت البحث بخاتمة بأهم النتائج والتوصيات، راجيا منه تعالى التوفيق والسداد.

* * *

مقدمة

الحمد لله ولي المتقين، والصَّلاةُ والسَّلامُ على سيّد الخلق أجمعين شفيعنا محمّد وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم إلى يوم الدين، أما بعد:

فان الأمة الإسلامية قد عانت وتعاني الكثير من الشّقاق والتَّصدع والاختلاف جرّاء المناهج الفكرية والدعوية والعقدية المتباينة إلى حد ما، وبالتحديد تلك التي تتخذ أحد طرفي الإفراط والتفريط في مسلكها مبتعدة بذلك عن التوسّط المنشود شرعا وعرفا وعقلا لاسيما فيما يتعلق بالتمذُّهب الفقهي، حيث انقسم الناس في ذلك إلى ثلاثة اتجاهات، اتجاه اتخذ من التفريط الممقوت منهجا لأتباعه فجعل تقليد المذاهب الفقهية المدونة والمعتبرة منذ أربعة عشر قرنا بدعة سيئة يلزم تجنبها، فدعا إلى اللامذهبية وادعى أن باب الاجتهاد مفتوح للكل من غير التفات إلى شروط الأصوليين ومقاصد الشريعة، واتجاه آخر بعكس هذا حيث اتخذ من الإفراط في التَّمَذْهُب مسلكا

إلى درجة الغلو والتعصب المذهبي المذموم ، ولا شك أن ''خير الأمور أوساطها'' كما جاء في الأثر الصحيح،[2] وهذا التوسّط هو الذي كان عليه علماء المسلمين خلفا عن سلف، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾.البقرة:١٤٣[1] وما المنهج الذي اتخذه الأستاذ بديع الزمان النورسي إلا امتداد لهذا المنهج المعتدل والنظر الدقيق والفكر البناء المفضي إلى التمذهب الشرعي بإيجابياته وروعته وثروته الفقهية العظيمة التي تتجسد فيها قواعد الفقه وأصوله ومقاصد الشريعة الغراء وغاياتها، من غير إفراط ولا تفريط، إذ إن منهج الأستاذ في ذلك نابع عن الأصالة والتجديد من جهة، وجامع بين الفقه المدوّن والفقه الذي يمثله الواقع بمستجداته ونوازله من جهة أخرى، وهذا التوسط هو الذي يؤدي إلى العمل الإيجابي للدعاة المؤدي بدوره إلى وحدة المسلمين صفا وكلمة تجاه خصوم الإسلام المغرضين المتربّصين، وأنا بدوري سلّطت الضوء على هذا المنهج القويم للأستاذ النورسي (رحمه الله)، في ورقتي البحثية هذه ومع أن رسائل النور لا تعنى بالأساس ببيان الأحكام الشرعية العملية الجزئية سواء أكان ذلك في العبادات، أم في المعاملات، أم في مسائل الأحوال الشخصية، أم في غيرها من أبواب الفقه. لأن مهمة الأستاذ النورسي لم تكن التصدر للفتوى ولا للقضاء، لكن لا تخلو رسائله عن المسائل الفقهية، وتكاد تكون طافحة بالمسائل الأصولية الفقهية لمن تبصر، ومن جملتها مسألة الاجتهاد والتقليد وفروعهما، ولا يمكن عزو قلة الفتاوى الفقهية في الرسائل إلى قلة بضاعته في الفقه، لكونه (رحمه الله) مشهود له بتضلعه وتبحره في مختلف العلوم الشرعية والكليات الفقهية والأصولية والسلوكية، وله الباع الأطول في إدراك مقاصد الشريعة وحِكَمِها، ولكن كما قيل: فقد يكون انشغاله ببناء الإنسان المسلم من خلال إعمار قلبه بالإيمان وبحقائق الإسلام الكلية، وكشف الشبه الوافدة ودحض الفلسفات والاتجاهات المضللة، كان السبب وراء عدم اشتغاله بالفتاوى الفقهية في الفروع الجزئية. إلى جانب معرفته بوجود الفقه المدوّن حيث ولد وتربى في بلاد كُردستان وأهلها هم على فروع مذهب الإمام الشافعي (رحمه الله) ومعرفته كذلك بوجود من يتصدر للفتوى في المستجدات في زمانه. وقد جاء بحثي المتواضع بعنوان: (منهج الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي في التمذهب بين اللاّمذهبة والتَّعصُب -دراسة أصولية مقاصدية-) منقسما المادة العلمية إلى مقدمة ومبحثين وخاتمة بأهم النتائج والتوصيات، المبحث الأول: في التعريف بمصطلحات العنوان وما يتعلق بها. والمبحث الثاني: يتناول طرفي الإفراط (اللامذهبية والتعصّب المذهبي)، في الميزان الشرعي والعقلي ، وبيان منهج الأستاذ النورسي بينهما من خلال رسائله النورية مع الترجيح. والله أسأل أن يوفقنا لما

يحبه ويرضاه، إنه نعم المولى ونعم النصير، وصلى الله على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون.

المبحث الأول: التعريف بمصطلحات العنوان وما يتعلق بها

أولا: التعريف بالمصطلحات الواردة في عنوان البحث وما يتصل بها من مصطلحات فقهية وأصولية:

لا شك أن التعريف بتلكم المصطلحات الواردة في عنوان البحث يخدم القراء الأعزاء، فهو بمثابة المفاتيح اللازمة من أجل التبصر والاهتداء إلى ماهية المسألة وما يتعلق بها من مصطلحات فقهية وأصولية تتطلب بيانا اصطلاحيا وذلك على النحو الآتي:

١- المنهج: المنهج: الطريق الممنهج أي المسلوك.[3] والنهج: الطَّرِيق الْوَاضِح وَالْجمع نهوج، وَهُوَ الْمنْهَج وَالْجمع مناهج.[4] وجاء في الكتاب العزيز: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾،[المائدة:٤٨] والفرق بين الشرعة والمنهاج: أن المنهج والمنهاج: الطريق الواضح، ثم استعير للطريق في الدين كما استعيرت الشريعة لها. والشرعة بمعنى المنهاج.[5] ومنهج الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي (رحمه الله) ههنا، أي طريقه الواضح الذي بينه من خلال رسائله فيما يتعلق بمسألة حكم التمذهب الفقهي وكيفيته وحكم الغلو أو التفريط فيه.

٢- **التمذهب الفقهي أو تقليد المذهب الفقهي:** (المذهب) لغة: محل الذهاب، والاعتقاد، والطريقة المتَّسعة، ثم استعمل عند الفقهاء فيما يصار إليه من الأحكام الفقهية، وأهل المذهب، أي ثم صار عند الفقهاء حقيقة عرفية فيما ذهب إليه إمام من الأئمة من الأحكام الاجتهادية.[6] والمقصود بالمذاهب الفقهية هنا هي التي دُوّنت وأُصّلتْ وقُعّدت، فتلقتها الأمة بالقبول وهي للائمة الأربعة المشهورين (رضي الله عنهم)، وقد كان هناك مذاهب فقهية موجودة لكنها ماتت بموت أصحابها، ولم تدون فروعها، ولم تأصل أصولها ولم تقعد قواعدها، (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء). و(التقليد): في اللغة: مأخوذٌ من القِلادة التي يقلِّدُ الإنسان غيرَه بها، فكأنَّ الحكم في تلك الحادثة قد جعل كالقلادة في عنق من قُلِّد فيه.[7] وأما في الاصطلاح فهو: أخذ القولِ من غير معرفة دليله.[8] وعُرِّفَ أيضاً بأنَّه: قبولُ قول الغير من غير حجةٍ تظهر على قوله، والتَّقليد في المسائل الفرعيَّة العمليَّة الظنيَّة منها والقطعيَّة جائزٌ لغير المجتهد، غير جائزٍ للمجتهد.[9] والمرادُ بالفروع هنا: ما ليس من الأصول التي يدخل بها الإنسانُ في الإسلام، فيدخلُ في الفروع بعضُ مسائل الاعتقاد، ومسائلُ أصولِ الفقه والفقهُ.[10]

٣- الفتاوى الشرعية: إن المذهب الفقهي المذكور آنفا هو نتيجة الفتاوى الشرعية الصادرة عن أهل العلم من الفقهاء والناتجة هي الأخرى عن الاستفتاءات والمسائل الشرعية عن الناس، و (الْفَتْوَى): بالواو وبفتح الفاء، و(الفُتيا) بالياء وضم الفاء، و(الفُتوى) بضم الفاء، هي اسم من: أفتى العالم: إذا بيّن الحكم، أو الجواب عما يشكل من الاحكام، و (الفقيه) يفتي أي يبين المبهم، وتفاتوا إليه تحاكموا، وفي التنزيل: ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنا﴾،الصافات:١١ وقوله (عزَّوجل): ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾.النساء:١٧٦ قال جار الله الزمخشري: ''الفتوى الجواب في الحادثة، اشتقت على طريق الاستعارة من الفتى في السن''.[11] وجاء في الأثر: أن أربعةً تفاتوا إلى النبي ﷺ...''[12] أي: طلبوا منه الفتوى، قال الزمخشري:'' أي تحاكموا إليه من الفتوى''،[13] وقال العلامة زين الدين المناوي: ''الإفتاءُ: بيانُ حكم المسألة''،[14] وعلم الفتاوى كما قال الشيخ القنوجي: هو علمٌ تروى فيه الأحكامُ الصادرة عن الفقهاء، في الواقعات الجزئية، ليسهل الأمر على القاصرين من بعدهم''.[15] يظهر من هذا أن علم الفتوى يشبه علم الفقه، في كونه يصدر عن الفقهاء، ويتناول الفروع والوقائع الجزئية، ويعرِّف صاحب النازلة على الحكم الشرعي المناسب، فإذا صدر من الفقيه الحكم سمي حينئذٍ بالفتوى، قال عبد الرحمن ابن خلدون: ''الفقه معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين بالوجوب والحظر والندب والكراهة والإباحة، وهي متلقاة من الكتاب والسنة وما نصبه الشارع لمعرفتها من الأدلة، فإذا استخرجت الأحكام من تلك الأدلة قيل لها فقه، وكان السلف يستخرجونها من تلك الأدلة على اختلاف فيما بينهم''.[16]

٤- اللامذهبية: مصطلح جديد لمعنى قديم تقابل المَذْهبيَّة، واسم منسوب إلى مَذْهَب: وهو جملة أفكار واتِّجاهات واجتهادات فقهية أصولية عقدية سلوكية. أو هو مصدر صناعيّ من مَذْهَب: مجموعة أفكار ونظريات وعقائد خاصّة أما اللاَّمذهبيَّة: فهو في الأصل إنتاج أفكار وآراء مستقلّة لا تنتمي إلى مجتمع معيَّن أو طبقة بعينها.[17] ثم أطلقت على منكري المذاهب الفقهية لاسيما الأربعة . لذلك فالمقصود هنا باللامذهبية: السبيل التي ينتهجها دعاة التحرّر من المذاهب الفقهية -المحرَّرة والمقرَّرة والمعتمد عليها أربعة عشر قرنا- إما بدعوى توصّلهم الى مرتبة الاجتهاد واستطاعتهم الأخذ من الكتاب والسنة مباشرة، أو بدعوى أخطر وهو تبديع المذاهب وأتباعها، وقد رد عليهم علماء المسلمين قديما وحديثا ونبّهوا المسلمين على أخطار هذا التوجه وسلبياته على الشريعة الإسلامية ، فمن القدامى: الإمام الحافظ ابن رجب الحنبلي في كتابه (الرد على من اتبع غير المذاهب الأربعة) ومن المحدثين الإمام المجدد سعيد

النورسي في رسالته الهادئة الشهيرة (الاجتهاد في الوقت الحاضر)، والأستاذ الشهيد محمد سعيد رمضان البوطي في كتابه المجمع (اللامذهبية أخطر بدعة تهدد الشريعة الاسلامية) وقبله الأستاذ المرحوم الشيخ محمد زاهد الكوثري في رسالته الهادفة (اللامذهبية قنطرة اللادينية). والمشكلة في هؤلاء اللامذهبية ليست منحصرة في عدم الالتزام بالمذهب الفقهي المعتبر من الأربعة بل تعدو ذلك إلى ذم المذاهب والإنكار عليها والتشهير بمتبعيها الذين هم الجمهور الأعظم من خلف هذه الأمة وسلفها، كما سيأتي بيانه . ومما مرّ تبين أن معنى اللامذهبية هي عدم سلوك طريق أي إمام من الأئمة المجتهدين، ودعوى الاستقلال بمعرفة الأحكام. كما تبين أن معنى التمذهب: اتباع أحد هؤلاء الأئمة.[18]

٥- **التعصب المذهبي:** التَّعَصُّبُ: من العَصَبِيَّة، والعَصَبِيَّةُ: أَن يَدْعُوَ الرجلَ إِلى نُصْرةِ عَصَبَتِه والتَّأَلُّبِ معهم على من يُناوِئُهُم ظالمين كانوا أَو مظلومين. وفي الحديث: ''ليس مِنَّا من دَعا إِلى عَصَبِيَّةٍ أَو قاتَلَ عَصَبِيَّةً''.[19] وفي الاصطلاح قال التهانوي: ''هو عدم قبول الحق عند ظهور الدليل بناء على ميل إلى جانب كما في التلويح''.[20] وعرفه ابن ملا فرُّوخ الرومي الحنفي بقوله: ''التعصب هُوَ الْميل مَعَ الْهوى لأجل نصْرَة الْمَذْهَب ومعاملة الإِمَام الآخر ومقلديه بِمَا يحط عَنْهُم.[21] ''وكان الإمام المجدد النورسي بديع الزمان (رحمه الله) من أبعد العلماء عن التعصب المذهبي، وفكره من خلال رسائله من أبعد الأفكار قديما وحديثا عن ذلك، كما سنوضحه في المبحث الثاني، كيف لا والتعصب نابع عن الهوى وحب الظهور والإعجاب بالنفس وتحقير المقابل ومجانبة الصواب ونصرة الظالم وغير ذلك من الرذائل الممقوتة، وكل من طالع رسائل النور تبين له موضوعيته وأنه (رحمه الله) مع الحق وأهل الحق حيث دار الحق، بعيد كل البعد عن الرذائل المذكورة وغيرها على ما نبينه في المبحث الثاني، ودعوته الى الانتماء الى المذهب الفقهي المدون إنما هي دعوة تربوية خالصة نابعة عن الإنصاف التام والمعرفة الكاملة بأهل الفضل والاجتهاد من جهة وأنصاف المتعلمين من أدعياء الاجتهاد من جهة أخرى حيث أكد بالأدلة الدامغة خطورة فتح باب الاجتهاد لغير أهله.[22]

ثانيا: مصطلحات ذات صلة بالعنوان:

هناك مصطلحات أصولية وفقهية ينبغي معرفتها ومعرفة حكم العلماء بصددها أيضا لأنها تتعلق مباشرة بمصطلحات العنوان وأهم تلكم المصطلحات هي:

١- **الاجتهاد والمجتهد والعامي:** (الاجتهاد) في اللغة: هو بذل الوسع والمجهود، والجهد: بلوغك غاية الأمر الذي لا تألو عن الجهد فيه.[23] واختلف الأصوليون في تعريف الاجتهاد اختلافاً يسيراً، فقال سيف الدين الآمدي: ''هو استفراغ الوسع في طلب الظن بشيء من الأحكام الشرعية، على وجه يحسّ من النَّفس العجز عن المزيد فيه''،[24] وقال حجة الإسلام الغزالي: ''هو أن يبذل الوسع في الطلب، بحيث يحس من نفسه بالعجز عن مزيد الطلب''،[25] وعرفوا (المجتهد) بأنه: القائم بأمور الاجتهاد، وهل هناك فرقٌ بين: المجتهد والمفتي والفقيه فيه الخلاف ولكل أحكامه وليس هنا محله.[26] و (العامي): قد يطلق و يراد به عندهم: العاجز عن التوصُّل إلى تحصيل مطلوبه من الحكم، وقد يُرام به: مَن لم يكن من أهل الاجتهاد والنَّظر، وقد يقصد به: من لم يبلغ المجتهد المطلق.[27]

٢- **تتبُّعُ الرُّخص:** (الرُّخَص) جمع الرُّخصة، وهي: اليُسر والسُّهولة واللين.[28] وعند الأصوليين: عبارة عما وسع للمكلف في فعله لعذر وعجز عنه مع قيام السبب المحرم، وقيل: هي تَرْخِيصُ الله للعبد في أَشياءَ خَفَّفَها عنه، وقيل: هي استباحة المحظور مع قيام الحاظر، وقيل: هي الحكم الثابت على خلاف الدليل لعذر، وهو المشقة والحرج، وتنقسم إلى: واجبة وإلى مندوبة ومكروهة ومباحة، ومن القواعد الفقهية التي تتخرّج عليها جميع الرخص والتخفيفات الشرعية قاعدة: المشقَّة تجلب التَّيسير، وإذا ضاق الأمر اتسع، وتقابل الرخصةَ: (العزيمةُ)، وهي في اللغة: العزم المؤكَّد في طلب الحق، وشرعاً: عبارة عما لزم العباد بإيجاب الله تعالى، أو هي: الحكم الثابت بدليل شرعيّ خلا عن معارض، عليه: فالفعل الذي يجوز للمكلف الإتيان به: إما أن يكون عزيمةً أو رخصةً، وذلك لأنّ ما جاز فعله، إما أن يجوز مع قيام المقتضى للمنع، أو لا يكون كذلك، فالأوَّل الرُّخصة، والثَّاني العزيمة، وما أباحه الله تعالى في الأصل من الأكل والشرب لا يُسمى رخصةً، ويسمى سقوط رمضان عن المسافر رُخصةً.[29] وأمَّا (تتبع الرُّخَص): فالمقصود تتبُّع رُخص المذاهب، بأن يأخذ من كلِّ مذهبٍ ما هو الأهون عليه، مما يؤدي إلى انحلال ربقة التكليف من عنقه، وذلك حرامٌ، موجبٌ للفسق، باتفاق الأصوليين إلا ابن عبد السلام من متأخري الشافعية، حيث نقل عنه أنه لا يفسق، قال المناوي: ''وقد يحمل كلامه على ما إذا تتبعها على وجه لا يصل إلى الانحلال المذكور''.[30] والراجح هو مذهب الجمهور القائلين بحرمته.

وكان الأستاذ بديع الزمان النورسي (رحمه الله) يميل إلى الأخذ بالعزيمة لشدة ورعه، لكن لم يدعُ إلى ذلك، ومما يدل على ذلك:

أ- سياق بيانه لما جرى بين سيدنا علي (كرم الله وجهه) من جهة وسيدنا معاوية (رضي الله عنه) من جهة أخرى، حيث يقول: ''أن الإمام علياً (رضي الله عنه) قد اتخذ أحكام الدين وحقائق الإسلام والآخرة أساساً، فكان يضحي بقسم من قوانين الحكم والسلطنة وما تقتضيه السياسة من أمور فيها إجحاف في سبيل الحقائق والأحكام. أما سيدنا معاوية ومَن معه، فقد التزموا الرخصة الشرعية وتركوا الأخذ بالعزيمة، لأجل إسناد الحياة الاجتماعية الإسلامية بسياسات الحكم والدولة. فعدّوا أنفسهم مضطرين في الأخذ بهذا المسلك في عالم السياسة. لذا رجحوا الرخصة على العزيمة، فوقعوا في الخطأ. أما مقاومة الحسن والحسين رضي الله عنهما للأمويين، فهي في حقيقتها صراع بين الدين والقومية، اذ اعتمد الأمويون على جنس العرب في تقوية الدولة الإسلامية، وقدّموهم على غيرهم، اي فضّلوا رابطة القومية على رابطة الإسلام فاضروا من جهتين: الأولى: آذوا الأقوام الأخرى بنظرتهم هذه، فوّلدوا فيهم الكراهية والنفور. الثانية: إن الأسس المتبعة في القومية والعنصرية أسس ظالمة لا تتبع العدالة ولا توافق الحق، اذ لا تسير تلك الأسس على وفق العدالة، لأن الحاكم العنصري يفضل من هم بنو جنسه على غيرهم، فأنّى له أن يبلغ العدالة''.[31]

ب- رسالته الشخصية إلى رئيس الشؤون الدينية السيد احمد حمدي والمدرجة في سيرته الذاتية (رحمه الله) حيث يقول: ''قبل مدة مديدة كانت فكرة إتباع الرخصة الشرعية -بناء على الضرورة- وترك العزيمة لا ينسجم مع فكري، مثلما سلكتموه انتم وعلماء معكم. فكنت اغضب واحتدّ عليكم وعليهم. وأقول: لِمَ يتركون العزيمة متبعين الرخصة؟ لذا ما كنت ابعث إليكم رسائل النور مباشرة...'' [32]

ج- ويدل عليه كذلك حواره مع مدير الشرطة والمفتشين الظالمين بعد صدور قرار التبرئة من محكمة ''دنيزلي'' وذلك في مسألة عدم لبسه للقبعة المشؤومة قائلا: قالوا لنا: ''انك ومنذ عشرين عاماً لم تضع قبعتنا على رأسك حتى ولا مرة واحدة. ولم تحسر عن رأسك أمام المحاكم -السابقة منها واللاحقة- بل بقيت في قيافتك القديمة مع ان سبعة عشر مليوناً لبسوا القيافة الجديدة''. قلت لهم: ''ليس هناك سبعة عشر مليوناً، ولا سبعة ملايين، بل ولا يوجد من يلبسها بمحض اختياره سوى سبعة آلاف من السكارى عبدة الغرب ومقلديه. لذا فبدلاً من ان ألبس قيافة تجبرني عليها قوة القانون وتسمح لي بذلك الرخصة الشرعية، فاني أفضل أن ألبس قيافة سبعة مليار من الذوات المحترمين وسلوك طريق العزيمة والتقوى''.[33]

٤- حتى إنه (رحمه الله) لشدة تمسكه بالعزيمة كان لا يعجبه من بعض طلاب النور الأخذ بالرخصة الشرعية ومما يدل عبارته في الشعاعات: ''إخوتي الأعزاء الأوفياء الصادقين: لقد غيرتُ أحد أدعيتي منذ بضعة ايام، اذ رفعت كلمة (الصادقين) من دعائي الذي يضم: ''واغفر لنا''... أو ''وفّق طلبة رسائل النور الصادقين''. والذي كنت اكرره لحد الآن مائة مرة احياناً. وذلك لئلا يُحرم من تلك الأدعية اولئك الأخوة الذين يرون أنفسهم مضطرين الى العمل بالرخصة الشرعية ويتبرؤون منّا ظاهراً، مما يسببه الضيق والشبهات المثارة من ضجر ويأس واتخاذ موقف يخالف العزيمة والوفاء''.[34]

ومع كل ذلك لم يلزم طلاب النور على ترك الرُخص الشرعية بالكلية، وإن روّضهم على انتهاج نهج العزيمة وذلك لمعرفته بأن الطريق مخوف ومحدق بالمخاطر فلا يمكن النجاة إلا لأهل العزيمة، ولا شك أن أهل العزيمة أقوى وأثبت من أهل الرخص، وتركها أو أخذها يختلف باختلاف الأشخاص والأحوال والمقامات الاصطفائية، والشريعة المطهرة حثت على الأخذ بالجانبين حسب الحاجة وبمقتضى الأحوال، يدل عليه قوله ﷺ: ''إِنَّ اللهَ يُحِبُّ أَنْ تُؤْتَى رُخَصُهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ تُؤْتَى مَعْصِيَتُهُ''.[35]

وإنما كان العلامة النورسي شديد التمسك بالعزيمة لكونه من علماء الشافعية المشهورين بالأخذ دوما بالأحوط من الفتاوى والأقوال، وذلك خروجا للخلاف، ولكون الأخذ بالعزيمة من أسس منهجه القويم وفي ذلك يقول: ''لقد أُلّفت مؤلفات تهيئ لنوع من العداء للأولياء متخذة بعض الرخص الشرعية ستاراً، وأحداث الزمان حجةً، فان الوظيفة الأساس لرسائل النور -من دون ان تُشملها العموم- هي الحفاظ على أساس الولاية الجارية ضمن الحقائق الإسلامية وأساس التقوى، وأساس الأخذ بالعزيمة وأسس السنة النبوية الشريفة وأمثالها من الأسس الدقيقة المهمة، فلا يمكن ترك تلك الأسس بحجة الضرورة وحادثات الزمان''.[36]

٣- التَّلْفِيْقُ في المذهب: (التلفيق): في اللّغة من: لَفَقَ فلان ولَفَّقَ: أَي طلب أَمراً فلم يدركه، وأحاديث مُلَفَّقَةٌ: أي أكاذيب مُزخرفة.[37] وفي اصطلاح الفقهاء هو: الإتيان بكيفيَّة لا يقول بها المجتهدُ، ومعناه: أن يترتب على العمل بتقليد المذاهب، والأخذ في مسألة واحدة بقولين أو أكثر، يترتَّب عليه الوصول إلى حقيقة ملفَّقة، وعرف بأنه: ''القيام بعمل يجمع فيه بين عدة مذاهب، حتى لا يمكن اعتبار هذا العمل صحيحا ''في أي مذهب من المذاهب''، وذلك من موجبات الفسق فهو محرّم عند الجمهور.[38]

المبحث الثاني: طرفا (اللامذهبية والتعصّب المذهبي)، في الميزان الشرعي والعقلي، وبيان منهج الأستاذ النورسي فيهما مع الترجيح

أولا: أصحاب دعوى اللامذهبيّة في الميزان الشرعي والعقلي

إن دعوى اللامذهبيّة دعوى حديثة العهد، نشأت مع ظهور الفرقة الوهابية في المملكة العربية السعودية، ولأسباب أظن أن جوهرها سياسية تظهر في محاولة جعل المذاهب المتبوعة خصوصا الحنفية أمرا منبوذا لدى المسلمين حيث كانت السلطنة العثمانية على هذا المذهب الفقهي في الفروع وكانت الوهابية ثارت على السلطنة العثمانية بدعم خارجي فتطلب الأمر الهجوم على المذهب الفقهي المنضبط الذي لا يجيز الانشقاق ولا الاقتتال ولا يتخذ من العنف منهجا للوصول إلى الحكم، وحيث لم يستطيعوا ترك المذاهب الأربعة بالكلية لكونها سائدة منذ اثني عشر قرنا بين الأمة تسترت الوهابية تحت خيمة المذهب الحنبلي لأنهم وجدوا ضالتهم عند غلاة الحنابلة المتأخرين حيث عندهم الفتاوى المؤيدة للقتل والنهب والسلب لمجرد الشبهات وعلى التبديع والتضليل والتكفير والتشريك كذلك لأدنى شبهة... والمسألة معروفة رد عليهم علماء المذاهب الأربعة منهم مفتي الحنفية الشيخ محمد أمين الشهير بابن عابدين في حاشيته على الدر المختار للعلامة الحصكفي في باب البغاة،[39] ومفتي المالكية الشيخ أحمد بن محمد الصاوي المالكي في حاشيته على الجلالين أثناء تفسيره للآية السادسة من سورة فاطر.[40] وكذلك مفتي الشافعية الشيخ أحمد بن زيني دحلان في أكثر من كتاب له خصوصا في الفتوحات الإسلامية والدرر السنية وغيرهما، ومفتي الحنابلة الشيخ سليمان بن عبد الوهاب النجدي الحنبلي أخو صاحب الدعوى في كتابيه الصواعق وفصل الخطاب، وغيرهم وكتبهم مطبوعة ومنشورة. وربما للأستاذ النورسي (رحمه الله) رسالة أوضح في بيان ماهية تلك الحركة وأصلها وأهدافها وهي باللغة التركية لم تترجم بعد كما أخبرنا به بعض الأفاضل.

وهنا السؤال الأهم: وهو لماذا دعوى اللامذهبية؟ أجاب عنهما الشيخان الفاضلان المرحومان الكوثري والبوطي في كتابيهما بهذا الخصوص، حيث الهدف منها انحلال ربقة التكليف شيئا فشيئا، لأن عدم الالتزام بالمذهب الفقهي يعني عدم الأخذ بالقواعد الأصولية والفقهية، وذلك يؤدي إلى عدم الأخذ بأدلة التشريع الإسلامي من الكتاب والسنة والإجماع والقياس والاستصحاب والاستحسان والعرف والمصلحة المرسلة وشرع من بلنا وعمل أهل المدينة وسد الذريعة على خلاف بين الأصوليين في غير الأربعة الأول. لأن مبنى المذهب الفقهي على القواعد الأصولية والفقهية والمقاصدية،

وأساس تلكم القواعد على الأدلة التشريعية التي لا سبيل لغير المجتهد من استنباط الأحكام الشرعية منها، ومن قبائح دعوى اللامذهبية فتح باب الاجتهاد والاستنباط لأنصاف المتعلمين من السذج فاقدي الأهلية سواء في الدين والعلم فيفتون بغير علم ولا أهلية فيضلون أنفسهم ويضلون الآخرين، وتفترق الأمة وتتمزق كما آل إليه الأمر اليوم حيث تحققت أمنية أعداء الإسلام فأصبح الشرق الأوسط في دوامة صراع فكري فقهي عقدي سلوكي لم يبق وميض خير ولا ابتسامة فرح، وإلى الله المشتكى.

ولو راجعنا التاريخ الإسلامي وإلى اليوم لم نجد علماء الأمة وعامتها إلا مذهبيين سائرين خصوصا على فقه المذاهب الأربعة، وقبلهم فإن الصحابة الأجلاء وتابعوهم كانوا يستفتون فقهاء الصحابة والتابعون، يقال مذهب ابن عمر وابن عباس وزيد وعائشة رضي الله عنهم وعطاء وسفيان والحسن وأبي حنيفة ومالك ثم الشافعي وأحمد وداود وأمثالهم من المجتهدين في الدين، فلا نجد بعد القرن الثاني الهجري عالما من علماء الإسلام المعتبرين في التفسير والحديث والأصول والفروع والسلوك والتصوف واللغة والبلاغة والمنطق والحكمة والسير والمغازي إلا كان مذهبيا على فقه أحد الأئمة الأربعة، والعامة كانوا يقلدون أو يتبعونهم في الفتوى، وقد أوضح العلماء في كتب آداب الفتوى كل ذلك ومنهم ابن الصلاح في أدب المفتي والمستفتي والنووي في آداب الفتوى والسيوطي في أدب الفتيا وغيرهم فليراجع.

وفي مسألة حكم اختيار العوام المذهب الفقهي قد فصّل الإمام محيي الدين النَّووي الحديث عن هذه المسألة فقال:" هل يجوز للعامي أن يتخيَّر ويقلّد أيَّ مذهب شاء؟ قال الشيخ: يُنظر: إنْ كان منتسباً إلى مذهبٍ بنيناهُ على وجهين، حكاهُما القاضي حسين، في أنَّ العامي هل له مذهبٌ أم لا؟ أحدهما: لا مذهبَ له، لأنَّ المذهب لعارفِ الأدلَّة، فعلى هذا: له أن يستفتي من شاء من حنفيّ وشافعيّ وغيرهما، والثّاني: وهو الأصحَّ عند القفَّال، له مذهبٌ، فلا يجوز له مخالفته، وقد ذكرنا في المفتى المُنْتَسِبِ ما يجوز له أن يخالف إمامه فيه، وإن لم يكن منتسباً بنى على وجهين، حكاهما ابن برهان في أنّ العامي هل يلزمه ان يَتَمَذْهَبَ بمذهبٍ معيَّنٍ، يأخذ برُخَصِهِ وعَزائِمِهِ؟ أحدهما: لا يلزمه، كما لم يلزمه في العصر الأوَّل، أنْ يخصّ بتقليده عالماً بعينه: فعلى هذا: هل له أن يستفتى من شاء؟ أم يجب عليه البحثُ عن أشدِّ المذاهب وأصحّها أصلاً ليقلِّد أهله؟ فيه وجهانِ مذكوران، كالوجهين السَّابقين في البحث عن الأعلم والأوثق من المفتين، والثاني: يلزَمُهُ، وبه قطعَ أبو الحسن الكيا، وهو جارٍ في كلّ مَنْ لم يبلغ رتبة الاجتهاد من الفقهاء وأصحاب سائر العلوم، ووجهُهُ: أنَّه لو جاز اتِّباعُ أيّ مذهبٍ شاءَ لَأَفْضَى إلى أن يلتقِطَ رُخَصَ المذاهب، متبعاً هواهُ، ويتخيَّر بين التَّحليل

والتَّحريم والوجوب والجواز، وذلك يؤدي إلى انحلال ربقة التكليف، بخلاف العصر الأوّل، فإنَّه: لم تكن المذاهب الوافية بأحكام الحوادث مهذَّبةً، فعلى هذا: يلزمه أن يجتهد في اختيار مذهبٍ يقلِّدُه على التَّعيين، ونحن نُمَهِّد له طريقاً يسلكه في اجتهاده سهلاً، فنقول أولاً: ليس له أن يتَّبع في ذلك مجرَّد التَّشَهِّي والميل إلى ما وجد عليه آباؤُه، وليس له التَّمَذْهَبُ بمذهبِ أحد من أئمة الصَّحابة (رضي الله عنهم)، وغيرهم من الأوَّلين، وإنْ كانوا أعلمَ وأعلى درجةً ممَّن بعدهم، لأنهم لم يتفرَّغوا لتدوين العلم، وضبط أصوله وفروعه، فليس لأحد منهم مذهبٌ مهذَّبٌ محرَّرٌ مقرَّرٌ،وإنما قام بذلك من جاء بعدهم من الأئمة النَّاحلين لمذاهب الصَّحابة والتَّابعين القائمين بتمهيد أحكام الوقائع قبل وقوعها، النَّاهضين بإيضاح أصولها وفروعها، كمالكٍ وأبي حنيفةَ وغيرِهما، ولما كان الشافعيُّ قد تأخَّر عن هؤلاء الأئمة في العصر، ونَظَرَ في مذاهبهم نحو نظرهم في مذاهب من قبلهم، فسَبَرَها، وخَبَرَها، وانتقدَها، واختار أرجَحها، ووجدَ من قبله قد كفاه مُؤْنةُ التَّصوير والتَّأْصيل، فتفرَّغَ للاختيار والتَّرجيح والتَّكميل والتَّنقيح، مع كمال معرفته وبراعته في العلوم، وترجُّحه في ذلك على من سبقه، ثمَّ لم يوجد بعده من بلغَ محلَّه في ذلك، كان مذهبُهُ أولى المذاهب بالإتِّباع والتَّقليد، وهذا مع ما فيه من الإنصاف، والسَّلامة من القدح في أحد من الأئمة، جليٌّ واضحٌ إذا تأمَّلَهُ العاميُّ، قادَهُ إلى اختيار مذهب الشافعي، والتَّمذهبِ به''.[41]

أما شبهة اللامذهبية بأن المذاهب الفقهية قد تؤدي إلى التفرق والتشرذم فباطلة أيضا، بل الاختلاف في الفروع رحمة بالأمة بخلاف الأصول، كما نبّه إليه العلماء الأعلام ومنهم الأستاذ النورسي (رحمه الله)، إذ هؤلاء اللامذهبية أغلقوا باب الخلاف في الفروع الذي هو رحمة بالأمة وبه تحقق مصالح العباد والبلاد، بينما فتحوا بأعمالهم وسلوكهم باب الاختلاف في الأصول حيث الفتاوى المضللة بالتكفير والتبديع والتفسيق وقتل الأبرياء تصدر منهم ليل نهار لاسيما من أطلقوا على أنفسهم (السلفية الجهادية) في العراق وسوريا وليبيا وأفغانستان واليمن ومصر وغيرها، وتراق الدماء البريئة في العالمين الإسلامي والإنساني بدعوى الجهاد والنفير العام وإرجاع الخلافة والحكم بما أنزل الله! وقد صرح المصطفى ﷺ الحكم في هؤلاء الحدثاء السفهاء بقوله: ''يأتي في آخر الزمان قوم حُدثاء الأسنان سُفهاء الأحلام يقولون من خير قول البرية يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية لا يجاوز إيمانهم حناجرهم... الحديث''.[42] وعند شرحه لحديث (اختلاف أمتي رحمة) قال المحدث المناوي: ''(اختلاف) افتعال من الخلف وهو ما يقع من افتراق بعد اجتماع في أمر من الأمور ذكره الحراني (أمتي) أي مجتهدي أمتي في الفروع التي يسوغ الاجتهاد فيها

فالكلام في الاجتهاد في الأحكام كما في تفسير القاضي قال: فالنهي مخصوص بالتفرق في الأصول لا الفروع انتهى... فاختلاف المذاهب نعمة كبيرة وفضيلة جسيمة خصت بها هذه الأمة فالمذاهب التي استنبطها أصحابه فمن بعدهم من أقواله وأفعاله على تنوعها كشرائع متعددة له وقد وعد بوقوع ذلك فوقع وهو من معجزاته ﷺ أما الاجتهاد في العقائد فضلال ووبال كما تقرر والحق ما عليه أهل السنة والجماعة فقط فالحديث إنما هو في الاختلاف في الأحكام ورحمة نكرة في سياق الإثبات لا تقتضي عموما فيكفي في صحته أن يحصل في الاختلاف رحمة ما في وقت ما في حال ما على وجه ما. وأخرج البيهقي في المدخل عن القاسم بن محمد أو عمر بن عبد العزيز: ''لا يسرني أن أصحاب محمد لم يختلفوا لأنهم لو لم يختلفوا لم تكن رخصة'' ويدل لذلك ما رواه البيهقي من حديث ابن عباس مرفوعا:'' أصحابي بمنزلة النجوم في السماء فبأيهم اقتديتم اهتديتم، واختلاف أصحابي لكم رحمة''، قال السمهودي: واختلاف الصحابة في فتيا اختلاف الأمة وما روي من أن مالكا لما أراده الرشيد على الذهاب معه إلى العراق وأن يحمل الناس على الموطأ كما حمل عثمان الناس على القرآن. فقال مالك: أما حمل الناس على الموطأ فلا سبيل إليه لأن الصحابة رضي الله تعالى عنهم افترقوا بعد موته ﷺ في الأمصار فحدثوا فعند أهل كل مصر علم، وقد قال ﷺ: ''اختلاف أمتي رحمة'' كالصريح في أن المراد الاختلاف في الأحكام كما نقله ابن الصلاح عن مالك من أنه قال في اختلاف أصحاب رسول الله ﷺ مخطئ ومصيب فعليك الاجتهاد قال وليس كما قال ناس فيه توسعة على الأمة بالاجتهاد إنما هو بالنسبة إلى المجتهد لقوله فعليك بالاجتهاد فالمجتهد مكلف بما أداه إليه اجتهاده فلا توسعة عليه في اختلافهم وإنما التوسعة على المقلد فقول الحديث اختلاف أمتي رحمة للناس أي لمقلديهم ومساق قول مالك مخطئ ومصيب إلخ إنما هو الرد على من قال من كان أهلا للاجتهاد له تقليد الصحابة دون غيرهم وفي العقائد لابن قدامة الحنبلي أن اختلاف الأئمة رحمة واتفاقهم حجة انتهى''.[43]

وفي معرض بيانه لسبب عد الحاجة إلى تعدد الشرائع بعد شريعة رسول الله ﷺ بخلاف الحاجة إلى تعدد المذاهب الفقهية بقول العلامة النورسي (رحمه الله): ''تتبدل الشرائع بتبدل العصور، وقد تأتي شرائع مختلفة، وترسل رسل كرام في عصر واحد، حسب الاقوام. وقد حدث هذا فعلاً. أما بعد ختم النبوة، وبعثة خاتم الأنبياء والمرسلين (عليه أفضل الصلاة والسلام) فلم تعد هناك حاجة الى شريعة أخرى. لان شريعته العظمى كافية ووافية لكل قوم في كل عصر. أما جزئيات الأحكام غير المنصوص عليها التي تقتضي التبديل تبعاً للظروف، فان اجتهادات فقهاء المذاهب

كفيلة بمعالجة التبديل. فكما تبدل الملابس باختلاف المواسم، وتغيّر الادوية حسب حاجة المرضى، كذلك تبدل الشرائع حسب العصور، وتدور الأحكام وفق استعدادات الأمم الفطرية، لأن الأحكام الشرعية الفرعية تتبع الأحوال البشرية، وتأتي منسجمة معها وتصبح دواء لدائها. ففي زمن الأنبياء السابقين عليهم السلام كانت الطبقات البشرية متباعدة بعضها عن بعض، مع ما فيهم من جفاء وشدة في السجايا، فكانوا اقرب ما يكونون إلى البداوة في الأفكار، لذا أتت الشرائع في تلك الأزمنة متباينة مختلفة، مع موافقتها لأحوالهم وانسجامها على أوضاعهم، حتى لقد أتى أنبياء متعددون بشرائع مختلفة في منطقة واحدة وفي عصر واحد. ولكن بمجيء خاتم النبيين وهو نبي آخر الزمان ﷺ، تكاملت البشرية وكأنها ترقت من مرحلة الدراسة الابتدائية فالثانوية إلى مرحلة الدراسة العالية وأصبحت أهلاً لأن تتلقى درساً واحداً، وتنصت إلى معلم واحد، وتعمل بشريعة واحدة. فرغم كثرة الاختلافات لم تعد هناك حاجة الى شرائع عدة ولا ضرورة الى معلمين عديدين. ولكن لعجز البشرية من أن تصل جميعاً إلى مستوى واحد، وعدم تمكنها من السير على نمط واحد في حياتها الاجتماعية فقد تعددت المذاهب الفقهية في الفروع. فلو تمكنت البشرية -بأكثريتها المطلقة- أن تحيا حياة اجتماعية واحدة، وأصبحت في مستوى واحد، فحينئذ يمكن أن تتوحد المذاهب. ولكن مثلما لا تسمح أحوال العالم، وطبائع الناس لبلوغ تلك الحالة، فان المذاهب كذلك لا تكون واحدة''.[44]

حتى إن أصحاب دعوة اللامذهبية لم يستطيعوا الخروج من دائرة المذهب الفقهي، حيث كما هو معروف في فتاويهم المدونة يقلّدون متأخري مذهب الحنبلي كابن تيمية وابن القيم (رحمهما الله) ويقلدون مقلدي متأخري الحنابلة كالشيخ ناصر وابن عثيمين وأمثالهم، ولم يستطيعوا إنكار فوائد المذاهب الفقهية فقد كتب بعضهم قائلا: ''فائدة التمذهب أن يتحصل عند الطالب منهج ومعيار منضبط وغير متناقض في النظر إلى المسائل الفقهية، وأيضا سيحقق له التدرج والترقي في سلم العلم، فكل مذهب من المذاهب تعاقبت أجيال على خدمته على مدار قرون طوال، وصنف العلماء فيه مؤلفات كثيرة منها ما يقتصر على رواية واحدة ثم يتدرج، ويعرض للطالب روايتين، وهكذا، وهذه المزية لا يجدها في غير كتب المذاهب، وإنما أنكر الناس التمذهب حينما خلطوه بالتقليد المذموم الذي يتعصب فيه الطالب للإمام ويعتقد أنه قد أحاط بكل مسائل الدين وأدلتها، وأنه معصوم عن الخطأ. وعليه فالصواب أن الطالب يجوز له أن يتمذهب، شريطة ألا يتعصب''.[45]

ومن شبه اللامذهبية اغترارهم بظواهر نصوص من الكتاب والسنة كقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾الحج:٧٨ وقوله: ﴿يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾البقرة:١٨٥ وقوله: ﴿يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾النساء:٢٨ وما ورد عن أم المؤمنين سيدتنا عائشة أنها قالت: ''ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثما''[46] وكذلك القواعد التي بنيت عليهما ومنها: قاعدة المشقة تجلب التيسر وإذا ضاق الأمر اتسع والضروريات تبيح المحظورات، ودرء المفاسد أولى من جلب المصالح، والحاجة تنزل منزلة الضرورة عامة كانت أو خاصة وغيرها. متناسين أنه لا يمكن استغلال ظواهر تلك النصوص ولا قوالب تلك القواعد من أجل الانحلال عن ربقة التكليف الشرعي المبين حسب الأدلة الشرعية ومقاصد الشريعة وروحها، وإن تلكم القواعد لها مقاصدها وضوابطها وأمثلتها المذكورة في كتب القواعد والأشباه والنظائر، ولا تعني مطلقا جواز تتبع الرخص ولا التلفيق بين آراء المذاهب المؤديان إلى اللامذهبية المؤدية إلى الهلاك، واللامذهبية تناست أن مصنّفي القواعد والأشباه والنظائر الفقهية جلّهم مذهبيون، منهم: أبو الحسن الكرخي الحنفي وابن نجيم الحنفي وابن السبكي الشافعي والجلال السيوطي الشافعي والبدر الزركشي الشافعي وصاحب أنوار البروق القرافي المالكي وصاحب تقرير القواعد ابنُ رجب الحنبلي وكذلك صاحب قواعد الأحكام العز ابن عبد السلام الشافعي وغيرهم. وبذلك ظهر أنه لا مناص من التمذهب الفقهي،[47] وأن الفتوى ينبغي أن تكون وفق قواعد المذهب وضوابطها الأصولية منها والفقهية والمقصدية، وأنه ليس بوسع كل من هب ودبّ التصدر للفتوى فقد قال ﷺ: ''أَجْرَؤُكُمْ عَلَى الْفُتْيَا، أَجْرَؤُكُمْ عَلَى النَّارِ''.[48]

وكذلك من شبههم استغلال ظواهر بعض عبارات علماء المذاهب الأربعة لاسيما الإمام الشافعي (رحمه الله) حيث ورد أنه قال: ''إذا صح الحديث فهو مذهبي''، فقد حاول اللامذهبية توظيف تلك العبارة وأمثالها لدعم موقفهم الرافض للمذاهب الأربعة والطعن فيها، والجواب على تلك الشبهة من عشرة أوجه:

الوجه الأول: إن تلك العبارات حتى لو صحت فهي آثار آحاد لا ترتقي إلى النصوص القطعية المتواترة لفظا ومعنى أعني الكتاب العزيز والواردة في وجوب الرجوع إلى العلماء واتباعهم في النوازل والمستجدات، من ذلك: الأمر الوارد في آيتي النحل والأنبياء: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.النحل:٤٣، الأنبياء:٧ ومنها: وجوب رد المسألة إلى الرسول ﷺ بحضوره ثم أولي الأمر والشأن من العلماء المختصّين من أهل النظر والاستنباط من بعده، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى

الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾،[النساء:٨٣] ومنها: تخصيص القرآن الكريم لطائفة من الفقهاء للتصدي للفتوى دون العامة كي ينفروا فيرجعوا بالعلم والفقه للتبشير والإنذار، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾،[التوبة:١٢٢] ومنها: النهي الصريح عن الإفتاء بغير علم كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾.[الإسراء:٣٦] مما دل على ترك الفتوى لأهل الشأن والاختصاص، ومنها: التصريح بسلب التساوي ووجود التباين بين من يعلم ومن لا يعلم، وفيها الإشارة البالغة بلزوم اتّباع العلماء وترك غيرهم، كما قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾،[الزمر:٩] ومنها: المدح الصادر من رب العزة القادر للعلماء الأعلام المتضمن للإشارة البالغة المؤكدة بأنه يجب على العامة اتّباع منهجهم العقدي ومذهبهم الفقهي، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾،[فاطر:٢٨] وغيرها من الآيات الدالات على لزوم اتباع الفقهاء من أمة خير البشرﷺ، ومن السنة: ما صح أنه ﷺ قال: [عن حذيفة ﷺ مرفوعا: ''اقتدوا باللذين من بعدي أبو بكر وعمر''][49] وفي لفظ: [عن ابن مسعود (رضي الله عنه) ''اقتدوا باللذين من بعدي من أصحابي أبي بكر وعمر، واهتدوا بهدي عمار، وتمسكوا بعهد ابن مسعود].[50] ومنها: قصة بعثه ﷺ معاذ بن جبل ﷺ إلى اليمن وإجازته الصريحة له بمرتبته في الاجتهاد ورضاه عنه في الفتوى والقضاء دليلا على لزوم اتباع العامة له في القضاء والفتاوى الشرعية بحيث يكون مرجعهم في ذلك وأن الأدلة الشرعية لا تقتصر على الكتاب والسنة،[51] فأصبح بذلك أهل اليمن على مذهب معاذ في الفقه والقضاء، وكذلك الحال في مكة والمدينة والشام والكوفة والبحرين ومصر، فبعد وفاته ﷺ كان العامة يتمذهبون بمذاهب فقهاء الصحابة أولي الأهلية في التصدر للإفتاء كالخلفاء الأربعة وابن مسعود وابن عباس ومعاذ وزيد وأمثالهم المعدودين. حيث إن عامة الصحابة يقلدون فقهاء الصحابة في الفتاوى والقضاء، وكذلك التابعين يقلدونهم، وأتباعهم يقلدون التابعين، حتى ورد أن الإمام الشافعي كان يقلد في بعض الفتاوى غيره من أئمة التابعين، وذلك أمر جلي في الأم، جمع عباراته تلك ابن القيم في كتابه (إعلام الموقعين) حيث قال: ''وقد صرح الأئمة بجواز التقليد فقال حفص بن غياث: سمعت سفيان يقول: ''إذا رأيت الرجل يعمل العمل الذي قد اختلف فيه وأنت ترى تحريمه فلا تنهه''. وقال محمد بن الحسن: ''يجوز للعالم تقليد من هو أعلم منه ولا يجوز له تقليد من هو مثله''. وقد صرح الشافعي بالتقليد فقال: في الضبع بعير:

''قلته تقليدا لعمر'' وقال في مسألة بيع الحيوان بالبراءة من العيوب: ''قلته تقليدا لعثمان''، وقال في مسألة الجد مع الإخوة: إنه يقاسمهم ثم قال: ''وإنما قلت بقول زيد وعنه قبلنا أكثر الفرائض''، وقد قال في موضع آخر من كتابه الجديد: ''قلته تقليدا لعطاء''. وهذا أبو حنيفة (رحمه الله) قال في مسائل الآبار: ليس معه فيها إلا تقليد من تقدمه من التابعين فيها، وهذا مالك لا يخرج عن عمل أهل المدينة، ويصرح في موطئه بأنه أدرك العمل على هذا وهو الذي عليه أهل العلم ببلدنا، ويقول في غير موضع: ''ما رأيت أحدا أفتدي به يفعله'' ولو جمعنا ذلك من كلامه لطال. وقد قال الشافعي في الصحابة: ''رأيهم لنا خير من رأينا لأنفسنا'' ونحن نقول ونصدق: أن رأى الشافعي والأئمة معه لنا خير من رأينا لأنفسنا''[52] وكان ذلك تقليدا عن روية وتبصّر وعلم ودين فلا يمكن إنكاره. فأصبح بذلك إجماعا من حيث أن الصحابة والتابعين وأتباعهم وإلى اليوم على قسمين مجتهدين ومقلدين، إذ لا يصح إلزام العامي -وهو من دون المجتهد بشروطه- الاجتهاد والنظر في الكتاب والسنة ، فهيهات لمن ليس له المقدرة على التصدر للفتوى أن يفتي، ومن تجرأ فشجّع أنصاف المتعلمين على الاجتهاد ضلّ وأضلّ كما صرح به الهادي البشير ﷺ والعياذ بالله.

الوجه الثاني: إن عبارة الإمام الشافعي وأمثالها إنما صدرت عن أصحاب المذاهب الفقهية عينها، فلو كانت تدل على نفي التمذهب لصرح الأئمة بعدم جواز تقليدهم في الفتوى والقضاء، ولنقل عنهم أصحابهم القول بمنع تقيلدهم واتباعهم، وحيث لم يصدر ذلك ولم ينقل هذا، تبين أن معنى العبارة تلك هو غير ما فهمه اللامذهبية.

الوجه الثالث: إن رضيت اللامذهبية بعبارة الإمام الشافعي تلك ينبغي أن يتبعوه كذلك في غيرها من عباراته ونصوصه المبينة في كتب الأم والرسالة والأحكام وغيرها، والمصرحة بضرورة اتباع أهل العلم والنظر خصوصا مقدمة كتابه (الرسالة في أصول الفقه)، لأنه لا يجوز التجزئة في عباراته أو الانتقاء منها.

الوجه الرابع: في عبارته تلك التحدي الواضح لمنكري مذهبه، بمعنى: ''أنكم أيها المخالفون إذا وجدتم في مذهبنا ما يخالف الحديث الصحيح فدعوا مذهبنا حينئذ، لكن لا تجدون ما يخالف الصحيح من الحديث، لأن مذهبنا مبني على أصول التشريع من الكتاب والسنة والإجماع والقياس الصحيح''، وإذ وجد حديث على سبيل المثال يخالف مذهبه فإنه إما معلّل بعلة خفية لم يتطلع عليها اللامذهبية، واطلع عليها الإمام الشافعي فلم يعمل به، أو أن الحديث منسوخ أو مخصوص أو مقيّد أو غير ذلك مما صرح به في رسالته المشهورة في أصول الفقه، لذلك فإن جميع

ما أفتى به الإمام الشافعي ـ وكذلك غيره من الأئمة الأربعة ـ يسانده دليل أو أكثر إما من الكتاب أو السنة أو الإجماع أو القياس أو الآثار الصحيحة أو غير ذلك كما هو جلي لمن تصفّح كتابه الأم أو مسنده في الحديث أو رسالته في الأصول أو كتابه في أحكام القرآن أو غير ذلك مما ذكره البيهقي في المناقب أو الآثار.

الوجه الخامس: لو كان المعنى كما توهمته اللامذهبية لما جهله أصحابه وطبقات مذهبه منذ أربعة عشر قرنا ولتركوا مذهبه ، لكن أصحابه كالبيوطي والمزني والمرادي وابن عبد الأعلى وحرملة والربيع وغيرهم بدل ذلك روّجوا مذهبه بدل أن يتركوه، ثم من جاء من بعدهم من طبقات مذهبه طبقة طبقة وجيلا بعد جيل هذّبوه وقعّدوا له وشرحوا أقواله وفتاواه سواء من الأصوليين والفقهاء والمفسرين والحفاظ وغيرهم، فيا ترى هل هؤلاء كلهم جهلوا معنى عبارته، بينما فهمها اللامذهبية؟! بالإضافة إلى ذلك فإن جل من جمعوا الحديث الشريف وبينوا دراجات صحة سنده أو سقمه كلهم من طبقات المذاهب الأربعة (رضوان الله عليهم) حيث لم يفتوا في الفروع إلا نادرا، قائلين للفقهاء: ''إنما نحن الصيادلة وأنتم الأطباء''. وقد بينا في كتاب(حكم الإفتاء بمذهب الصحابي وتقليده) المسألة مفصلة تحت موضوع (ليس كل محدث فقيها يستطيع الإفتاء)[53] نجملها ههنا لمزيد الفائدة حيث جاء: ''مما ينبغي معرفته أن الإفتاء يتطلب فقها واسعاً، إذ ليس كل من حفظ القرآن الكريم أو جملة من متون أحاديث الرسول ﷺ بوسعه التصدي للإفتاء، كما وقد تفشّت تلك الظاهرة وللأسف في العالم الإسلامي بين أوساط أنصاف طلاب العلم، وتلك ظاهرة ممقوتة وبدعة في الدين شنيعةٌ ينبغي التصدي لها، ومن ثم نصّ علماء السلف على أنه ليس كلّ محدّث فقيها، وقد أقر بتلك الحقيقة وأذعن لها محدّثون وحفاظا أجلاّء من أمثال الإمام التابعي الشهير المفسر الحافظ أبي محمد سليمان بن مهران الملقب بالأعمش المتوفى ١٤٨هـ، الذي كان بحيث من العلم والتقوى قال عنه الحافظ الذهبي في ترجمته له: [قال ابن عيينة: كان الأعمشُ أقرأهم لكتاب الله وأحفظهم للحديث وأعلمهم بالفرائض، وقال الفلاس: كان الأعمش يسمى المصحف من صدقه، وقال يحيى القطان الأعمش علامة الإسلام، وقال الحربي: ما خلف الأعمش أعبد منه لله، وقال وكيع: بقي الأعمش قريبا من سبعين سنة لم تَفُتْهُ التكبيرة الأولى... وكان رأسا في العلم النافع والعلم الصالح].[54] وقال عنه الحافظ السخاوي: [لم ير السلاطين والملوك والأغنياء في مجلس أحقر منهم في مجلس الاعمش مع شدة حاجته وفقره].[55] مع كل هذا الفضل والعلم والتقوى والمعرفة بالكتاب والسنة أقرّ شخصية بمثل الإمام الأعمش بفقه الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان (رضي الله عنه)، وبأن

الفقهاء كالأطباء والحكماء بينما المحدّثون كالصيادلة، ولا شك أن الصيدلاني ينتظر وصفة الطبيب كي يعطي للمريض الدواء المناسب، فقد أخرج الحافظ أبو الحسين محمد بن أحمد الصيداوي (ت٤٠٢هـ) قال: [حدثنا عبيد الله بن عمرو قال: جاء رجل إلى الأعمش فسأله عن مسألة وعنده أبو حنيفة، فقال: يا نعمان قُل فيها، فقال: القول فيها كذا وكذا، فقال له الأعمش: مِن أين قلت؟ قال: من حديثك الذي حدّثتنا به، قال الأعمش: نحن صيادلةٌ وأنتم الأطباء].[56] وأخرج الحافظ فخر المالكية شيخ الإسلام أبو عمر يوسف بن عبد الله ابن عبد البر النميري القرطبي (ت٤٦٣هـ) بسنده المتصل [عن عبيد الله بن عمرو قال: كنت في مجلس الأعمش، فجاءه رجلٌ فسأله عن مسألةٍ، فلم يجبه فيها، ونظر فإذا أبو حنيفة، فقال: يا نعمان قل فيها، قال: القول فيها كذا، قال من أين؟ قال من حيث حدّثتناه، قال: فقال الأعمش: نحن الصيادلة وأنتم الأطباء].[57] وقال الحافظ نور الدين علي بن سلطان القارئ الحنفي (ت١٠١٤هـ) في ترجمته للإمام أبي حنيفة: [وأمّا علمه فيكفي ما قال الشافعي في حقه: ''الخلق كلهم عيال أبي حنيفة في الفقه''، والعذر في كثرة استغاله بالأمور الفقهية من المسائل الفرعية والدلائل الأصولية أنه رأى أنه الأهم واحتياج الناس إليه أتم وهوي الحقيقة اشتغال بالمعنى المعبر عنه بالدراية وهو مفضل على التعليق بالمبنى الذي يقال له الرواية، وبهذا فاق على أقرانه من المحدّثين وغيرهم، وقد سأله الأوزاعي عن مسائل وأراد البحث معه بوسائل، فأجاب على وجه الصواب، فقال له الأوزاعي: من أين هذا الجواب؟ فقال من الأحاديث التي رويتموها، ومن الأخبار والآثار التي نقلتموها، وبيّن له وجه دلالاتها وطريق استنباطاتها فأتصف الأوزاعي ولم يتسعّف، فقال: ''نحن العطّارون وأنتم الأطباء'' أي أنتم العارفون بالداء والدواء].[58] هذا الذي مرّ كان حال المحدّث الحقيقي من أمثال الأعمش والأوزاعي، فما بالك بأدعياء هذا الزمان؟! وقد قال الإمام أبو نصر تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين أبي الحسن علي السبكي (ت٧٧١هـ) في كتابه النفيس: (معيد النعم ومبيد النقم) في أمثالهم ما نصه: [من الناس فرقةٌ ادّعت الحديث، فكان قصارى أمرها النظر في ''مشارق الأنوار'' للصغاني،[59] فإن ترفعت إلى ''مصابيح البغوي''[60] ظنت أنها بهذا المقدار وصلت إلى درجة المحدثين، وما دلك إلا بجهلها بالحديث، فلو حفظ من ذكرناه هذين الكتابين عن ظهر قلب وضم إليهما من المتون مثليهما لم يكن محدثا حتى يلج الجمل في سم الخياط. فإن رامت بلوغ الغاية في الحديث على زعمها اشتغلت بـ ''جامع الأصول'' لابن الأثير،[61] فإن ضمت إليه كتاب علوم الحديث لابن الصلاح أو مختصره المسمى بالتقريب والتيسير للنووي ونحو ذلك ينادى من انتهى إلى هذا المقام محدّث المحدثين،

وبخاري العصر، وما ناسب هذه الألفاظ الكاذبة، فإن من ذكرناه لا يعد محدّثا بهذا القدر، وإنما المحدّث من عرف الأسانيد والعلل وأسماء الرجال والعالي والنازل، وحفظ مع ذلك جملة مستكثرة من المتون، وسمع الكتب الستة ومسند أحمد وسنن البيهقي ومعجم الطبراني، وضمَّ إلى هذا القدر ألف جزء من الأجزاء الحديثة، فهذا أقل درجاته، فإذا سمع ما ذكرناه وطبق الطباق ودار على الشيوخ وتكلّم في العلل والوفيات والمسانيد كان في أول درجات المحدّثين ثم يزيد الله ما يشاء].[62] وقال العلامة عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني معقبّاً على كلام التاج السبكي: [قلت: قد أراح الناس اليوم من يسمونه بالمحدث والحافظ من جملة هذه الشروط، وبالخصوص من الرحلة والضبط والمعرفة والتكلّم في العلل والوفيات والأسانيد ومعرفة الأجزاء الحديثية، بل لآ يتصورون أن هذه الأمور من الحديث وعلومه، بل صار المحدّث عندهم من يكثر الصياح ويخلط في كلامه، ولو لم يرحل ولم يلق أحدا من أهل هذه الصناعة، ولا عرف معنى الجزء والمشيخة والطبقة، فإن ذكر لهم متونا قلب أسانيدها و زخرف ألفاظها وموه في أحكامها ومراتبها وركب لها أسانيد من عنده دعوه بخاري العصر ومحدث الزمان، وهذا لعمري ما يوجب المسخ والخسف والطرد عن الله، والبعد عن جميل الوصف، فكيف يدعى بالحافظ والمحدّث من لا يعرف كيفية النطق باسم راوٍ معروف ولا مسند موصوف، وغاية علمه تركيب أسانيد المتون وعدم خوفه من مغبة ذلك يوم المنون، إلى غير ذلك مما بسطناه وشرحناه شرحاً لا مزيد عليه في كتابنا: الأجوبة النبعة عن الأسئلة الأربعة].[63] أقول: وقد ظهر في زماننا هذا من ادعى أنه محدّث، فلما تعقَّب بعض العلماء في هذا الفن تعليقاته وأحكامه على الروايات وجدها مليئة بآلاف من التناقضات والأخلاط والأخطاء وإلى الله المشتكى"!

الوجه السادس: ثم إن عبارة الإمام الشافعي هذه إنما توجّه بها أصحابه من جهابذة العلم والتقوى ممن ذكرنا بعضهم آنفا، ومع ذلك لم يتركوا مذهبه، لتيقُّنهم بحقيقة مذهبه وصواب رأيه وصحة استنباطاته، حيث لم توجّه تلك العبارة وأمثالها نحو أنصاف المتعلمين فتستغل في أيامنا هذه التي هي من أيام شر القرون، وهذا سر تأليف الإمام النورسي رسالته الشهيرة في مخاطر "الاجتهاد في عصرنا الحاضر" وضوابطه. وكذلك ما نقل عن أبي حنيفة في ذلك فإنه إنما وجهها نحو أصحابه من جهابذة العلم وكنوز المعرفة كمحمد الشيباني أبي يوسف وزفر وأمثالهم وعلى سبيل التحدي كما قلنا.

الوجه السابع: إن من نقلوا هذه العبارة عن الإمام الشافعي إنما هم علماء مذهبه الفقهية أنفسهم كالبيهقي والغزالي وابن عبد السلام والنووي والسيوطي وغيرهم

وهؤلاء كلهم مذهبيون يتبعون قواعد فقه إمامهم الشافعي في الإفتاء والقضاء. فلو كان المعنى كما روّجت له اللامذهبية للزم هؤلاء ترك مذهب إمامهم قبل غيرهم لأنهم هم من نقلوا عبارته تلك.

الوجه الثامن: لا شك أن القرآن الكريم لا يأتيه الباطل وكله متواتر لفظي ومعنى فلماذا لم توجد في عبارته تلك لزوم الرجوع إلى القرآن الكريم مكتفيا بما صح من الحديث، قائلا: ''إذا صح الحديث فهو مذهبي'' دل ذلك على لزوم مراجعة العامة للأئمة في الكتاب العزيز أولا لأنه ذو فنون وشجون وبطون، ولا يمكن الرجوع إليه إلا عن طريق السنة النبوية ولا طريق إلى السنة إلا عن طريق العلماء البارزين أهل النظر والاستنباط، إذ فهم الأئمة شرح للسنة وهي شرح للكتاب العزيز، كما نقل عن الإمام الشافعي قوله: ''جميع ما تقوله الأئمة شرح للسنة، وجميع السنة شرح للقرآن''.[64]

الوجه التاسع: قوله: ''إذا صح الحديث'' دليل على لزوم اعتبار وجود شرط الصحة عنده، إذ شروط الصحة عند العلماء ومنهم الشافعي في قبول الحديث ورده تختلف، كما يختلف شروط المحدثين من حيث القبول والرد. فالمعنى: إذا صح الحديث بشروط القبول لدينا فهو مذهبي، وذلك مرتبة عالية لا يصل إليها إلا المجتهد الحاذق.

الوجه العاشر: إن الهدف الأعلى من عبارته ـ كما يعتقده الباحث ـ هو إعلام الناس أن الأئمة غير معصومين من الخطأ والزلل، وأن العصمة إنما تخص الحضرة المحمدية ﷺ، إحقاقا لمذهب أهل السنة والجماعة وإبطالا لغيره من الفرق. كي لا يعتقد في المذهب الفقهي القداسة التي ينبغي أن يعتقد في الكتاب والسنة والإجماع، والله تعالى أعلم، وقد لمّح إلى ذلك العلامة النورسي (رحمه الله) في معرض حديثه عن الكتب الفقهية وذلك في كتابه صيقل الإسلام كما سيأتي بيانه.[65]

وبذلك تبين بطلان زعم من تشبّث بعبارة الإمام الشافعي تلك، مستغلا إياها للطعن فيه وفي مذهبه أو مذهب غيره من الأئمة العظام.

ثانيا: أصحاب دعوى التعصُّب في الميزان الشرعي والعقلي

إن التعصب أمر ممقوت في كل شيء وقد مر بنا تعريف التعصب المذهبي لغة واصطلاحا في المبحث الأول، وعنا نبين حقيقة أن كل مذهب فقهي إذا مال أصحابه نحو التعصب تضرر هذا المذهب وإن كان مذهبا حقا، فمثلا مذهب داود الظاهري الذي كان إماما في الدين كما نص عليه التاج السبكي في جمع الجوامع، مع ذلك أباد هذا المذهب الفقهي من بعده الشيخ ابن حزم بلسانه وتشدده وتهجمه على

المذاهب الأربعة خصوصا المالكية، حتى قال أبو العباس ابن العريف أحمد بن محمد الصنهاجي الأندلسي المتوفى ٥٣٦هـ في حقه: ''كان لسان ابن حزم وسيف الحجاج شقيقين''.[66] فتسبب تشدده وتعصبه في اضمحلال المذهب الظاهري شيئا فشيئا، وذلك لأن لحوم العلماء مسمومة كما قال الحافظ ابن عساكر الدمشقي في مقدمة كتابه ''تبيين كذب المفتي فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري''. ''وَاعْلَم يَا أخي وفقنَا الله وَإِيَّاك لمرضاته مِمَّن يخشاه ويتقيه حق تُقَاته إِن لُحُوم الْعلمَاء رَحْمَة الله عَلَيْهِم مَسْمُومَة وَعَادَة الله فِي هتك أَسْتَار منتقصيهم مَعْلُومَة...''[67] وقد اعتبر الأستاذ بديع الزمان توجيه النقد وتجريح الثقة بالأئمة الأجلاء المؤلفين للكتب الفقهية.. ظلما فاضحا، وخطرا جسيما، وإجحافا بحقهم لأنهم يستحقون كل الاحترام والتوقير والثقة والاعتماد.[68]

نعم؛ لا مناص من حتمية وقوع الخلاف الفقهي المؤدي إلى تحقيق مصالح الناس وذلك لأسباب عديدة صنف فيها العلماء كتبا سموها: أسباب اختلاف الفقهاء،[69] لكن المهم هو أن لا يؤدي إلى التعصب ولا يخرج من دائرة الإجماع، كمسألة إنكار الإجماع والقياس من الأدلة الأربعة، ومسألة القول بعصمة الأئمة الذي هو داخل ضمن التعصب الممقوت وخارج عن أسس الشريعة التي لم تجعل العصمة لغير النبي ﷺ، وقد نبّه ابن خلدون إلى حتمية وقوع الخلاف الفقهي بين الفقهاء فقال: ''ولا بد من وقوعه، ضرورة أن الأدلة غالبها من النصوص، وهي بلغة العرب، وفي اقتضاءات ألفاظها لكثير من معانيها اختلافٌ بينهم معروف، وأيضا: فالسنة مختلفة الطُّرق في الثبوت، وتتعارض في أكثر أحكامها، فتحتاج إلى الترجيح، وهو مختلف أيضا، فالأدلة من غير النصوص مختلف فيها، وأيضا فالوقائع المتجددة لا توفى بها النصوص، وما كان منها غير ظاهر في المنصوص فيحمل على المنصوص لمشابهة بينهما، وهذه كلها إشارات للخلاف، ضرورية الوقوع''. ثم قال: ''ومن هنا وقع الخلاف بين السلف والأئمة من بعدهم، ثمّ إنّ الصحابة كلهم لم يكونوا أهل فتيا، ولا كان الدين يؤخذ عن جميعهم، وإنما كان ذلك مختصاً بالحاملين للقرآن، العارفين بناسخه ومنسوخه، ومتشابهة ومحكمة، وسائر دلالته، بما تلقوه من النبي ﷺ، أو ممن سمعه منهم، وكانوا يسمون لذلك القراء أي الذين يقرؤون الكتاب، لأن العرب كانوا أمَّةً أميّة، فاختص من كان منهم قارئاً للكتاب بهذا الاسم، لغرابته يومئذٍ، وبقي الأمر كذلك صدر الملة، ثم عظمت أمصار الإسلام، وذهبت الأمية من العرب بممارسة الكتاب، وتمكّن الاستنباط، وكمل الفقه، وأصبح صناعةً وعلماً، فبدلوا باسم الفقهاء والعلماء من القراء، وانقسم الفقه فيهم إلى طريقتين: طريقة أهل الرأي والقياس: وهم أهل العراق،

وطريقة أهل الحديث، وهم أهل الحجاز، وكان الحديث قليلا في أهل العراق، فاستكثروا من القياس، ومهروا فيه، فلذلك قيل أهل الرأي، ومقدم جماعتهم الذي استقر المذهب فيه، وفي أصحابه: أبو حنيفة، وإمام أهل الحجاز: مالك بن أنس، والشافعي من بعده، ثم أنكر القياس طائفةٌ من العلماء، وأبطلوا العمل به، وهم الظاهرية، وجعلوا المدارك كلها منحصرةً في النصوص والإجماع، وردوا القياس الجلي، والعلة المنصوصة إلى النص، لأن النصَّ على العلة نصٌ على الحكم في جميع محالها، وكان إمام هذا المذهب: داود بن علي، وابنه، وأصحابهما، وكانت هذه المذاهب الثلاثة هي مذاهب الجمهور المشتهرة بين الأمة، وشذ أهل البيت[70] بمذاهب ابتدعوها، وفقه انفردوا به، وبنوه على مذهبهم في تناول بعض الصحابة بالقدح، وعلى قولهم بعصمة الأئمة، ورفع الخلاف عن أقوالهم، وهي كلها أصول واهية، وشذ بمثل ذلك الخوارج، ولم يحتفل الجمهور بمذاهبهم، بل أوسعوها جانب الإنكار والقدح، فلا نعرف شيئاً من مذاهبهم، ولا نروي كتبهم..."[71]

نعم؛ قد يوجد عند بعض العلماء من المتأخرين المنتمين إلى المذاهب شيء من التعصب الفقهي أو الإجحاف بحق الغير، لكنه لا يمثل وجهة نظر الأئمة المجتهدين الأمثل فالأمثل وهو قليل جدا مقارنة بالاحترام المتبادل بين فحول المذاهب الأربعة وعباراتهم الودية والأخوية التي لا تعد ولا تحصى. ومن أمثلة ذلك:

براهين على عدم تعصب علماء المذاهب الأربعة:

١- لو كان هناك تعصب لما أقدم علماء المذاهب الأربعة بشرح متون غير مذهبهم، فمثلا شرح الإمام أبو الفيض محمد مرتضى الزبيدي الحنفي كتاب إحياء علوم الدين للإمام الغزالي الشافعي، وشرح الإمام السيوطي الشافعي ألفية ابن مالك المالكي، وشرح الشيخ أحمد الصاوي المالكي تفسير الجلالين للمحلي والسيوطي الشافعيين، وشرح الإمام الزرقاني المالكي كتاب المواهب اللدنية للعلامة القسطلاني الشافعي، وشرح الحافظ ملا علي القارئ الحنفي وشرح القاضي عبد الله بن محمد العبيدلي التبريزي، الحنفي كتاب المنهاج في أصول الفقه للقاضي ناصر الدين البيضاوي الشافعي، وشرح كتاب الورقات للجويني الشافعي الإمامُ الشيخ: قاسم بن قطلوبغا الحنفي، كتاب الشفا للقاضي عياض المالكي، وكتاب مصابيح السنة للإمام البغوي الشافعي شرحه غير الشافعية كذلك ومنهم الإمام قاسم بن قطلوبغا الحنفي وشهاب الدين فضل الله بن حسين التوربشتي الحنفي وغير ذلك.

٢- ولو نظرنا كذلك إلى كتب التراجم والطبقات لرأينا تلك الحقيقة بأم أعيننا، حيث ترجم علماء المذاهب بعضهم للبعض الآخر بأدق العبارات وأجملها وأعلاها ومنهم ابن خلكان الشافعي في ''وفيات الأعيان'' وابن العماد الحنبلي في ''شذرات الذهب''.

٤- كتب الخلاف الفقهي ''الفقه المقارن'' كالحاوي الكبير للماوردي الشافعي والمجموع للنووي الشافعي وفتح القدير لابن الهمام الحنفي وشروح الكنز للنسفي الحنفي ومنها شرح الزيلعي والشبلي وملا مسكين، والشرح الكبير للدردير المالكي والشرح الكبير للمقدسي الحنبلي وغيرها ناقلين من غير الحساسية والإحراج وبكل دقة واحترام آراء المذاهب الأخرى وأدلتهم مترحمين عليهم.

٥- وكذلك شروح الصحيحين وغيرهما من كتب السنة نجدها معتمدين أصحابها في شرح المعضلات من المسائل وبيان المصطلحات وترجمة الرجال على علماء غير مذهبهم.

٦- لو وجد تعصب لما أفردوا أئمة المذاهب بالترجمة أو بينوا مناقبهم ومزاياهم وذلك مما يشعر به كل من طالع كتب التراجم والسير للمذاهب الأربعة. حتى ابن العلامة ابن حجر المكي الشافعي قد أفرد في ترجمة مناقب الإمام أبي حنيفة النعمان بتأليف سماه: ''الخيرات الحسان في مناقب أبي حنيفة النعمان''، وذلك مشيا على خطوات إمامه الشافعي حيث لم يعرف التعصب بشهادة السادة الأحناف وفي ذلك يقول ابن ملا فروخ الحنفي في القول السديد: ''وقد نَص في جواهر الفتاوي وغيرها من كتب أصحابنا أن الإمام الشافعي رحمه الله تعالى لم يكن له تعصب على أئمتنا (رحمهم الله تعالى) وقد كان الصحابة (رضي الله عنهم) يقتدي بعضهم ببعض وكذا التابعون لهم وفيهم المجتهدون ولم ينقل عن أحد من السلف رحمهم الله تعالى أنه كان لا يرى الاقتداء بمن يخالف قوله في بعض المسائل ولو في خصوص الطهارة والصلاة بل كان يقتدي بعضهم ببعض وربما اعتقد بعضهم ولاية بعض حتى أن الشافعي (رضي الله عنه) بعث يطلب قميص الإمام أحمد بن حنبل من بغداد يستشفي به في مدة مرضه بغسله وشرب مائه كما رأيته مثبتا في مناقب أحمد رضي الله تعالى عنهم يعامل بعضهم بعضا كما يعلم ذلك من سيرهم وأحوالهم، ولا يلتفت إلى ما قد تمسك به من لا معرفة عنده بأن الاختلاف بينهم لم يكن بينهم بهذه الصفة التي عليها المذاهب الآن لأنا قد قررنا أن ذلك لا يمنع لأن الكل كانوا في طلب الحق على حد متساو واجتهاد كل واحد منهم يحتمل الخطأ كغيره بعد تسليم بلوغهم درجة الاجتهاد وإن تفاوتوا فيه''.[72]

٧- حتى إن بعض السادة الأفاضل من علماء المذاهب الأربعة قد جمعوا مناقب الأئمة الأربعة ومسانيدهم وتراجمهم وفضائلهم وترجمة رجال مذهبهم في مؤلف واحد إذعانا بالوحدة وبرهانا للتفاني والمحبة، ومن تلك الكتب: ''معدن اليواقيت الملتمعة في مناقب الأئمة الأربعة'' لابن حجر الهيتمي الشافعي. و ''زبدة الأخبار فِي مَنَاقِب الأئمة الاربعة الأبرار'' لركن الدَّين الْبَغْدَادِيّ شَافِع بن عمر بن إسماعيل الحنبلي، و ''اللآلىء اللامعة فِي تراجم الأئمة الأربعة'' لابْن الشماع عمر بن احْمَد أَبُي حَفْص الْمَعْرُوف الْحلَبِي الشَّافِعِي و ''مناقب الأئمة الأربعة'' (رضي الله عنهم) للحافظ أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي المقدسي الحنبلي و ''الاختصار في مناقب الأربعة أئمة الأمصار أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد'' للإمام محمد بن أحمد الموصلي الحنبلي، و ''الأربعين في فضائل الأئمة الأربعة'' للعلامة عبيد الله بن محمد الخجندي و ''تعجيل المنفعة برواية رجال الأئمة الأربعة'' للحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن حجر العسقلاني. و ''زبدة الأحكام في اختلاف مذاهب الأئمة الأربعة'' الأعلام لسراج الدين أبي حفص عمر بن إسحاق الهندي الغزنوي الحنفي. و ''فلك الفقه في مسائل الخلاف بين الأئمة الأربعة'' (رضى الله تعالى عنهم) لأبي الحسين أحمد بن أبي الحناجر الشافعي الحموي، و ''اللآلي اللامعة في تراجم الأئمة الأربعة'' لزين الدين عمر بن أحمد الشماع الحلبي المتوفى سنة ٩٣٦هـ وغير ذلك.[73]

٨- لنتدبر مقدمات الكتب المصنفة في الفقه كيف تواضعوا واعترفوا بالعجز مما دل على عدم التعصب ونفي العصمة في الرأي والفكر والفقه، فلنتبصّر عبارة الإمام علاء الدين البخاري الحنفي حيث قال في مقدمة (كشف الأسرار): ''ومن نظر فيه بعين الإنصاف، عرف دعوى الصدق من الخلاف، ثم إني وإن لم آل جهدا في تأليف هذا الكتاب وترتيبه ولم أدخر جدا في تسديده وتهذيبه، فلا بد من أن يقع فيه عثرة وزلل، وأن يوجد فيه خطأ وخطل، فلا يتعجب الواقف عليه عنه، فإن ذلك مما لا ينجو منه أحد ولا يستنكفه بشرٌ، وقد روى البويطي عن الشافعي (رحمه الله) أنه قال له إني صنفت هذه الكتب فلم آل فيها الصواب فلا بد أن يوجد فيها ما يخالف كتاب الله تعالى وسنة رسوله -عليه السلام- قال الله تعالى ﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا﴾[النساء:٨٢] فما وجدتم فيها مما يخالف كتاب الله وسنة رسوله فإني راجع عنه إلى كتاب الله وسنة رسوله. وقال المزني قرأت كتاب الرسالة على الشافعي ثمانين مرة فما من مرة إلا وكنا نقف على خطأ فقال الشافعي: هيه أبى الله أن يكون كتاب صحيحا غير كتابه فالمأمول ممن وقف عليه بعد أن جانب التعصب والتعسف ونبذ وراء ظهره التكلف والتصدف، أن يسعى في إصلاحه بقدر الوسع والإمكان، أداء لحق

الأخوة في الإيمان، وإحرازا لحسن الأحدوثة بين الأنام، وادخارًا لجزيل المثوبة في دار السلام ''.[74] وقال الإمام أبو إسحاق الشاطبي المالكي في الموافقات: ''ومن هنا لا يسمح للناظر في هذا الكتاب أن ينظر فيه نظر مفيد أو مستفيد؛ حتى يكون ريان من علم الشريعة، أصولها وفروعها، منقولها ومعقولها، غير مخلد إلى التقليد والتعصب للمذهب٣، فإنه إن كان هكذا؛ خيف عليه أن ينقلب عليه ما أودع فيه فتنة بالعرض، وإن كان حكمة بالذات، والله الموفق للصواب''. وجاء في بعض النسخ بعد ذلك تعليق للشاطبي وهو قوله: ''التعصب للمذهب ينشأ عن قصر النظر وعدم التفقه في الأصول العالية، ولهذا نجد المتبحر في علم الكتاب والسنة، المطلع على مذاهب الفقهاء ومداركها؛ يكاد احترامه للمذهب الذي يتبعه لا يزيد على احترامه للمذاهب الأخرى، وذلك لما يبدو له من رجحانها وتفوقها على مذهبه في كثير من المسائل''.[75] وقال العلامة ابن السبكي في الأشباه والنظائر: ''مسألة: رجل قال لامرأته إن لم يكن الشافعي أفضل من أبي حنيفة فأنت طالق. فقال آخر: إن لم يكن أبو حنيفة أفضل فامرأتي طالق فمن الذي تطلق امرأته. الجواب: قيل: لا تطلق امرأة واحد منهما، لأن الأمر في ذلك ظني والأصل بقاء النكاح. وقال القفال: لا نجيب في هذه المسألة -كذا نقله الرافعي ونجيب بالنون والجيم. وهذا من محاسن القفال؛ فإن الدخول بين أئمة الدين والتفضيل بينهم لمن لم يبلغ رتبتهم لا يحسن، ويخشى من غائلته في الدنيا والآخرة، وقل استعمله فأفلح. ولا يخفى أن القفال يعتقد رجحان الشافعي؛ ولكنه ليس أمرًا ينبغي له ذكره وإشاعته، وأنه آيل إلى التعصب المذموم، وربما كان سببًا إلى الوقيعة في العلماء الموجبة لخراب الديار. وربما عارض حنفي شافعيًا بمثل مقالته فانتهى إلى الوقيعة في الشافعي وأهل مذهبه، وكان ذلك سبب هلاكه؛ فإن أهل العلم بالتجارب ذكروا أن من خواص الشافعي رحمه الله من بين الأئمة أن من تعرض إليه أو إلى أهل مذهبه بسوء أو تنقيص هلك قريبًا، وأخذوا ذلك في قوله ﷺ: ''من أهان قريشًا أهانه الله'' قالوا: وليس في الأئمة المتبوعين في الفروع قرشي غيره. وذلك قوله ﷺ: ''هذا الأمر في قريش لا يعاديهم أحد إلا كبه الله على وجهه''. وغير ذلك من الأحاديث وغيرها. فلعل القفال رحمه الله أراد بهذا الباب خشية الوقوع في المحذور''.[76] وبما أن للتعصب المذهبي كل هذه الرذائل حقيق بالمسلم أن يتركه، يتمذهب لكن لا يتعصب فيه.

ثالثا: منهج الأستاذ بين طرفي الافراط والتفريط

إن منهج الأستاذ هو حتمية التمذهب لمن هم دون مرتبة الاجتهاد المحاطة بالصعاب والموانع، مما يفهم منه المنع من التلفيق بين المذاهب وعدم تتبع رخصهم وذلك نابع من ضرورة المحافظة على التوازن الموجود في المذهب الفقهي، حيث إن كل مذهب من المذاهب الأربعة فيه الرخصة كما فيه العزيمة، فلا مذهب كله رخص أو كله عزيمة، فمن فلق أو تتبع الرخص أنشأ لنفسه مذهب لا يرضى به الأئمة المجتهدون ولا القواعد الفقهية والأصولية المبنية عليه المذاهب، لذلك ابتدع بدعة سيئة عليه يكون وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة، يقول الدكتور نيازي بكي: ''الأصل في دنيا الإرشاد هو تجنب ما يدعو الى اختلال الميزان بين الرخصة والعزيمة. ولا شك أن من حق الناس الاستفادة من الرخص التي تعبر عن التسامح والمرونة في الدين الإسلامي. إن تعدد آراء المذاهب الأربعة من عوامل حفظ التوازن بين الرخصة والعزيمة كما يقول الإمام الشعراني. فالأقوياء يعملون بالعزيمة والضعفاء يأخذون بالرخص، ''وما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا اختار ايسرهما''. إن اختيار الأيسر يعني تفهم العجز البشري الذي هو أساس العبودية''.[77]

فالأستاذ النورسي (رحمه الله) مع كونه شافعي المذهب لا يستغني عن المذاهب الأخرى المعتبرة، ويعتبر أن لكل منها وجه حق بنوع حق، حتى إنه (رحمه الله) ذهب إلى إمكانية تعدد الحق من هذه الحيثية،[78] وإن كان الجميع يستنبطون من ينبوع واحد، ويمثّل ذلك بالماء ثم يصوّر كون الاختلاف رحمة للمقلدين المتبعين كلّ حسب ذوقه وتذوقه ودرجته وحاله وحتى بيئته، فإن للبيئة دورا في اتباع المذاهب الفقهية وفي ذلك يقول: ''فان قلت: ان الحق واحد، فكيف يمكن ان تكون الأحكام المختلفة للمذاهب الأربعة والاثني عشر[79] حقاً؟ الجواب: يأخذ الماء أحكاماً خمسة مختلفة حسب أذواق المرضى المختلفة وحالاتهم: فهو دواء لمريض على حسب مزاجه، أي تناوله واجب عليه طباً. وقد يسبب ضرراً لمريض آخر فهو كالسم له، اي يحرم عليه طباً، وقد يولد ضرراً أقل لمريض آخر فهو اذن مكروه له طباً، وقد يكون نافعاً لآخر من دون أن يضره، فيسنّ له طباً، وقد لا يضر آخر ولا ينفعه، فهو له مباح طباً فليهنأ بشربه. فنرى من الأمثلة السابقة: إن الحق قد تعدد هنا، فالأقسام الخمسة كلها حق، فهل لك ان تقول: إن الماء علاج لا غير، أو واجب فحسب، وليس له حكم آخر؟. وهكذا -بمثل ما سبق- تتغير الأحكام الإلهية بسَوْقٍ من الحكمة الإلهية وحسب التابعين لها. فهي تتبدل حقاً، وتبقى حقاً ويكون كل حكم منها حقاً ويصبح مصلحة. فمثلا: نجد ان اكثرية الذين يتبعون الامام الشافعي (رضى الله عنه) هم اقرب من الأحناف إلى البداوة

وحياة الريف، تلك الحياة القاصرة عن حياة اجتماعية توحدّ الجماعة. فيرغب كل فرد في بث ما يجده في نفسه الى قاضي الحاجات بكل اطمئنان وحضور قلب، ويطلب حاجته الخاصة بنفسه ويلتجئ اليه، فيقرأ سورة الفاتحة بنفسه رغم انه تابع للإمام. وهذا هو عين الحق، وحكمة محضة في الوقت نفسه. أما الذين يتبعون الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان (رضي الله عنه) فهم بأكثريتهم المطلقة اقرب إلى الحضارة وحياة المدن المؤهلة لحياة اجتماعية، وذلك بحكم التزام اغلب الحكومات الإسلامية لهذا المذهب. فصارت الجماعة الواحدة في الصلاة كأنها فرد واحد، وأصبح الفرد الواحد يتكلم باسم الجميع، وحيث ان الجميع يصدقونه ويرتبطون به قلباً، فان قوله يكون في حكم قول الجميع، فعدم قراءة الفرد وراء الإمام بـ ''الفاتحة'' هو عين الحق وذات الحكمة. ومثلاً: لما كانت الشريعة تضع حواجز لتحول دون تجاوز طبائع البشر حدودها، فتقوّمها بها وتؤدبها، فتربى النفس الأمارة بالسوء، فلابد ان ينقض الوضوء بمس المرأة وقليل من النجاسة يضر، حسب المذهب الشافعي الذي أكثر أتباعه من أهل القرى وإنصاف البدو والمنهمكين بالعمل اما حسب المذهب الحنفي الذين هم بأكثريتهم المطلقة قد دخلوا الحياة الاجتماعية، واتخذوا طور انصاف متحضرين فلا ينقض الوضوء من مسِّ المرأة، ويسمح بقدر درهم من النجاسة. ولننظر الآن الى عامل والى موظف، فالعامل بحكم معيشته في القرية معرض للاختلاط والتماس بالنساء الأجنبيات والجلوس معاً حول موقد واحد، والولوج في أماكن ملوثة فهو مبتلى بكل هذا بحكم مهنته ومعيشته، وقد تجد نفسه الأمارة بالسوء مجالاً أمامها لتتجاوز حدودها؛ لذا تلقي الشريعة في روع هذا صدى سماوياً فتمنع تلك التجاوزات بأمرها له: لا تمس ما ينقض الوضوء، فتبطل صلاتك. أما ذلك الموظف، فهو حسب عادته الاجتماعية لا يتعرض للاختلاط بالنساء الأجنبيات -بشرط أن يكون نبيلاً- ولا يلوث نفسه كثيراً بالنجاسات، آخذاً بأسباب النظافة المدنية. لذا لم تشدد عليه الشريعة، بل أظهرت له جانب الرخصة -دون العزيمة- باسم المذهب الحنفي وخففت عنه قائلة: ان مست يدك امرأة أجنبية فلا ينقض وضوءك، ولا ضرر عليك إن لم تستنج بالماء حياء من الحاضرين، فهناك سماح بقدر درهم من النجاسة فتخلصه بهذا من الوسوسة، وتنجّيه من التردد. فهاتان قطرتان من البحر نسوقهما مثالاً، قس عليهما، وإذا استطعت ان تزن موازين الشريعة بميزان ''الشعراني'' على هذا المنوال فافعل''.[80]

فمذهب الأستاذ (رحمه الله) كما بدا لنا هو التوسط بين الطرفين وهو لزوم التمذهب الفقهي للعامي وجواز الاجتهاد لمن بلغ مرتبة المجتهد وبشروطه المبينة في كتب علماء أصول الفقه وكتب آداب الفتوى والاجتهاد، لكن ذلك صعب المنال لوجود

الموانع الستة التي بينها في رسالته الاجتهاد وهي: ''كثرة البدع في العالم الإسلامي. وتعرض ضروريات الدين للتهلكة. وتأثير البيئة والمحيط على نشأة المجتهد. وعدم وقوعه ضمن السير الفطري للإنسان؛ بسبب التلوث بالفلسفات المادية. والبعد عن خير القرون. وتحكم الحضارة الأوروبية، وهيمنة الحضارة الإلحادية. وتعقّد متطلبات الحياة اليومية. والنظر إلى المسائل الفقهية في أيامنا هذه من زاوية الحكمة، لا من زاوية العلة. واكتساب حياة الدنيا الأولوية، وبقاء الحياة الأخروية في الدرجة الثانية. وسوء فهم قاعدة الضرورات تبيح المحظورات''.[81]

وهذا المنهج لبديع الزمان سعيد النورسي (رحمه الله) يتجلى في أمور عديدة ومن أهمها:

١- اعلانه بأنه شافعي المذهب ومع ذلك يكن للمذاهب الأخرى المدونة كل تقدير واحترام: فما يثبت شافعيته قوله لرجالات الدولة الظالمين في عهده: ''بأي قانون وبأية قاعدة تكلفون من هو شافعي المذهب مثلي، اتباع فتوى تنافي صفاء المذهب الحنفي وسموه، افتى بها علماء السوء الذين باعوا ضمائرهم لمغنم دنيوي. فلو حاولتم ازالة المذهب الشافعي ـ علماً ان متبعيه في هذا المسلك يعدّون بالملايين ـ وسعيتم لجعلهم احناف، ثم أكرهتموني على اتباع هذه الفتوى إكراهاً بالقوة، ربما يكون ذلك قانوناً ظالماً من قوانين الملحدين أمثالكم، والاّ فهو دناءة يقترفها بعضهم حسب أهوائه!''[82] وقوله: ''ثمّ شيء أُنبه إليه: أنا شافعي المذهب، وتسبيحاتي بعد الصلاة تختلف قليلاً عن تسبيحات الأحناف''.[83] وقوله: ''ان السبب المهم للاستغناء عن الناس هو ما يقوله ابن حجر الموثوق حسب مذهبنا (الشافعي): يحرم قبول ما يوهب لك بنية الصلاح، ان لم تكن صالحاً''.[84] وكونه (رحمه الله) شافعي المذهب لا يعني تعصبه له بل كان أحيانا يقلد السادة الأحناف عند الضرورة كما نصّ على ذلك في الملاحق إذ يقول: ''إنني شافعي المذهب، وإن أحد شروط صلاة الجمعة حسب هذا المذهب هو ان يقرأ الفاتحة أربعون شخصاً مأموماً مع شروط اخرى ايضاً، لذا فلا تفرض عليّ الجمعة هنا. الاّ انني أقلد المذهب الحنفي فأؤديها نافلة''.[85] ومما يثبت مدى احترام النورسي (رحمه الله) للمذاهب الفقهية الأخرى وصفه الإمام أبي حنيفة بالإمام الأعظم في أماكن عديدة في رسائله كما سبق وأن مثلنا في النقطة (ثانيا) الآنفة الذكر، كما هو حال جميع علماء الكُرد قديما وحديثا، وما يدل على رعايته للتوازن والأدب مع الإمام الأعظم تقديمه في المثال على الإمام الشافعي غالبا، من ذلك قوله: ''وثبت كذلك أنه ﷺ قال: ''ان الدِّين لو كان منوطاً بالثريا لنالَه رجالٌ من أبناء فارس'' مشيراً الى الذين أنجبتهم بلاد فارس من العلماء والأولياء أمثال الأمام ابي

حنيفة النعمان. وقال ﷺ أيضاً: ''عالمُ قريش يَملأ طباق الأرض علماً''، مشيراً بذلك الى ''الإمام الشافعي''.[86] بل إن شده محبة الأستاذ النورسي (رحمه الله) للأئمة الأربعة جعله يمثل بالإمام أبي حنيفة وأحمد بن حنبل في تحمل المشاق والصبر على البلاء مع أن إمامه الشافعي نال الأمرين في ذلك حيث يقول: ''ولقد خطر للقلب: ما دام الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان وأمثاله من الأئمة المجتهدين قد أوذوا بالسجن وتحملوا عذابه، وأن الإمام أحمد بن حنبل وأمثاله من المجاهدين العظام قد عذّبوا كثيراً لأجل مسألة واحدة من مسائل القرآن الكريم. وقد ثبت الجميع أمام تلك المحن القاسية وكانوا في قمة الصبر والجلد، فلم يُبد أحدهم الضجر والشكوى، ولم يتراجع عن مسألته التي قالها. وكذا علماء عظام كثيرون وأئمة عديدون لم يتزلزلوا قط أمام الآلام والأذى الذي نزل بهم، بل صبروا شاكرين لله تعالى...''[87]

٢- منهجه في الإفتاء نقل الفتاوى غالبا، إلا في المستجدات حيث يدلي بدلوه فيها، مع التصريح تواضعا أنه ليس من أهل الفتوى ومن صورة ذلك: جوابه لسؤال السيد خلوصي حول حكم تغليف الأسنان إذ يقول: ''ان المضمضة سنة في الوضوء وليست فرضاً. بينما هي فرض في الاغتسال، فلا يجوز بقاء داخل الفم دون غَسل ولو شيئاً جزئياً. ولهذا لم يجرأ العلماء على الفتوى بجواز تغليف الأسنان. والإمام أبو حنيفة والإمام محمد ''رضى الله عنهما'' لهما فتاوى في جواز صنع الاسنان من الفضة او الذهب بشرط الاّ يكون تغليفاً ثابتاً. بينما هذه المسألة منتشرة بحيث اخذت طور البلوى العامة، لا يمكن رفعها. فوردت الى القلب فجأة هذه النقطة: انه ليس في طوقي ولا من حدّي التدخل في مهمة المجتهدين، ولكني أقول: على الرغم من عدم ميلي الى ضرورة عموم البلوى: اذا أوصى طبيب حاذق متدين بتغليف السن، عند ذاك تخرج السن من كونها من ظاهر الفم وتكون بمثابة باطنه. فلا يبطل الاغتسال بعدم غسلها، لان غلافها يغسل فحل محلها. فكما يحل شرعاً غسل اغلفة الجرح محل الجرح نفسه لوجود المضرة، فغسل هذا الغلاف الثابت - المبني على الحاجة - يحل محل غسل السن، فلا يبطل الاغتسال. والعلم عند الله. ولما كانت هذه الرخصة تقع للحاجة، فلا شك ان الذي يقوم بتغليف الاسنان او حشوها للتجميل لا يستفيد من هذه الرخصة، لأنه لو عمل ذلك بسوء اختياره حتى في حالة الضرورة لا تباح له ذلك. ولكن لو كان قد حدث دون علمه فالجواز للضرورة(سعيد النورسي)''.[88]

٣- كونه شافعي المذهب لم يؤد به أبدا إصدار فتوى بإلزام تقليد الشافعية في الفروع مما دل على اعتداله وعدم تعصبه: بل إنه يلاطف طلابه الأحناف على السير على مذهب الإمام أبي حنيفة كما يتجلى عند قول أحد طلابه وهو ''مصطفى آغريلي''

يحكي حاله قائلا: ''بعد حين انتبهت على صوت حركة، فتحت عيني فرأيته وهو يخرج وبيده فانوس زيتي حيث توضأ في الباحة المغطاة بالثلج، ثم وقف للصلاة، فقضى الليلة في الصلاة والعبادة. التفت إليَّ عندما أحس أنني يقظان وقال لي: ''لايزال أمامك متسع من الوقت للنوم، 'نحن على المذهب الشافعي نستيقظ مبكرين، أما أنتم فعلى المذهب الحنفي وتستطيع ان تؤدي الصلاة بعد حين...' ولكنه في الحقيقة لم يكن قد استيقظ مبكرا، لأنه لم ينم أصلاً، أما أنا فلم أعد إلى النوم بل قمت وتوضأت وصلّيت الفجر معه...''[89]

٤- إن أتباعه وطلاّبه ومناصريه متنوّعو الأتباع للمذاهب الأربعة لاسيما الشافعية والأحناف، كما هو واضح فيما سبق وفي سيرته الذاتية وترجمة طلابه ونساخ رسائله الرجال منهم والنساء. مما دل هو الآخر على مدى بعده عن التعصب المذهبي المقيت.

٥- ذمه للامذهبية وتسميته إياهم بـ منسلخي المذهب[90] ونبذه للتعصب المذهبي أدل دليل على مسلكه التوسطي في التمذهب: وفي ذلك نصح الأمة الإسلامية قائلا ايها العالم الاسلامي! ان حياتك في الاتحاد. ان كنت طالباً للاتحاد فاتخذ هذا دستورك: لابد أن يكون ''هو حق'' بدلاً من ''هو الحق''. و ''هو حسن'' بدلاً من ''هو الحسن''. اذ يحق لكل مسلم أن يقول في مسلكه ومذهبه: ان هذا ''حق'' ولا اتعرض لما عداه. فان يك جميلاً فمذهبي أجمل. بينما لا يحق له القول في مذهبه: ان هذا هو ''الحق'' وما عداه باطل. وما عندي هو ''الحسن'' فحسب وغيره قبيح وخطأ! ن ضيق الذهن وانحصاره على شيء، ينشأ من حب النفس ثم يكون داءً. ومنه ينجم النزاع. فالأدوية تتعدد حسب تعدد الادواء، ويكون تعددها حقاً... وهكذا الحق يتعدد. والحاجات والاغذية تتنوع، وتنوعها حق... وهكذا الحق يتنوع. والاستعدادات ووسائل التربية تتشعب، وتشعبها حق... وهكذا الحق يتشعب. فالمادة الواحدة قد تكون داءً ودواءً حسب مزاجين اثنين... اذ تعطى نسبية مركبة وفق أمزجة المكلفين، وهكذا تتحقق وتتركب. ان صاحب كل مذهب يحكم حكماً مطلقاً مهملاً من دون ان يعين حدود مذهبه، اذ يدعه لاختلاف الأمزجة، ولكن التعصب المذهبي هو الذي يولد التعميم ولدى الالتزام بالتعميم ينشأ النزاع. كانت هناك هوّات سحيقة بين طبقات البشر، قبل الاسلام. مع بُعدٍ شاسع عجيب بينهما. فاستوجب تعدد الانبياء وظهورهم في وقت واحد، كما استوجب تنوع الشرائع وتعدد المذاهب. ولكن الإسلام أوجد انقلاباً في البشرية فتقارب الناس واتحد الشرع وأصبح الرسول واحداً. وما لم تتساو

المستويات فإن المذاهب تتعدد. ومتى ما تساوت وأوفت التربية الواحدة بحاجات الناس كافة تتحد المذاهب''.[91]

٦- اعتداله وتوسُّطه يتجلّى كذلك في تمسُّكه وتأثره بشيوخ المذاهب الأربعة أصولا وفروعا وتصوفا: من أمثلة ذلك: فكما هو معجب بالإمام الشافعي وبمذهبه كما مثلنا فهو معجب بالإمام أبي حنيفة ويصفه بالإمام الأعظم، وكما هو معجب بالأئمة الشافعية من أمثال حجة الإسلام الغزالي والفخر الرازي والسيوطي وابن حجر ومولانا خالد الشهرزوري وغيرهم وينقل عنهم فهو معجب كذلك بالأئمة الحنفية من أمثال القاضي أبي يوسف ومحمد الشيباني والإمام الرباني وغيرهم وينقل عنهم وبالمالكية من أمثال أبي العباس القرافي ومحيي الدين العربي وينقل عنهما ومعجب بالشيخ عبد القادر الگيلاني مع كونه حنبلي الفتوى. وهكذا. ولولا ضيق المجال لمثلنا لعباراته عنهم. ومما يجدر ذكره أنه لم يتعصب لطريقة صوفية على أخرى وكان يستفيد في التصوف والرقائق والهمم المهنوية من الإمام الگيلاني والإمام الرباني ويناصر محيي الدين بن عربي مع أن الأول حنبلي في الفروع والثاني حنفي والثالث مالكي ، وكان يقرأ كتبهم ويستفيد منهم كما يقول: ''وبعد ان تلقيت هذا التنبيه القرآني، باتت تلك المقبرة عندي مؤنسة أكثر من استانبول نفسها، وأصبحت الخلوة والعزلة عندي أكثر لطافة من المعاشرة والمؤانسة، مما حدا بي أن أجد مكاناً للعزلة في صاري ير على البسفور. وأصبح الشيخ الگيلاني رضي الله عنه استاذاً لي وطبيباً ومرشداً بكتابه فتوح الغيب، وصار الإمام الرباني رضي الله عنه، كذلك بمثابة أستاذ أنيس ورؤوف شفيق بكتابه مكتوبات فأصبحت راضياً كلياً وممتنّاً من دخولي المشيب، ومن عزوفي عن مظاهر الحضارة البراقة ومتعها الزائفة، ومن انسلالي من الحياة الاجتماعية وانسحابي منها، فشكرت الله على ذلك كثيراً''.[92] وكذلك جمع بين شيخي الطريقتين النقشبندية والقادرية في حياته حيث يقول: ''أستاذي في الطريقة النقشبندية: سيد نور محمد. وأستاذي في الطريقة القادرية: نور الدين''.[93]

٧- منهجه في الدعوة إلى المذهبية دون التعصب يتجلى كذلك في بيان فضائل دعاة اللامذهبية واستقراء أصل فكرتهم والهدف من وراء الدعوة إلى انسلاخ المذهب الفقهي، يوضح ذلك بكل جلاء في الكلمات، عند المسألة الرابعة وهي: ''من أين ينشأ ادعاء الأفضلية تجاه الصحابة الكرام؟ ومن هم الذين يثيرون هذا الادعاء؟ ولماذا تثار هذه المسائل في الوقت الحاضر؟ ومن اين ينبعث ادعاء بلوغ المجتهدين العظام؟ الجواب: إن الذين يقولون بهذه المسائل هم قسمان: قسم منهم: رأوا بعض الأحاديث الشريفة ونشروها كي يحفزوا الشوق لدى المتقين واهل الصلاح في هذا الوقت

ويرغّبوهم في الدين... فهؤلاء هم أهل دين وعلم، وهم مخلصون. وليس لنا ما نعلق به عليهم، وهم قلة وينتبهون بسرعة. أما القسم الآخر: فهم أناس مغرورون جداً،ومعجبون بأنفسهم أيما إعجاب، يريدون ان يبثوا انسلاخهم من المذاهب الفقهية تحت ادعاء انهم في مستوى المجتهدين العظام، بل يحاولون إمرار إلحادهم وانسلاخهم من الدين بادعاء أنهم في مستوى الصحب الكرام، فهؤلاء الضالون قد وقعوا: (اولاً): في هاوية السفاهة حتى غدوا معتادين عليها، ولا يستطيعون أن يتركوا ما اعتادوه، وينهضوا بتكاليف الشرع التي تردعهم عن السفاهة. فترى احدهم يبرر نفسه قائلاً: ''إن هذه المسائل إنما هي مسائل اجتهادية، والمذاهب الفقهية متباينة في امثال هذه المسائل، وهم رجال قد اجتهدوا ونحن أيضاً رجال امثالهم، يمكننا ان نجتهد مثلهم، فلربما يخطأون مثلنا، لذا نؤدي العبادات بالشكل الذي يروق لنا نحن، أي لسنا مضطرين الى اتباعهم! ''فهؤلاء التعساء يحلُّون ربقة المذاهب عن انفسهم بهذه الدسيسة الشيطانية. فما أوهاها من دسيسة وما أرخصها من تبرير! وقد أثبتنا ذلك في رسالة ''الاجتهاد''. **(ثانياً)**: انهم عندما رأوا أن دسيستهم لا تكمل حلقاتها عند حد التعرض للمجتهدين العظام بدأوا يتعرضون للصحابة الكرام (رضوان الله تعالى عليهم) حيث ان المجتهدين يحملون النظريات الدينية وحدها، وهؤلاء الضالون يرومون هدم الضروريات الدينية وتغييرها، فلو قالوا: نحن افضل من المجتهدين لم تنته قضيتهم، حيث ان ميدان المجتهدين النظر في المسائل الفرعية، دون النصوص الشرعية، لذا تراهم وهم منسلخون من المذاهب يبدؤون بمس الصحابة الاجلاء الذين هم حاملو الضروريات الدينية. ولكن هيهات! فليس امثال هؤلاء الأنعام الذين هم في صورة إنسان، بل حتى الإنسان الحقيقي، بل الكاملين منهم وهم أعاظم الاولياء الصالحين، لا يمكنهم ان يكسبوا دعوى المماثلة مع اصغر صحابي جليل. كما اثبتناه في رسالة 'الاجتهاد'.''[94]

٨- يرى الأستاذ أن يترك مجال الفقه وميدانه للفقهاء المجتهدين، إذ ليس كل عالم أصولي فقيها وفي ذلك يقول: ''فمثلاً: ان كل ما يرد في التفسير لا يلزم ان يكون منه، اذ العلم يمدّ بعضه بعضاً. فما ينبغي التحكم (في الرأي). اذ من المسلّمات: إن الماهر في مهنة الهندسة، ربما يكون عامياً وطفيلياً في مهنة أخرى كالطب، ودخيلاً فيها. ومن القواعد الأصولية: انه لا يعدّ من الفقهاء مَن لم يكن فقيهاً، وان كان مجتهداً في أصول الفقه، لأنه عامي بالنسبة إليهم''.[95]

٩- كثيرا ما يربط بين الفقهين المدون والواقع المستجد، مما يدل على تضلعه في الفقهين، فمثلا في مسألة كروية الأرض يقول: ''وإن كنتَ أمياً لا تجيد قراءة الفتوى،

فاستمع الى معاصرنا وأخينا في الفكر، السيد حسين الجسر (ت١٩٠٩م) إنه يعنّف منكر الكروية ويقول بقوة الحق ودون تردد: ''من كان ينكر كروية الأرض مستنداً الى الدين في سبيل حمايته، فهو صديق أحمق، أضرّ على الدين من العدو الألد''. فان لم يفق فكرك الباحث عن الحقيقة من رقدته، بهذا الصوت القوي ولم تستطيع عينك الانفتاح، فخذ بيد ابن همام وفخر الإسلام وامثالهم واذهب إلى الإمام الشافعي، واستفته في مسألة في الفقه: تؤدى الفرائض الخمس في وقت واحد وهناك قوم لا وقت عشاء لهم أحياناً، كيف يصلون العشاء؟ وهناك قوم لا تغرب عليهم الشمس أياماً او لا تطلع ليالي، كيف يصومون؟ واستفسره: كيف ينطبق تعريف الشرط الشرعي وهو: ما يقارن كل ما سواه من الاركان، على شرطية استقبال القبلة في الصلاة؟ علماً ان المقارنة هي في القيام وحده وفي نصف القعود؟ فاطمئن انه -أي الامام الشافعي- يجيبك عن المسألة الأولى بكروية الدائرة المارة من الشرق والغرب، وعن المسألة الثانية والثالثة بتقوس الدائرة الممتدة من الجنوب الى الشمال. أي يفتيك بما أعطاك البرهان العقلي.ويقول عن مسألة القبلة: ''ما القبلة الاّ عمود نوراني قد نظم السماوات الى العرش وثقب طبقات كرة الارض الى الفرش''. فلو كشف الغطاء لصافح شعاعُ عينك القبلةَ نفسها في كل حركة من حركات صلواتك''.[96]

١٠- ومما يمتاز به منهج الأستاذ النوري (رحمه الله) أنه لا يحبّب إليه الفتاوى الفردية حتى لو كان أهلا للاجتهاد، ولذلك يدعو إلى الاجتهاد الشوري، وقد نادى بإنشاء مجلس شورى للاجتهاد ثلاث مرات إبان إعلان الدستور وبعده، وبضرورة وجود المشيخة الإسلامية كل ذلك من أجل الوحدة الإسلامية والسير وفق الإجماع فإن لم يوجد فالجمهور، حيث يقول: ''نعم، إن كل من يجد في نفسه كفاءة واستعدادا للاجتهاد يمكنه أن يجتهد، ولكن لا يكون هذا الاجتهاد موضع عمل إلا عندما يقترن بتصديق نوع من إجماع الجمهور. فمثل هذا الشيخ -اي شيخ الإسلام المستند إلى مجلس شورى- يكون قد نال هذا السر. فكما نرى في كتب الشريعة ان مدار الفتوى: الإجماع، ورأي الجمهور، يلزم الآن ذلك أيضاً ليكون فيصلاً قاطعاً لدابر الفوضى الناشبة في الآراء''.[97]

١١- نظرته إلى الكتب الفقهية واجتهادات المجتهدين نظرة تجديدية متوازنة بين عدم القداسة من جهة ولزوم التوقير والاعتماد عليها من جهة أخرى، وعلى النحو الآتي:

(أ) يرى أن تسعين بالمائة من الدين وأحكامه الضرورية موجودة في الكتاب والسنة وأن المسائل الخلافية التي تحتمل الاجتهاد لا تتجاوز العشرة منه .

(ب) الكتب الفقهية تشبه الملزوم والقرآن الكريم هو الدال على تلك الأحكام فهو اللازم.

(ج) صفة القدسية المحفزة للوجدان ملازمة للقرآن الكريم أصالة والكتب الفقهية ينبغي أن تكون شفافة لعرض القرآن الكريم وإظهاره، ولا تصبح حجابا دونه .

(د) النظر إلى الكتب الفقهية كتفسير بين يدي لقرآن الكريم يستشف منها فيض القرآن الكريم وليست مصنفات قائمة بذاتها.

(هـ) مؤلفو الكتب الفقهية يستحقون كل الاحترام والتوقير والثقة والاعتماد، وتوجيه النقد إليه وتجريحهم ظلم فاضح وخطر جسيم وإجحاف بحق أولئك الأئمة الكبار.

(و) ينبغي أن لا تقرأ الكتب الفقهية ككتاب التحفة لابن حجر المكي مثلا إلا لأجل فهم ما يأمر به القرآن الكريم وهذا بحاجة إلى اتباع طرق تربوية خاصة وزمن مديد.

(ز) شد أنظار العامة دوما إلى القرآن الكريم وإظهاره فوق الاجتهادات التي يمكن مراجعتها من مظانها بخلاف القرآن الكريم وتلك هي النظرة الصوفية وذلك سر ما يستشعره المرء من جاذبية في كلام الصوفي الحق ومن طلاوة في حديثه غير ما يستشعره في وعظ عالم في الفقه.

(ح) ان هناك خطراً عظيماً في مزج الضروريات الدينية مع المسائل الجزئية الفرعية الخلافية، وجعلها كأنها تابعة لها، لان الذي يرى الآخرين على خطأ -ونفسه على صواب- يدعي: ان مذهبي حق يحتمل فيه الخطأ والمذهب المخالف خطأ يحتمل فيه الصواب!

(ط) وحيث ان جمهور الناس يعجزون عن ان يميزوا تمييزاً واضحا بين الضروريات الدينية والأمور النظرية الممتزجة معها، تراهم يعممون -سهواً او وهماً- الخطأ الذي يرونه في الامور الاجتهادية على الأحكام كلها، ومن هنا تتبين جسامة الخطر.

(ي) يختم الأستاذ نظرته بقوله: ''الذي أراه أن من يخطّئ الآخرين -ويرى نفسه في صواب دائما- مصاب بمرض ضيق الفكر وانحصار الذهن الناشئين من حب النفس. ولاشك انه مسؤول أمام رب العالمين عن تغافله عن شمول خطاب القرآن إلى البشرية كافة. ثم ان فكر التخطئة هذا، منبع ثر لسوء الظن بالآخرين، والانحياز، والتحزب في الوقت الذي يطالبنا الإسلام بحسن الظن والمحبة والوحدة! ويكفيه بعدا عن روح

الإسلام ما شق من جروح غائرة في أرواح المسلمين المتساندة، وما بثه من فرقة بين صفوفهم، فابعدهم عن اوامر القرآن الكريم''.[98]

رابعا: بيان الترجيح من الآراء

فبعد ما بيناه سابقا وما سردناه يمكن لنا أن نرجح المذهب التفصيلي في المسألة وهو المذهب المتمثل في اتباع منهج التوسّط بين طرفي الإفراط والتفريط (التعصّب المذهبي واللامذهبية)، وهذا هو المنهج المعتدل الواجب اتباعه في المسألة وهو المذهب القويم الذي نهجه وسلكه الأستاذ بديع الزمان هو المنهج القرآني النبوي وهو الذي سار عليه علماء الإسلام خلفا عن سلف، ودراسته ثم بيان ترجيحه بالأدلة العقلية والنقلية وذلك من خلال النقاط الآتية:

١- إنَّ من نِعَمِ الله تعالى على هذه الأمَّة الإسلامية أنْ قيَّضَ لها علماءَ أجلاَّءَ عملوا بكل جدٍّ وإتقان واجتهاد، على حفظ مصادر هذه الشريعة الغرَّاء من التَّلاعب والعَبَث، والزيَّادة والنُّقصان، فقعَّدوا لها القواعد الأصوليَّة، وفرَّعوا لها الفروع الفقهيَّة، وأسَّسُوا لها ضوابط شرعيّة مُحْكَمَةً، مُيسرةً لطُرق الاستنباط من الأدلة، فسهَّلوا بذلك الطريق، وأناروا أمام الدَّارسين درب السَّعادة، فاهتدى العامةُ بهم إلى الصَّراط المستقيم، عبر المسائل التي حلَّلوها، والفتاوي الجليلة التي أفتوا بها، إذ لولاهم لضلَّ الناس عن جادة الصَّواب، ولأضَّلهم الجهلةُ المقنِّعين في كل عصر وزمان.

٢- نقل عن إمامنا الشافعي (رضي الله عنه) قوله: ''جميع ما تقوله الأئمة شرح للسنة، وجميع السنة شرح للقرآن'' كما تقدم[99] ولا بُدَّ من أن ندخل البُيُوت من أبوابها، ولكل شيءٍ مفتاحٌ، ومفاتيح باب الشريعة المطهَّرة هم العلماءُ الأعلام، من أهل الذكر والخشية والعلم والاجتهاد، ونحن مأمورون بسؤالهم واستفتائهم في القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾،[النحل:٤٣] فكان من أدب التخاطب الرَّفيع في القرآن الكريم، أن جاء الخطاب هنا مع الشَّرط، وإلاَّ فمن ذا الذي بمقدوره طرق باب الشريعة لاستنباط الأحكام الشرعية، أو الغوص في أعماق بحارها للعثور على الدرر المكنونة، واللآلئ المضيئة غير أولي العلم والتقوى من أهل الذكر والنهى حرَّاس الشريعة المحمدية ﷺ؟

٣- من المعلوم أن الفقه الإسلامي هو نتاج عقول الفقهاء والمجتهدين على مرّ العصور الإسلامية، حيث أضاف كل جيل من الفقهاء إلى الثروة الفقهية العلياء، بقدر ما منحهم الله تعالى من قدرة على التحصيل و الفهم وقوة الاستنباط، إلى أن أصبح للفقه الإسلامي ضوابطه وقواعده وأصوله، وترتب على ذلك تعدد المذاهب،

واختلاف الآراء، وتشعّب المسائل، وتفرع الفروع الفقهية على المباني والقواعد الأصوليّة الكليّة، وبفضل تلك القواعد والأصول كان الفقه الإسلامي في دوام التجدد محفوظا عن التحجُّر والتجمُّد.[100]

٤- ينبعي لدعاة المسلمين نبذ التعصّب بكل جوانبه وأنواعه، خصوصا التعصب المذهبي، ومن أجل التغلب على هذا ينبغي معرفة أسباب نشأة التعصب المذهبي ومن أهمها:

أ- التقليد الأعمى: التقليد على نوعين : محمود ومذموم، فالمحمود ما كان على بصيرة ودراية وصواب، والمذموم ما كان على غير بصيرة ويسمى بالأعمى، يقول الشيخ الصنعاني: ''كَانَ الْفِقْه الإسلامي فِي الْقُرُون الْمَشْهُود لَهَا بِالْخَيرِ فِي ازدهار مُسْتَمر ونمو متواصل وَتقدم دَائِم وَكَانَت اجتهادات الْأَئِمَّة بَين الْأَخْذ وَالعطَاء وَالرَّدّ وَالْقَبُول حَتَّى فِي أوساط أَصْحَابهم إِلَى أَن فَشَا التَّقْلِيد فِي نصف الْقرن الرَّابِع وَبَدَأَ التعصب المذهبي يبيض ويفرخ''.[101]

ب- الكسل والتواكل : أي الاعتماد على الغير واختيار سبيل الكسل الممقوت، بعكس ما عادة العلماء في بذل الجهد والاجتهاد فيما يستطيعون الخوض فيه.

ج- الحسد والحقد : وهذا أمر معروف، لا نطيل فيه، فكل من طالع كتب التراجم يحس بأن باب التعصب فتح بسبب الحسد والحقد، إذ كل ذي نعمة محسود، فالحاسد المتعصب لما كان يرى أن المذهب الفلاني أكثر اتباعا وانتشارا وأن أدلته أصوب وأقوى في الجزئية الفلانية وأنه لا يستطيع مقاومته بالأدلة كان يلتجأ الى نشر التعصب وتحقير الآخرين.

د- التعصب السياسي، حتى قال الشيخ محمد بن الحسن الفاسي: ''ومن التعصب السياسي نشأ التعصب المذهبي، وبه تأيد وتأبد''.[102]

ج- غلق باب الاجتهاد مطلقا: وهذا أمر مذموم شرعا وعقلا، كما لا يخفى.

د- سوء الظن في المذاهب الفقهية المدونة الأخرى واعتقاد أن الحق منحصر في كل جزئية من جزئيات مذهبه، وهذا ما لم يقل به أحد من جهابذة أهل العلم والتقوى، فبدل ذلك أثنوا على المذاهب الأخرى وترحموا عليهم وكتبوا في مناقبهم ونقلوا فتاواهم في كتبهم، كما تقدمت أمثلته وشواهده.

٥- أقوال الفقهاء وقواعدهم المتمثلة في: ''الخروج من الخلاف مستحب''، ''يلزم العمل بالأحوط''، ''ولا يخفى الورع''، ''خروجا لمن أوجبه'' حيث كتب المذاهب الأربعة طافحة بها سببها الورع في الدين ونبذ التعصب المذهبي والاعتبار للرأي

الفقهي الآخر، يقول الأستاذ الزحيلي بهذا الصدد: ''من أصول المالكية مراعاة الخلاف، التوضيح: إن مراعاة الخلاف يعني العمل بدليل المخالف في المسألة من المذاهب الفقهية المعتبرة، بما لا يبطل دليل المستدل بالكلية، وذلك لرجحان الدليل المراعى وقوته. وهذا يقرب بين المذاهب، ويمنع التعصب المذهبي، وقد يكون دليل المخالف أقوى فيعمل بالأرجح، وهو ما قرره الشافعية في قواعدهم بقولهم: ''الخروج من الخلاف مستحب''، ولها تطبيقات كثيرة عندهم. ومن (التطبيقات): النكاح المختلف في فساده يثبت به الميراث، ويُحتاج في فسخه إلى طلاق، مراعاة للخلاف.[103]

يقول الشاه ولي الله الدهلوي في حجة الله البالغة ما نصه: ''ولذلك لم يزل العلماء يجوزون فتاوى المفتين في المسائل الاجتهادية، ويسلمون قضاء القضاة، ويعملون في بعض الأحيان بخلاف مذهبهم، ولا ترى أئمة المذاهب في هذه المواضع إلا وهم يضجعون القول، ويبينون الخلاف، يقول أحدهم، هذا أحوط، وهذا هو المختار، وهذا أحب إلي، ويقول: ما بلغنا إلا ذلك، وهذا كثير في المبسوط. وآثار محمد (رحمه الله) وكلام الشافعي (رحمه الله). ثم خلف من بعدهم قوم اختصروا كلام القوم، فقووا الخلاف، وثبتوا على مختار أئمتهم، والذي يروي من السلف من تأكيد الأخذ بمذهب أصحابهم، وألا يخرج منها بحال، فإن ذلك إما لأمر جبلي، فإن كل إنسان يحب ما هو مختار أصحابه وقومه حتى في الزي والمطاعم، أو لصولة ناشئة من ملاحظة الدليل، أو لنحو ذلك من الأسباب، فظن البعض تعصبا دينيا حاشاهم من ذلك، وقد كان في الصحابة والتابعين ومن بعدهم من يقرأ البسملة، ومنهم من لا يقرؤها، ومنهم من يجهر بها، ومنهم من لا يجهر بها وكان منهم من يقنت في الفجر، ومنهم من لا يقنت في الفجر، ومنهم من يتوضأ من الحجامة والرعاف والقيء، ومنهم من لا يتوضأ من ذلك، ومنهم من يتوضأ من مس الذكر ومس النساء بشهوة، ومنهم من لا يتوضأ من ذلك، ومنهم من يتوضأ مما مسته النار، ومنهم من لا يتوضأ من ذلك، ومنهم من يتوضأ من أكل لحوم الأبل، ومنهم من لا يتوضأ من ذلك. ومع هذا فكان بعضهم يصلي خلف بعض مثل ما كان أبو حنيفة أو أصحابه والشافعي وغيرهم رضي الله عنهم يصلون خلف أئمة المدينة من المالكية وغيرهم وإن كانوا لا يقرءون البسملة لا سرا ولا جهرا، وصلى الرشيد إماما وقد احتجم، فصلى الأمام أبو يوسف خلفه ولم يعد، وكان الإمام أحمد ين حنبل يرى الوضوء من الرعاف والحجامة فقيل له: فإن كان الإمام قد خرج منه الدم، ولم يتوضأ هل تصلي خلفه؟ فقال: كيف لا أصلي خلف الإمام مالك وسعيد بن المسيب. وروى أن أبا يوسف ومحمدا كانا يكبران في العيدين

تكبير ابن عباس لأن هارون الرشيد كان يحب تكبير جده. وصلى الشافعي رحمه الله الصبح قريبا من مقبرة أبي حنيفة رحمه الله، فلم يقنت تأدبا معه، وقال أيضا: ربما انحدرنا إلى مذهب أهل العراق. وقال مالك رحمه الله للمنصور وهارون الرشيد ما ذكرنا عنه سابقا، وفي البزازية وعن الإمام الثاني -وهو أبو يوسف رحمه الله- أنه صلى يوم الجمعة مغتسلا من الحمام، وصلى بالناس وتفرقوا، ثم أخبر بوجود فارة ميتة في بئر الحمام فقال: إذا نأخذ بقول أخوانا من أهل المدينة إذا بلغ الماء قلتين لم يحمل خبثا، انتهى''.[104]

٦- إن كانت اللامذهبية التي سمى الأستاذ بديع الزمان أتباعها ''بالمنسلخين عن المذهب تحت ادعاء الاجتهاد الزائفة''[105] تشبيها منه (رحمه الله) بمن هداه الله ثم انسلخ وابتعد بنفسه عن جادة الصواب، إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾الأعراف:١٧٥ وذلك لشدة خطورة الابتعاد عن المذهب الفقهي الذي رسمه آلاف المتبحرين في العلوم النقلية والعقلية في كل طبقة من كل قرن من القرون الفاضلة وإلى أيامنا هذه، فمع كون ذلك انسلاخا عن الوفاء والعهد وابتعادا عن الاستقامة في الفكر والروية فهو خروج عن الإجماع أو رأي الجماهير الأعظم من سلف هذه الأمة وخلفها، وتقرب نحو الضلال والهلاك والعياذ بالله، وقد قال ﷺ: ''أيها الناس عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة أيها الناس عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة قالها ثلاثا''، هذا عند أحمد[106] وعند الترمذي بلفظ: ''عَلَيْكُمْ بِالجَمَاعَةِ وَإِيَّاكُمْ وَالفُرْقَةَ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الوَاحِدِ وَهُوَ مِنَ الِاثْنَيْنِ أَبْعَدُ''.[107]

٧- إن دعوة الأستاذ النورسي إلى الفتوى بالشورى أو الإفتاء الجماعي[108] في الأصل كانت دعوة إلى الرجوع إلى الإجماع أو رأي الجمهور المسمى بالسواد الأعظم في مصطلح السنة، فقد جاء في نوادر الأصول الترمذي: ''أن إجماع الأمة حجة واختلافهم رحمة عن ابن عمر (رضي الله عنهما) مرفوعا: ''لا يجمع الله أمتي أو هذه الأمة على ضلالة أبدا ويد الله على الجماعة هكذا فاتبعوا السواد الأعظم فإنه من شذ، شذ في النار''.[109] وعن النعمان بن بشير (رضي الله عنه) مرفوعا: ''والجماعة رحمة والفرقة عذاب، قال: فقال أبو أمامة الباهلي: عليكم بالسواد الأعظم''. قال الهيثمي في المجمع: رواه عبد الله بن أحمد والبزار والطبراني ورجالهما ثقات''.[110]

ومن عبارات العلماء الأعلام في ضرورة اتباع المذهب الفقهي لاسيما المذاهب الأربعة:

أ- قال سلطان العلماء العز بن عبد السلام في قواعده: ''إن وظيفة العامة التقليد لعجزهم عن التوصل إلى معرفة الأحكام بالاجتهاد، بخلاف المجتهد فإنه قادر على النظر المؤدي إلى الحكم، ثم يقول يبين أحكام الانتقال إلى مذهب فقهي آخر: إلى أن يقول: ''أن الناس لم يزالوا من زمن الصحابة إلى أن ظهرت المذاهب الأربعة يقلدون من اتفق من العلماء من غير نكير من أحد يعتبر إنكاره، ولو كان ذلك باطلا لأنكروه وكذلك لا يجب تقليد الأفضل وإن كان هو الأولى، لأنه لو وجب تقليده لما قلد الناس الفاضل والمفضول في زمن الصحابة والتابعين من غير نكير، بل كانوا مسترسلين في تقليد الفاضل والأفضل ولم يكن الأفضل يدعو الكل إلى تقليد نفسه، ولا المفضول يمنع من سأله عن وجود الفاضل وهذا مما لا يرتاب فيه عاقل''.[111]

ب- ربما يستشفي بعضهم في النهي عن تقليد المذهب واتباعه بما هو أجنبي عن موضع الخلاف أصلا وقياس مع الفوارق بين الإيمان والكفر وذلك بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلا يَهْتَدُونَ﴾.البقرة:١٧٩ في الرد على هؤلاء يقول الإمام فخر الدين الرازي في المحصول ما نصه: ''دلّ القرآن على ذم التقليد، لكن ثبت جواز التقليد في الشرعيات، فوجب صرف الذم إلى التقليد في الأصول''.[112] ويقول الشيخ ابن قيم الجوزية الحنبلي: ''فإن قيل: إنما ذم من قلد الكفار وآباءه الذين لا يعقلون شيئا ولا يهتدون ولم يذم من قلد العلماء المهتدين بل قد أمر بسؤال أهل الذكر وهم أهل العلم وذلك تقليد لهم فقال تعالى ﴿فَاسْأَلوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ وهذا أمر لمن لا يعلم بتقليد من يعلم. فالجواب أنه سبحانه ذم من أعرض عما أنزله إلى تقليد الآباء وهذا القدر من التقليد هو مما اتفق السلف والأئمة الأربعة على ذمه وتحريمه وأما تقليد من بذل جهده في اتباع ما أنزل الله وخفي عليه بعضه فقلد فيه من هو أعلم منه فهذا محمود غير مذموم ومأجور غير مأزور كما سيأتي بيانه عند ذكر التقليد الواجب والسائغ إن شاء الله''.[113]

ج- قال الإمام أبو عبد الله القرطبي المالكي عند تفسيره للآية السالفة الذكر: في المسألة الثانية'' تعلّق قوم بهذه الآية في ذم التقليد لذم الله تعالى الكفار باتباعهم لآبائهم في الباطل، واقتدائهم بهم في الكفر والمعصية. وهذا في الباطل صحيح، أما التقليد في الحق فأصل من أصول الدين، وعصمة من عصم المسلمين يلجأ إليها الجاهل المقصر عن درك النظر. واختلف العلماء في جوازه في مسائل الأصول على

ما يأتي، وأما جوازه في مسائل الفروع فصحيح''. وفي المسألة السادسة قال: ''فرضُ العاميّ الذي لا يشتغل باستنباط الأحكام من أصولها لعدم أهليته فيما لا يعلمه من أمر دينه ويحتاج إليه أن يقصد أعلم من في زمانه وبلده فيسأله عن نازلته فيمتثل فيها فتواه، لقوله تعالى: ﴿فَاسْأَلوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾،النحل:٤٣ وعليه الاجتهاد في أعلم أهل وقته بالبحث عنه، حتى يقع عليه الاتفاق من الأكثر من الناس. وعلى العالم أيضا فرض أن يقلد عالما مثله في نازلة خفي عليه فيها وجه الدليل والنظر، وأراد أن يجدد الفكر فيها والنظر حتى يقف على المطلوب، فضاق الوقت عن ذلك، وخاف على العبادة أن تفوت، أو على الحكم أن يذهب، سواء كان ذلك المجتهد الآخر صحابيا أو غيره، وإليه ذهب القاضي أبو بكر وجماعة من المحققين''.[114]

د- يقول الشاه ولي الله الدهلوي في حجة الله البالغة: ''ومما يناسب هذا المقام التنبيه على مسائل ضلت في بواديها الإفهام وزلت الأقدام، وطغت الأقلام.. منها: أن هذه المذاهب الأربعة المدونة المحررة قد اجتمعت الأمة -أو من يعتد به منها- على جواز تقليدها إلى يومنا هذا، وفي ذلك من المصالح ما لا يخفى لا سيما في هذه الأيام التي قصرت فيها الهمم جدا، وأشربت النفوس الهوى وأعجب كل ذي رأي برأيه...''[115] وفي مقام آخر عند بيانه للسنة القائمة جعل لمعرفة رأي جمهور الصحابة والتابعين معرفة ما اتفق عليه فقهاء المدينة والكوفة وجعل رأي المذاهب الأربعة علامة على ذلك فقال: ''والسنة القائمة ما ثبت في العبادات والارتفاقات من الشرائع والسنن مما يشتمل عليه علم الفقه، والقائمة ما لم ينسخ، ولم يهجر، ولم يشذ راويه، وجرى عليه جمهور الصحابة والتابعين. أعلاها ما اتفق فقهاء المدينة والكوفة عليه، وآيته أن يتفق على ذلك المذاهب الأربعة''.[116]

نكتفي بذلك القدر راجين من المولى القدير دوام الاستقامة وحسن الخاتمة، وجزى الله أئمة الدين ومجتهدي الإسلام من أمة سيدنا محمد ﷺ ألف جزاء لإخلاصهم و ورعهم وتفانيهم، وأثاب خاتمة المحققين وجهبذ المدققين وحامل لواء الإخلاص ومجدد نبتة الإيمان في الصدور أستاذ أساتذتنا بديع الزمان سعيد النورسي لما قاموا به من جهود جبارة لخدمة الإسلام والمسلمين، وحشرنا تحت لوائهم قريبين من الخيمة المصطفوية الزكية على صاحبها ألف سلام وتحية، آمين يا مجيب السائلين.

خاتمة بأهم النتائج والتوصيات

أولا: النتائج

فبعد هذه السياحة العلمية والإيمانية في رياض كليات رسائل النور العطرة ودراسة منهج بديع الزمان النورسي القويم الرائد لاسيما في مسألة التمذهب الفقهي ومقارنته بمناهج الفقهاء والأصوليين من أهل الحق أهل السنة والجماعة تبين للباحث ما يأتي:

١- إن اللامذهبية وكذلك التعصب المذهبي وجهان لعملة رديئة واحدة تمثل أشد الأمراض القاتلة لروح الإخلاص والمحبة والوحدة قديما وحديثا، كيف لا وفهما طرافا الإفراط ينبغي تجنبهما لكل طالب حق إذ خير الأمور أوسطها وهو التمذهب المتمثل للتوسط والاعتدال والإتباع.

٢- إن الأئمة المجتهدين وكذلك أصحابهم وطبقاتهم من بعدهم من المفسرين والمحدثين والفقهاء والأصوليين والصوفية والزهاد وأهل اللغة والتأريخ والسير والبلاغة وسائر علوم الآلة كانوا متحابّين في الله تعالى، معتمدين بعضهم على البعض الآخر في الأمور الدينية والدنيوية، لم يتعصّبوا لمذهب فقهي على حساب مذهب آخر، وصلى بعضهم خلف الآخر، إذ التمذهب غير التعصب كما الربانية غير الرهبانية، وما قيل هنا وهناك إما مدسوس عليهم أو أقوال فردية قيل في لحظة غضب، لا ترتقي إلى مجال البحث، إذ تلك هي النظرة المنصفة والحالة الشاملة الغالبة في تاريخهم الحافل بالأمجاد وبها وصلوا طريق الإسعاد.

٣- اختلاف علماء الأمة ومجتهدي الإسلام في الفروع الفقهية رحمة بالأمة واختلاف الفرق في الأصول زحمة ينبغي تجنبها، وإن تقليدهم حق إذ الحق يتنوع ويتشعب وإن لم يتعدد عند الجمهور، فالتقليد في الحق حق وفي الباطل باطل. فالكل مأجورون إذ المصيب له أجران، والمخطئ له أجر الاجتهاد.

٤- إن عبارة: "إذا صح الحديث فهو مذهبي"، للإمام الشافعي لا تدل بأي وجه على نفي المذهب الفقهي، وإن زعما من هذا القبيل مردود من عشرة أوجه كما بيناها في البحث.

٥- منهج الأستاذ النورسي (رحمه الله) نحو المذهب الفقهي هو:

أ- رعاية التمذهب ونبذ طرفي الإفراط والتفريط فيه، أي ضرورة الأخذ بالمذهب الفقهي لمن دون المجتهد من العلماء والعامة، وترك مجال الاجتهاد لأولي الشأن والأهلية، إذ إن بابه مفتوح لأهله لكن الموانع كثيرة تحول دونه، وأن الانسلاخ عن المذهب بدعوى الوصول إلى مرتبة الاجتهاد دعوى باطلة ومردودة، وهذا المنهج هو

عين ما انتهجه الأئمة الأربعة فمن بعدهم من طبقات المذاهب الأربعة من القرون الفاضلة وإلى ظهور البدع في القرنين الأخيرين.

ب- لا يجوز تتبع رخص المذاهب ولا التلفيق بين آراء الفقهاء والمجتهدين، إذ ذلك من موجبات الفسق عند الجمهور.

ج- كان الأستاذ النورسي شافعي المذهب من غير تعصب لأدلة ذكرناها، وكان يقلد المذهب الحنفي عند الضرورة.

د- كان الأستاذ النورسي يميل غالبا إلى الأخذ بالعزيمة ولا يلتفت إلى الرخصة الشرعية إلا عند الضرورة ولم يفرض ذلك على طلابه لمعرفته بسماحة الشريعة من جهة وبأن استعدادات الناس وقابلياتهم متفاوتة.

هـ- إن الكتب الفقهية كاشفة للقرآن الكريم كالمرآة وليست حجابا ولا ينبغي ذلك، لذلك يجب أن تحترم وتعتمد عليها في الفتوى لكن لا تقدّس تقديس القرآن والسنة، إذ هما الأصلان اللذان بيّنا تسعين في المائة من الأحكام الشرعية والضروريات الدينية، وما تكفلت به الاجتهادات الفقهية هو عشرة في المائة لذا ينبغي معرفة الفرق والمكانة مع عدم الاستغناء البتة.

ثانيا: التوصيات

١- ضرورة قراءة كليات رسائل النور قراءة كلية متأنية كما هي، إذ إن الباحث يعتقد جازما أنه ما من مشكلة عصرية إلا ودواؤها الأنجح موجود في تلكم الرسائل بما يشفي العليل لكن ذلك بحاجة إلى غواصين مخلصين لاستخراج الدرر واللآلئ في كنوز معارفها وطيات دقائقها.

٢- ينبغي تسليك مسلك علماء أهل السنة والجماعة منذ أربعة عشر قرنا ومنهم الأستاذ النورسي في المسألة وذلك بالتمذهب وعدم التعصّب، وبرفض اللامذهبية التي تؤدي إلى الانسلاخ شيئا فشيئا عن الشريعة الغراء.

٣- لو سار الناس على قواعد أحد المذاهب الفقهية الأربعة المدونة وأصولها المبينة التي تمثل إما الإجماع أو السواد الأعظم لاستطاعوا التغلب على الكثير من المشاكل والحروب والفتن والشقاق والتحزب الناشئة عن الفتاوى الباطلة الصادرة عمن ليسوا أهلا للاجتهاد والفتوى. بل حتى ليسوا أهلا لقراءة عبارات العلماء قراءة صحيحة ناهيك عن فهم علوم الكتاب والسنة ودرايتهما مع باقي العلوم النقلية والعقلية.

إلى غير ذلك من النتائج والتوصيات أرجو أني قد وفّقت إلى الحق الذي هو أحق أن يتبع وأعتذر عن الزلات فسبحان المتفرد بالكمال. والله الموفق للصواب، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

فهرس المصادر والمراجع

– القرآن الكريم

١. أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم: صديق بن الحسن القنوجي المتوفى ١٣٠٧ هـ ، تحقيق : عبد الجبار زكار ، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ١٩٧٨ م .

٢. الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفى ٩١١هـ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم– الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

٣. الإحكام في أصول الأحكام: سيف الدين أبو الحسن علي بن محمد الآمدي المتوفى ٤٦٧هـ، ط١ ، تحقيق: د سيد الجميلي ، دار الكتاب العربي، بيروت– لبنان، ١٤٠٤ هـ.

٤. أدب المفتي والمستفتي: ابن الصلاح الشهرزوري أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشافعي المتوفى ٦٤٣هـ ، دراسة وتحقيق: د موفق بن عبد الله بن عبد القادر، ط٢، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢ م.

٥. إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول: محمد بن علي بن محمد الزبيدي الشوكاني المتوفى ١١٢٥هـ، تحقيق محمد سعيد البدري،ط١، دار الفكر، بيروت – لبنان، ١٤١٢هـ –١٩٩٢م.

٦. إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد، للشيخ محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير المتوفى: ١١٨٢هـ، تحقيق: صلاح الدين مقبول أحمد، ط١، الدار السلفية – الكويت، ١٤٠٥هـ.

٧. أسلوب الارشاد في القرآن، د. نيازي بكي، من البحوث المنشورة في المؤتمر العالمي الرابع لبديع الزمان سعيد النورسي بعنوان: ''نحو فهم عصري للقرآن الكريم: رسائل النور أنموذجاً'' ٢٠-٢٢ ايلول ١٩٩٨م، إستانبول – تركيا.

٨. أسماء الكتب، عبد اللطيف بن محمد رياض زادة المتوفى ١٠٨٧هـ، تحقيق د. محمد التونجي، دار الفكر ، دمشق/ سورية ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٩. الأشباه والنظائر على مذهب أبي حنيفة النعمان: زين الدين بن إبراهيم بن محمد الشهير بابن نجيم الحنفي المتوفى ٩٧٠هـ، ضبط وتخريج: الشيخ زكريا عميرات، منشورات محمد علي بيضون، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان. ١٤١٩ هـ – ١٩٩٩م.

١٠. الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفى ٩١١هـ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان .١٩٩٣م.

١١. الأشباه والنظائر، للإمام تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي المتوفى: ٧٧١هـ، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤١١هـ– ١٩٩١م.

١٢. أصول الفقه الذي لا يسع الفقيه جهلهُ، عياض بن نامي بن عوض السلمي، ط١، دار التدمرية، الرياض – ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.

١٣. إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية المتوفى : ٧٥١هـ، تحقيق : طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، القاهرة، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

١٤. الاعلام قاموس تراجم لاشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين تأليف خير الدين الزركلي، ط٥، دار العلم للملايين، بيروت – ١٩٨٠م.

١٥. ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، عن اسامي الكتب والفنون: اسماعيل باشا بن محمد امين بن مير سليم البابانى، تصحيح: رفعت الليسي، مؤسسة التأريخ الاسلامي، مصورة عن: دار احياء التراث العربي، بيروت - لبنان، د.ت.
١٦. البحر المحيط في اصول الفقه: بدر الدين أبو عبد الله محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي الشافعي المتوفى ٧٩٤هـ ، تحقيق: محمد محمد تامر،ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
١٧. البرهان في أصول الفقه: أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني الشافعي المتوفى ٤٧٨هـ ، تحقيق: د. عبد العظيم محمود الديب، ط٤، دار الوفاء ، المنصورة - مصر ، ١٤١٨هـ.
١٨. تأريخ ابن خلدون(المقدمة) (العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر) ، للعلامة عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي المتوفى: ٨٠٨هـ، ط٢، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م
١٩. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي المتوفى: ٧٤٨هـ، الناشر: المكتبة التوفيقية، بدون تاريخ الطبع.
٢٠. تاريخ التشريع الإسلامي، للشيخ مناع بن خليل القطان المتوفى: ١٤٢٠هـ، ط٥، مكتبة وهبة، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
٢١. تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، للحافظ ثقة الدين، أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر الدمشقي المتوفى: ٥٧١هـ، ط٣، دار الكتاب العربي – بيروت، ١٤٠٤هـ.
٢٢. التحرير مع شرحه التقرير والتحبير: كمال الدين الأسكندري الشهير بابن الهمام الحنفي المتوفى ٨٦١هـ، والشرح لابن أمير الحاج المتوفى ٨٧٩هـ، المطبعة الأميرية الكبرى ، بولاق، مصر، ١٣١٦هـ .
٢٣. تذكرة الحفاظ، للحافظ أبي عبد الله شمس الدين محمد الذهبي، دار النشر: ط١، دار الكتب العلمية – بيروت - لبنان.
٢٤. التمذهب دراسة تأصيلية واقعية لفضيلة الدكتور عبد الرحمن بن عبد الله الجبرين، عن: مجلة البحوث الإسلامية - مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد المؤلف: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، عن المكتبة الشاملة ١٠الاصدار الثالث.
٢٥. التوقيف على مهمات التعاريف، للمحدث زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري المتوفى: ١٠٣١هـ، ط١، عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت- القاهرة، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
٢٦. الجامع الكبير -سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى المتوفى: ٢٧٩هـ، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي- بيروت، ١٩٩٨ م.
٢٧. جامع بيان الحكم وفضله، للحافظ أبي عمر يوسف بن عبد الله النمري القرطبي، دراسة وتحقيق: أبو عبدالرحمن فواز أحمد زمرلي، ط١، مؤسسة الريان – دار ابن حزم، ١٤٢٤هـ -٢٠٠٣ م.
٢٨. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي المتوفى: ٦٧١ هـ تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣ م.
٢٩. جمع الجوامع في أصول الفقه، مع شرح الجلال المحلي وحاشية البناني: لأبي نصر تاج الدين عبدالوهاب بن علي السبكي المتوفى ٧٧١هـ، والشرح لجلال الدين محمد بن احمد المحلي المتوفى ٨٦٤هـ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولادُه بمصر، وطبعة المركز الاسلامي الكبير، سنندج- ايران ١٤١٠هـ، بالأوفست عن مطبعة دار احياء الكتب العربية لعيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر.
٣٠. جمهرة اللغة، لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي المتوفى: ٣٢١هـ، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، ط١، دار العلم للملايين – بيروت، ١٩٨٧م.

٣١. حاشية البناني على شرح الجلال على جمع الجوامع لابن السبكي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولادُه بمصر، وطبعة المركز الاسلامي الكبير، سنندج- ايران ١٤١٠هـ، بالأوفست عن مطبعة دار احياء الكتب العربية لعيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر.
٣٢. حاشية الصاوي على الجلالين، للعلامة الشيخ أحمد بن محمد الصاوي المالكي المتوفى سنة ١٢٤١ هـ، مطبعة دار إحياء الكتب العربية، لأصحابها عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة - مصر.
٣٣. حجة الله البالغة، أحمد بن عبد الرحيم بن الشهيد وجيه الدين بن معظم بن منصور المعروف بـ «الشاه ولي الله الدهلوي» المتوفى: ١١٧٦هـ، تحقيق: السيد سابق، ط١، دار الجيل، بيروت – لبنان، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥م.
٣٤. حكم الإفتاء بمذهب الصحابي وتقليده في الوقائع والمستجدات - دراسة أصولية فقهية، د. حسن خالد مصطفى المفتي: ص ٧٤ -٧٦. ط١، مطبعة ماردين، أربيل - كوردستان، ١٤٣٤هـ -٢٠١٣م.
٣٥. رد المحتار المختار على الدر المختار (حاشية ابن عابدين محمد الأمين الحنفي الدمشقي الحنفي) على شرح الشيخ علاء الدين الحصكفي، لمتن تنوير الأبصار للشيخ شمس الدين الترمتاشي مع تعليقات الرافعي، تحقيق: عبد المجيد طعمه حلبي، ط١، دار المعرفة، بيروت - لبنان، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
٣٦. سننِ أبي داود، للحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني المتوفى: ٢٧٥هـ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت - لبنان.
٣٧. سنن الترمذي، للحافظ محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبي عيسى المتوفى: ٢٧٩هـ، تحقيق وتعليق: إبراهيم عطوة عوض ، ط٢، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥م.
٣٨. سيرة ذاتية لبديع الزمان سعيد النورسي: الفصل العاشر ص٤٨٩. إعداد و ترجمة : الأستاذ إحسان قاسم الصالحي ،ط٧، دار سوزلر للنشر، القاهرة - مصر. ٢٠١٤م.
٣٩. السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار: القاضي محمد بن علي بن محمد الشوكاني المتوفى ١٢٥٠هـ، تحقيق : محمود إبراهيم زايد، ط١، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤٠٥هـ.
٤٠. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة: للحافظ أبي القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي المتوفى ٤١٨ هـ، د. أحمد سعد حمدان، دار طيبة ، الرياض - السعودية، ١٤٠٢هـ.
٤١. الشرح الكبير، لمختصر الأصول من علم الأصول للشيخ محمد بن صالح العثيمين، لأبي المنذر: محمود بن محمد بن مصطفى المنياوي، ط١، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.
٤٢. الشعاعات، الشعاع الثاني عشر ، للأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة : الأستاذ إحسان قاسم الصالحي ،ط٧، دار سوزلر للنشر، القاهرة - مصر. ٢٠١٤م.
٤٣. شعب الإيمان لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق : محمد السعيد بسيوني زغلول، ط١، دار الكتب العلمية – بيروت أ لبنان.
٤٤. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، للحافظ محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَدَ، التميمي، أبي حاتم، الدارمي، البُستي المتوفى: ٣٥٤هـ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط٢، مؤسسة الرسالة – بيروت، ١٤١٤ – ١٩٩٣م.
٤٥. صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = للحافظ محمد بن إسماعيل أبي عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط١، دار طوق النجاة، بترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، ١٤٢٢هـ.

٤٦. صحيح مسلم (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، لأبي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري المتوفى: ٢٦١هـ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت .
٤٧. صيقل الإسلام: محاكمات عقلية، للأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة وتحقيق: الأستاذ إحسان قاسم الصالحي ،ط٧، دار سوزلر للنشر، القاهرة – مصر. ٢٠١٤م.
٤٨. الفائق في غريب الحديث: جار الله محمود بن عمر الزمخشري المتوفى ٥٣٨هـ، تحقيق: علي محمد البجاوي، و محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار المعرفة، بيروت – لبنان، د.ت.
٤٩. الفروق اللغوية، لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري المتوفى: نحو ٣٩٥هـ، المحقق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، ط١، قم- إيران، ١٤١٢هـ .
٥٠. الفقه الإسلامي وأدلته: د. وهبة الزحيلي ، ط٤ ، مطبعة العالمية ، دار الفكر بدمشق – سوريا، ودار الفكر المعاصر ، بيروت – لبنان ، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧م .
٥١. الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، للشيخ محمد بن الحسن بن العربيّ بن محمد الحجوي الثعالبي الجعفري الفاسي المتوفى: ١٣٧٦هـ، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت- لبنان، ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م.
٥٢. فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، المؤلف : عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني ، المحقق : إحسان عباس، الطبعة: ٢ ، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ١٩٨٢م.
٥٣. فيض القدير شرح الجامع الصغير: زين الدين محمد عبد الرؤوف المناوي المتوفى١٠٣١هـ، ط١ المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ١٣٥٦هـ.
٥٤. القاموس الفقهي: د. سعدي ابو حبيب، ط٢، دار الفكر ، دمشق، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.
٥٥. قواعد الأحكام في مصالح الأنام، لأبي محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء المتوفى: ٦٦٠هـ، راجعه وعلق عليه: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة،، ١٤١٤ هـ.
٥٦. قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث: للشيخ محمد جمال الدين القاسمي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م.
٥٧. قواعد الفقه، محمد عميم الإحسان المجددي البركتي، ط١، الصدف ببلشرز – كراتشي، ١٤٠٧ – ١٩٨٦م.
٥٨. القواعد الفقهية وتطبيقاتها في المذاهب الأربعة: أ. د. محمد مصطفى الزحيلي. ط١، دار الفكر – دمشق، ١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦ م.
٥٩. القول السديد في بعض مسائل الاجتهاد والتقليد، محمد بن عبد العظيم المكي الرومي المورووي الحنفي الملقب بابن مُلّا فَرُّوخ المتوفى: ١٠٦١هـ، تحقيق: جاسم مهلهل الياسين , عدنان سالم الرومي، ط١ دار الدعوة – الكويت، ١٩٨٨م.
٦٠. كتاب الإستعداد لرتبة الاجتهاد: محمد بن علي بن الخطيب الموزعي المعروف بابن نور الدين المتوفى ٨٢٥هـ، بتحقيق: محمد بركات، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٨- ١٤٢٩هـ = ٢٠٠٧ – ٢٠٠٨م.
٦١. كتاب التعريفات: السيد علي بن محمد بن علي الجرجاني المتوفى٨١٦هـ ، لعلامة علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني المتوفى: ٨١٦هـ، تحقيق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، ط١، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.
٦٢. كتاب العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن احمد الفراهيدي النحوي العروضي البصري المتوفى١٧٥ هـ، تحقيق: د. مهدى المخزومي ، د. ابراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بيروت – لبنان.
٦٣. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الخوارزمي الزمخشري المتوفى ٥٣٨هـ، تحقيق: عبد الرزاق مهدي، دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان.د،ت.

٦٤. كشف الأسرار شرح أصول البزدوي، الإمام عبد العزيز بن أحمد بن محمد، علاء الدين البخاري الحنفي المتوفى: ٧٣٠هـ، دار
٦٥. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون : مصطفى بن عبدالله الرومي الحنفي الشهير بكاتب حلبي المتوفى ١٠٦٧هـ، تصحيح: محمد شرف الدين بالتقايا و رفعت الكليستى ، مؤسسة التأريخ الإسلامي ، بيروت، عن: دار احياء التراث العربي، بيروت- لبنان.
٦٦. الكلمات، للأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة : الأستاذ إحسان قاسم الصالحي، ط٧، دار سوزلر للنشر، القاهرة – مصر. ٢٠١٤م.
٦٧. اللامذهبية أخطر بدعة تهدد الشرعية الإسلامية، أ.د. محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفارابي للمعارف، دمشق، ٢٠١٠م.
٦٨. لسان العرب، ابن منظور الإفريقي، تحقيق : عبد الله علي الكبير + محمد أحمد حسب الله + هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف،
٦٩. اللمعات: اللمعة السادسة والعشرون (رسالة الشيوخ) ، للأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة : الأستاذ إحسان قاسم الصالحي ،ط٧، دار سوزلر للنشر، القاهرة – مصر. ٢٠١٤م.
٧٠. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي المتوفى سنة ٨٠٧هـ، بتحرير الحافظين الجليلين: العراقي وابن حجر، دار الفكر، بيروت، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢م.
٧١. المجموع شرح المهذب: محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووي المتوفى٦٧٦هـ، (مع تكملة تقي الدين الحسن بن علي أبي الحسن السبكي وآخرين)، تحقيق: د. محمود مطرحي، ط٢، دار الفكر ، بيروت ،١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.
٧٢. المحصول من علم أصول الفقه، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري المتوفى: ٦٠٦هـ، دراسة وتحقيق: الدكتور طه جابر فياض العلواني، ط٢، مؤسسة الرسالة، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧م.
٧٣. مختار الصِّحاح، محمد بن ابي بكر بن عبد القادر الرازي المتوفى ٦٦٦هـ، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.
٧٤. مختصر من قواعد العلائي وكلام الإسنوي: أبو الثناء نور الدين محمود بن أحمد الحموي الفيومي الشافعي المعروف بابن خطيب الدهشة المتوفى ٨٣٤هـ، دراسة وتحقيق: د. مصطفى محمود البينجويني ،ط٣، دار الكتب القطرية، دولة قطر، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.
٧٥. مذكرة في أصول الفقه، للشيخ محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي المتوفى: ١٣٩٣هـ، ط٥، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ٢٠٠١ م
٧٦. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: علي بن سلطان محمد القاريء المتوفى ١٠١٤هـ، تحقيق: جمال عيناني، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٢٢ه – ٢٠٠١م.
٧٧. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، تأليف: علي بن سلطان محمد القاري، تحقيق: جمال عيتاني ،ط١: دار الكتب العلمية – لبنان – بيروت – ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.
٧٨. المستصفى من علم الأصول، لأبي حامد محمد بن محمد حجة الإسلام الغزالي المتوفى ٥٠٥هـ، بتحقيق: محمد عبد الستار عبد الشافي، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت، ١٤١٣هـ. – ١٩٩٣م.
٧٩. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني، مؤسسة قرطبة – القاهرة – مصر.
٨٠. مسند الدارمي المعروف بسنن الدارمي، لأبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي المتوفى: ٢٥٥هـ، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، ط١، دار المغني للنشر والتوزيع، السعودية، ١٤١٢ هـ – ٢٠٠٠ م.
٨١. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، للعلامة أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس المتوفى: نحو ٧٧٠هـ، المكتبة العلمية، بيروت – لبنان.

٨٢. مصنف ابن أبي شيبة في الأحاديث والآثار للحافظ عبد الله بن محمد بن أبي شيبة ابراهيم بن عثمان ابن أبي بسكر بن أبي شيبة الكوفي العبسي المتوفي ٢٣٥ هـ، ضبطه وعلق عليه الأستاذ سعيد اللحام، الإشراف الفني والمراجعة والتصحيح: مكتب الدراسات، والبحوث في دار الفكر ، بيروت - لبنان.
٨٣. معجم الشيوخ للحافظ أبو الحسين محمد بن أحمد بن جميع الصيداوي المتوفى ٤٠٢هـ، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري، مؤسسة الرسالة , بيروت، دار الإيمان، طرابلس - لبنان، ١٤٠٥هـ.
٨٤. المعجم الكبير، للحافظ سليمان بن أحمد بن أيوب أبي القاسم الطبراني، تحقيق : حمدي بن عبدالمجيد السلفي، ط٢، مكتبة العلوم والحكم – الموصل، ١٤٠٤ – ١٩٨٣م.
٨٥. معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عبد الحميد عمر بمساعدة فريق عمل، ط١، عالم الكتب، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
٨٦. معجم أهم مصنفات التراجم المطبوعة ، عبد الله بن محمد البصيري، الطبعة: الأولى, ١٤٢٢هـ.
٨٧. معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعجي - حامد صادق قنيبي، ط٢، دار النفائس، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
٨٨. معيد النعم ومبيد النقم، تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي، بيروت : مؤسسة الكتب الثقافية ١٤٠٧٤هـ -١٩٨٦م.
٨٩. المكتوبات لبديع الزمان سعيد النورسي، للأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة : الأستاذ إحسان قاسم الصالحي ،ط٧، دار سوزلر للنشر، القاهرة - مصر. ٢٠١٤م.
٩٠. الملاحق - ملحق بارلا ، للأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة : الأستاذ إحسان قاسم الصالحي ،ط٧، دار سوزلر للنشر، القاهرة - مصر. ٢٠١٤م.
٩١. المنهج الفقهي عند النورسي، الدكتور علي الصوا، نائب عميد كلية الشريعة/ الجامعة الأردنية، عن مؤتمر: ''بديع الزمان النورسي: فكره ودعوته'' ١٢ - ٦ - ١٩٩٧ الأردن.
٩٢. الموافقات، للإمام إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي المتوفى: ٧٩٠هـ، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط١، دار ابن عفان، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
٩٣. موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، للعلامة محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي المتوفى: بعد ١١٥٨هـ، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني، ط١، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، ١٩٩٦م.
٩٤. النهاية في غريب الحديث والأثر ، لمجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير المتوفى: ٦٠٦هـ، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٩٥. نوادر الأصول في أحاديث الرسول ﷺ، لأبي عبد الله محمد بن علي بن الحسن بن بشر الحكيم الترمذي المتوفى: نحو ٣٢٠هـ، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل - بيروت – لبنان.
٩٦. هدية العارفين، إسماعيل باشا بن محمد امين بن مير سليم البابانى، تصحيح: رفعت الليسي، مؤسسة التأريخ الاسلامي، مصورة عن: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، د.ت.

* * *

الهوامش

[1] أستاذ الفقه وأصوله المساعد بجامعة صلاح الدين/ أربيل ـ كُردستان العراق

[2] عن ثابت عن مطرف موقوفا، ينظر: شعب الإيمان لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي:(٣/ ٤٠٢) برقم (٣٨٨٨).

[3] التوقيف على مهمات التعاريف، للمحدث زين الدين المناوي: (ص: ٣١٧).

[4] جمهرة اللغة، لابن دريد الأزدي: (١/ ٤٩٨).

[5] الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري: (ص: ٢٩٨) برقم (١١٩٦).
[6] ينظر: لسان العرب لابن منظور: ١١/ ٢٩. والتمذهب دراسة تأصيلية واقعية للدكتور عبد الرحمن بن عبد الله الجبرين، عن بحوث: مجلة البحوث الإسلامية (٨٦/ ١٥٠).
[7] ينظر: البحر المحيط في أصول الفقه لبدر الدين الزركشي:٤/ ٥٥٤ وكتاب التعريفات للجرجاني: ص٦٤، ولسان العرب لابن منظور:٣ / ٣٦٥.
[8] جمع الجوامع لابن السُّبْكي مع شرح الجلال المحلي:٢/ ٣٩٢،
[9] ينظر: البرهان في أصول الفقه لأبي المعالي الجويني:٢/ ٨٨٨، والبحر المحيط في أصول الفقه لزركشي: ٤/ ٥٥٤، والسَّيل الجرّار المتدفِّق على حدائق الأزهار للشوكاني: ص٤.
[10] ينظر: أصول الفقه الذي لا يسع الفقيه جهله لعياض السلمي: (ص: ٤٨٢).
[11] الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري: ٣/ ٣٦٩.
[12] أخرجه ابن أبي شيبة بسنده عن واصل بن أبي جميل عن مجاهد موقوفا، ينظر: (المصنَّف) كتاب البيوع والأقضية، باب (القوم يشتركون في الزرع) برقم (٢٢٥٦٣): ٤/ ٥٠٤.
[13] الفائق في غريب الحديث للزمخشري: ٣/ ٨٦، وينظر كذلك: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير الجزري: ٣/ ٤١١، ولسان العرب لابن منظور:١٥/ ١٤٧ مادة (فتا).
[14] فيض القدير شرح الجامع الصغير لزين الدين مناوي:١/ ١٥٨.
[15] ينظر: أبجد العلوم للقنوجي:١/ ٣٥٣.
[16] ينظر: تأريخ ابن خلدون (المقدمة)، الفصل السابع علم الفقه وما يتبعه من الفرائض: (١/ ٥٦٣).
[17] ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة للدكتور أحمد المختار (١/ ٨٢٥).
[18] ينظر: التمذهب دراسة تأصيلية واقعية، د. عبد الرحمن بن عبد الله الجبرين، عن: مجلة البحوث الإسلامية (٨٦/ ١٢٥)
[19] ينظر: لسان العرب لابن منظور (٤/ ٢٩٦٦) مادة (عصب).
[20] موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم للتهانوي: (١/ ٤٨٥). مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، ١٩٩٦م. وكذلك عرفه العلامة البركتي في قواعده ينظر: قواعد الفقه للبركتي: (ص: ٢٣١).
[21] القول السديد في بعض مسائل الاجتهاد والتقليد لابن ملا فروخ الحنفي (ص: ٤٧-٤٨).
[22] يراجع في ذلك: الكلمات، للأستاذ النورسي الكلمة السابعة والعشرون، رسالة الاجتهاد: باب الاجتهاد مفتوح إلا أن ستة موانع في الوقت الحاضر تحول دونه مع خاتمة في الحكمة من تبدل الشرائع السماوية وتعدد المذاهب الفقهية: ص ٥٥٣ فما بعدها.
[23] ينظر: كتاب العين للفراهيدي: ٣/ ٣٨٦، ومختار الصِّحاح للرازي: ٤٨، مادة (جهد).
[24] الإحكام في أصول الأحكام للآمدي:٤/ ١٦٩.
[25] المستصفى من علم الأصول للغزالي:٢/ ٣٤٢
[26] يراجع: أدب المفتي والمستفتي (القول في أحكام المفتين) لابن الصلاح: ص١٠٦ فما بعدها، والتحرير في أصول الفقه للكمال ابن الهمام الحنفي:٥٤٧، وإرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول للشوكاني: ٥٤٧.
[27] ينظر: المحصول في علم أصول الفقه للرازي (١/ ١٢٠) وحاشية البناني على شرح الجلال على جمع الجوامع: ٢/ ٣٩٩.
[28] ينظر: لسان العرب لابن منظور: ٧/ ٤٠ مادة (رخص).
[29] ينظر في التفاصيل: المحصول للرازي: ١/ ١٢٠ فما بعدها، مختصر من قواعد العلائي وكلام الإسنوي:١/ ٩٠.٩١،٩٦، والأشباه والنظائر لابن السبكي:٢/ ٩٧، والأشباه والنظائر لأبن نجيم:٦٤-٨٧، والأشباه

والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية للسيوطي:ص٨٣ ومذكرة في أصول الفقه للشنقيطي: ص٥٩، والقاموس الفقهي لأبي حبيب:١/ ١٦٤.

[30] ينظر في تفاصيل ذلك: فيض القدير للمحدث المناوي شرح الجامع الصغير للسيوطي:١/ ٢١٠-٢١٢.

[31] المكتوبات لبديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة: الأستاذ إحسان قاسم الصالحي (المكتوب الخامس عشر)٢/٦٩-٧٠).

[32] سيرة ذاتية لبديع الزمان سعيد النورسي: إعداد وترجمة: الأستاذ إحسان قاسم الصالحي (الفصل العاشر): ص٤٨٩.

[33] الشعاعات، لبديع الزمان النورسي، ترجمة: الأستاذ إحسان قاسم الصالحي (الشعاع الثاني عشر) ص: ٣٢٦.

[34] المصدر نفسه: الشعاع الثالث عشر: ص٣٦٢.

[35] صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان (٦/ ٤٥١) برقم (٢٧٤٢) عن ابن عمر (رضي الله عنهما).

[36] الملاحق، لبديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة: الأستاذ إحسان قاسم الصالحي ملحق قسطموني: ص١٢٢.

[37] ينظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للفيومي:٢/ ٥٥٦، ولسان العرب لابن منظور:١٠/ ٣٣٠مادة (لفق).

[38] وفي تفاصيل أحكام التلفيق وصوره عند الفقهاء والأصوليين يراجع: الفقه الإسلامي وأدلَّته للزحيلي: ١/١٠٦-١٣٤. ومعجم لغة الفقهاء لمحمد قلعجي وحامد قنيبي: (ص: ١٤٤).

[39] حيث قال: "مطلبٌ في أتباع ابن عبد الوهاب الخوارج في زماننا: قوله: "ويكفرون أصحاب نبينا (ﷺ)" علمتُ أن هذا غير شرط في مسمى الخوارج، بل هو بيانٌ لمن خرجوا على سيدنا علي (رضي الله عنه)، والاّ فيكفي فيهم اعتقادهم كُفْرَ من خرجوا عليه، كما وقع في زماننا في أتباع ابن عبد الوهاب الذين خرجوا من نجدٍ، وتغلّبوا على الحرمين، وكانوا ينتحلون مذهب الحنابلة، لكنهم اعتقدوا أنهم هم المسلمون، وأن من خالف اعتقادهم مشركون، واستباحوا بذلك قتل أهل السنّة وقتل علمائهم، حتى كسر الله شوكتهم، وخرّب بلادهم، وظفر بهم عساكر المسلمين، عام ثلاث وثلاثين ومائتين وألف". رد المحتار المختار على الدر المختار (حاشية ابن عابدين) باب البغاة: (٦/ ٤٠٠).

[40] حيث قال: "ففي هذه الآيات تسلية له ﷺ على كفر قومه، وقيل هذه الآية نزلت في الخوارج الذين يحرّفون تأويل الكتاب والسنة، ويستحلون بذلك دماء المسلمين وأموالهم، كما هو مُشَاهَدٌ الآن في نَظَائِرهم، وهم فرقة بأرض الحجاز، يقال لهم (الوهابية)، يحسبون أنهم على شيء، ألا إنهم هم الكاذبون، استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله، أولئك حزب الشيطان، ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون، نسأل الله الكريم أن يقطع دابرهم..". حاشية الصاوي على تفسير الجلالين: (٣/ ٢٥٥).

[41] ينظر: المجموع شرح المهذَّب (مع التكملة) بتحقيق: د. محمود المطرحي:١/ ٨٨. وينظر في تفاصيل في هذه المسألة كذلك: البحر المحيط في أصول الفقه للزركشي: ٤/ ٥٩٦- ٥٩٧، وكتاب الاستعداد لرتبة الاجتهاد لابن نور الدين: ٢/ ١١٧١-١١٧٢.

[42] صحيح البخاري، (٦/ ١٩٧) برقم (٥٠٥٧) – من حديث علي (رضي الله عنه).

[43] فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي: (١/ ٢٠٩)

[44] الكلمات، لبديع الزمان النورسي، ترجمة الأستاذ الصالحي، الكلمة السابعة والعشرون (رسالة الاجتهاد): ص ٥٥٩-٥٦٠.

[45] الشرح الكبير لمختصر الأصول من علم الأصول للمنياوي: (ص: ٦٣٦).

[46] صحيح مسلم (٤/ ١٨١٣) برقم (٢٣٢٧).

[47] للاطلاع على مزيد الأدلة من الكتاب والسنة في حتمية التقليد لمن دون مرتبة الاجتهاد يراجع: اللامذهبية أخطر بدعة تهدد الشرعية الإسلامية، للأستاذ الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي: ص ٨٣ فما بعدها.

[48] مسند الدارمي بتحقيق: حسين سليم أسد الداراني: (١/ ٢٥٨) برقم (١٥٩).

[49] مسند أحمد (٥/ ٣٨٢) برقم (٢٣٢٩٣).

[50] سنن الترمذي (٥/ ٦٧٢) برقم (٣٨٠٥).

[51] فقد أخرج أبو داود وأحمد والطبراني وغيرهم عن أناس من أهل حمص، من أصحاب معاذ بن جبل، أن رسول الله ﷺ لما أراد أن يبعث معاذا إلى اليمن قال: «كيف تقضي إذا عرض لك قضاء؟»، قال: أقضي بكتاب الله، قال: «فإن لم تجد في كتاب الله؟»، قال: فبسنة رسول الله ﷺ، قال: «فإن لم تجد في سنة رسول الله ﷺ، ولا في كتاب الله؟» قال: أجتهد رأيي، ولا آلو فضرب رسول الله ﷺ صدره، وقال: «الحمد لله الذي وفق رسول، رسول الله لما يرضي رسول الله ﷺ»، سنن أبي داود (٣/ ٣٠٣) برقم (٣٥٩٢)، مسند أحمد (٥/ ٢٤٢) برقم (٢٢١٥٣) والمعجم الكبير للطبراني: (٢٠/ ١٧٠) برقم (٣٦٢).

[52] إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم: (٢/ ٢٠٤)

[53] يراجع: حكم الإفتاء بمذهب الصحابي وتقليده في الوقائع والمستجدات ـ دراسة أصولية فقهية، د. حسن خالد مصطفى المفتي: ص ٧٤ـ٧٦.

[54] تذكرة الحفاظ للذهبي: (١/١٥٤) برقم (١٤٩).

[55] نقلاً عن كتاب: الأعلام لخير الدين الزركلي: (٣ / ١٣٥).

[56] معجم الشيوخ للحافظ أبي الحسين الصيداوي بتحقيق د. عمر عبد السلام تدمري: (١ / ٨٠).

[57] جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر القرطبي بتحقيق: أبو عبد الرحمن فواز أحمد زمرلي (٢/٢٥٧) برقم (١٠١٨).

[58] مرقاة المفاتيح للحافظ علي القارئ بتحقيق: جمال عيتاني: (١/٧٦ـ٧٧).

[59] قال حاجي خليفة في (الكشف): ''مشارق الأنوار النبوية من صحاح الأخبار المصطفوية η، للإمام رضي الدين: حسن بن محمد الصغاني المتوفى سنة ٦٥٠ هـ، جمع فيه: من الأحاديث الصحاح، عدده على تعداد الشارح الكازروني: ألفان ومائتان وستة وأربعون حديثاً''. كشف الظنون لحاجي خليفة: (٢ / ١٦٨٩)

[60] (مصابيح السنة) للحافظ أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البَغَوي الشافعي صاحب (شرح السنة) طبع لأول بمطبعة بولاق بمصر ١٢٩٤ في مجلد واحد , ثم صور بدار الفكر بيروت بدون تاريخ, ثم في دار المعرفة بيروت في أربعة مجلدات بتحقيق (يوسف المرعشلي), وفي دار الكتب العلمية ١٩٩٨م في مجلدين بتحقيق (ضحى الخطيب), وفي دار الأرقم بيروت في مجلدين بتحقيق (محمد نزار تميم).

[61] قال رياض زاده: (جامع الأصول في أحاديث الرسول)، لابن الأثير وهو مبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني ولد سنة اربع وأربعين وخمسمئة ومن تصانيفه النهاية في غريب الحديث والبديع في النحو والباهر في النحو وتهذيب فصول ابن الدهان والإنصاف بين الثعلبي وصاحب الكشاف وشرح مسند الشافعي وغير ذلك، توفي ٦٠٦هـ، ينظر: أسماء الكتب لعبد اللطيف رياض زاده: بتحقيق د. محمد التونجي: (١/١١٨).

[62] معيد النعم ومبيد النقم لابن السبكي: ٨١ – ٨٣ بتصرف يسير.

[63] فهرس الفهارس للكتاني بتحقيق: إحسان عباس: (١/ ٧٥ـ٧٦).

[64] ذكره الحافظ اللالكائي في (شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة): ص٦٦، والملا علي القارئ في (مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح): ١/ ٣٧٠، والقاسمي في (قواعد التحديث في فنون مصطلح الحديث): ص٥٩. والسيوطي في (الإتقان في علوم القرآن (٤/ ٢٨): بلفظ: ''جميع ما تقوله الأمة شرح للسنة وجميع السنة شرح للقرآن'' أي علماء الأمة.

[65] ينظر في ذلك: صيقل الاسلام، السانحات (هيمنة القرآن الكريم): ص٣٢٦ـ٣٢٩.

[66] ينظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام للذهبي (٣٠/ ٢٨٩).

[67] تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري لابن عساكر الدمشقي (ص: ٢٩).

[68] صيقل الاسلام، لبديع الزمان النورسي، ترجمة الأستاذ إحسان قاسم الصالحي، السانحات (هيمنة القرآن الكريم): ص٣٢٧.

[69] يراجع في ذلك: تاريخ التشريع الإسلامي للشيخ مناع بن خليل القطان: (ص: ٢١٨) فما بعدها.

[70] قصد ابن خلدون (رحمه الله) بعبارته" وشذ أهل البيت": أدعياء أهل البيت. لأن علماء أهل البيت كجعفر الصادق وزين العابدين وأمثالهم من جهابذة أهل السنة والجماعة.

[71] ينظر: تأريخ ابن خلدون (المقدمة)، الفصل السابع، علم الفقه وما يتبعه من الفرائض: (١/ ٥٦٣).

[72] القول السديد في بعض مسائل الاجتهاد والتقليد لابن ملا فروخ الرومي (ص: ٤٩ـ ٥١).

[73] ينظر: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة (١/ ١)، (١/ ٤١٨)، (٢/٩٥٠) و (٢/ ١٢٩١)، (٢/ ١٥٣٤) وهدية العارفين للباباني (١/ ٤١٤)، (١/ ٧٩٥) وإيضاح المكنون للباباني (٤/ ٥١٠) ومعجم أهم مصنفات التراجم المطبوعة للبصيري: (ص: ٩٨).

[74] كشف الأسرار شرح أصول البزدوي لعلاء الدين البخاري: (١/ ٤).

[75] الموافقات للشاطبي: (١/ ١٢٤).

[76] الأشباه والنظائر لابن السبكي (٢/ ٣٢٧ـ ٣٢٨).

[77] أسلوب الإرشاد في القرآن، د. نيازي بكي، من البحوث المنشورة في المؤتمر العالمي الرابع لبديع الزمان سعيد النورسي بعنوان: "نحو فهم عصري للقرآن الكريم: رسائل النور أنموذجاً" ٢٠-٢٢ ايلول ١٩٩٨م، إستانبول – تركيا. استانبول (١ / ٣٧٠).

[78] وليس ذلك من جميع الحيثيات، إذ مراد الله في الخطاب المتعلق بأفعال المكلفين واحد وهو الحق، وذلك هو المقصود بقول العلماء: الحق لا يتعدّد، حيث إن واحدا من الرأيين أو الآراء مصيب في نفس الأمر والبقية مأجورون وإن لم يصيبوا. (الباحث).

[79] والمقصود بهم مذهب علماء أهل البيت كمذهب جعفر الصادق وأضرابه (رضي الله عنهم)، قبل الانتحال والتحريف والبتر والتصحيف ونسج الروايات باسم أهل البيت وحسب الأهواء.

[80] الكلمات: لبديع الزمان النورسي، ترجمة الأستاذ إحسان قاسم الصالحي، الكلمة السابعة والعشرون الكلمة السابعة والعشرون، رسالة الاجتهاد، ص٥٦٠ـ٥٦١.

[81] المصدر نفسه: رسالة الاجتهاد، ص ٥٥٣ ـ٥٥٩) وينظر كذلك: المنهج الفقهي عند النورسي، الدكتور علي الصوا، نائب عميد كلية الشريعة/ الجامعة الأردنية، عن مؤتمر: "بديع الزمان النورسي: فكره ودعوته" ١٢ – ٦ – ١٩٩٧ الأردن، (١ / ١٨٨).

[82] المكتوبات لبديع الزمان النورسي، ترجمة الأستاذ إحسان قاسم الصالحي، ذيل القسم السادس (الأسئلة الستة):ص ٥٤٦.

[83] سيرة ذاتية لبديع الزمان النورسي، إعداد وترجمة الأستاذ إحسان قاسم الصالحي، دفاعه في سجن أسكي شهر:ص ٣٠٤.

[84] المصدر نفسه: (الباب الثالث) شذرات: ص ٥٥٦.

[85] الملاحق، لبديع الزمان النورسي، ترجمة الأستاذ إحسان قاسم الصالحي ملحق أميرداغ: ص٢٣٦.

[86] المكتوبات، المكتوب التاسع عشر (رسالة المعجزات الأحمدية): ص ١٣٧.

[87] اللمعات: لبديع الزمان النورسي، ترجمة الأستاذ إحسان قاسم الصالحي، اللمعة السادسة والعشرون (رسالة الشيوخ): ص ٣٧٣.

[88] الملاحق لبديع الزمان سعيد النورسي ترجمة: الأستاذ إحسان قاسم الصالحي - ملحق بارلا: ص٦٧ـ٦٨.

[89] سيرة ذاتية، لبديع الزمان النورسي، إعداد وترجمة الأستاذ إحسان قاسم الصالحي الفصل الثالث، الهجر الجميل: ص ٢٤٤.

[90] الكلمات، لبديع الزمان النورسي، ترجمة الأستاذ إحسان قاسم الصالحي الكلمة السابعة والعشرون (ذل رسالة رسالة الاجتهاد) ص ٥٧٤.

[91] المصدر نفسه: الكلمة الثالثة والثلاثون (اللوامع) تحت عنوان'' الاسلام دين السلام والأمان، يرفض النزاع والخصام في الداخل: ص ٨٤٩-٨٥٠.

[92] اللمعات لبديع الزمان النورسي، ترجمة الأستاذ الصالحي: اللمعة السادسة والعشرون (رسالة الشيوخ) الرجاء العاشر: ص ٣٣٥.

[93] الشعاعات – الشعاع الرابع عشر ص: ٤٦٥ وسيرة ذاتية الباب الثاني (إطلاق اسم رسائل النور):ص٢٧٧.

[94] الكلمات، الكلمة السابعة والعشرون (ذل رسالة الاجتهاد): ص ٥٧٣-٥٧٤.

[95] صيقل الإسلام لبديع الزمان النورسي، ترجمة وتحقيق الأستاذ إحسان قاسم الصالحي: محاكمات عقلية، المقدمة السادسة لبديع الزمان: ص: ٣٩.

[96] المصدر نفسه: المحاكمات/ المسألة الأولى: ص ٦٣.

[97] المصدر السابق، السانحات: ص٣٣٢.

[98] صيقل الاسلام، السانحات (هيمنة القرآن الكريم): ص٣٢٦-٣٢٩.

[99] ينظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي: ص٦٦، مرقاة المفاتيح للملا علي القارئ: ١/٣٧٠، قواعد التحديث للقاسمي ص٥٩. الإتقان للسيوطي (٤/ ٢٨).

[100] ينظر: مختصر من قواعد العلائي وكلام الإسنوي: ١/ ٥٠ -٥١.

[101] إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد للصنعاني: (ص: ١٦).

[102] الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي للفاسي (٢/ ١٦).

[103] القواعد الفقهية وتطبيقاتها في المذاهب الأربعة للزحيلي (١/ ٦٧٣).

[104] حجة الله البالغة للدهلوي (١/ ٢٧٠).

[105] ينظر في التفاصيل: الكلمات، لبديع الزمان النورسي، ترجمة الأستاذ إحسان قاسم الصالحي، الكلمة السابعة والعشرون (ذل رسالة الاجتهاد) لبديع الزمان: ص ٥٧٣-٥٧٤.

[106] مسند الإمام أحمد بن حنبل (٥/ ٣٧٠) برقم (٢٣١٩٤).

[107] سنن الترمذي (الجامع الكبير): بتحقيق: بشار عواد معروف (٤/ ٣٥) برقم (٢١٦٥).

[108] يراجع: صيقل الاسلام لبديع الزمان النورسي، ترجمة وتحقيق الأستاذ إحسان قاسم الصالحي، السانحات: ص٣٣٢.

[109] نوادر الأصول في أحاديث الرسول الأصل الثامن والثمانون للحكيم الترمذي بتحقيق: عبد الرحمن عميرة (١/ ٤٢٢).

[110] مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للحافظ نور الدين الهيثمي: (٥/ ٣٩٢) برقم (٩٠٩٧).

[111] قواعد الأحكام في مصالح الأنام لابن عبد السلام (٢/ ١٥٩).

[112] المحصول من علم الأصول، لفخر الدين الرازي، بتحقيق: العلواني: (١/ ١٢٨).

[113] إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم (٢/ ١٨٨).

[114] الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: (٢/ ٢١١-٢١٢).

[115] حجة الله البالغة لولي الله الشاه الدهلوي (١/ ٢٦٣).

[116] المصدر نفسه: (١/ ٢٩١).

فقه الأولويات عند بديع الزمان سعيد النورسي
أولويات الإصلاح الديني والاجتماعي نموذجاً
دراسة تحليلية موضوعية لرسائل النور

The First Principles of Fiqh in the Thought of Bediuzzaman Said Nursi: The Principles of Religious and Social Reform in the Risale-i Nur: An Analytical, Thematic Study

ABSTRACT

Aras Hame Amin 'Uthman (Research Scholar)

The Correct Understanding of Religion Depends on Knowing the principle of priorities and how to balance and choose between interests and disinterests if they contradicted. And to put the most important over the important. And the important over other things. Such Kind of Understanding Regarding The Priority of Things in The Religion Just Rely on Some Received Principles From The Holy Texts in The Both The Quran And The Sunna Which Teach Human Beings to Make The Correct Religious Decision About The Matters. Also, it Helps Them to Know The Intentions of The Religion And Religious Judgments Completely.

Looking Through The Time And Life of Said Al-Nursi, it Becomes Clear That He was at the Forefront of those who have Interested in The Issue of Religious Priorities in The Modern Era.

Al-Nursi's Experience and knowledge regarding the jurisprudence of religious Priorities As an Islamic Approach Which Stems From The Quran And The Sunna, Made Him to A Wise Man Who Deals Positively with Incidents, Realities And Developments and put appropriate and reasonable solutions to problems, needs, and challenges.

The principle of knowing priorities and working according to them, was part of Nursi's approach to Dawaa' and education and reform. And he derived the principle form both Quran and Sunna, under the light of dealing with incidents and developments and putting everything in its due place and rank. And he reemphasized through this principle that the reformative work is represented in the scholars doing what they are calling for and the educator committing to the principles he is calling for.

* * *

الملخص

الباحث: آراس حمه أمين عثمان[1]

إن الفهم الصحيح للدين يستلزم معرفة مبدأ الأولويات وكيفية الموازنة والترجيح بين المصالح والمفاسد إذا تعارضت، وبالتالي وضع كل شيء في مرتبته بالعدل من الأحكام والقيم والأعمال، وتقديم الأهم على المهم والمهم على غيره.

ويستند فقه الموازنة والأولويات إلى مجموعة من القواعد والأصول والكليات راجعة كلها إلى نصوص القرآن والسنة النبوية، حيث توجه المجتهد نحو الصواب والوجهة السليمة، وترشده في معرفة الأحكام وفهم المقاصد على كمالها.

إن بديع الزمان سعيد النورسي واحد من كبار رواد الصحوة الإسلامية في العالم الإسلامي عامة وفي تركيا خاصة، ويعد مشروعه التجديدي والإصلاحي امتدادًا وتكميلًا لما بدأه غيره ممن سبقوه أو عاصروه من العلماء المجددين الكبار، وبالنظر والتمعن في سيرة حياته الكريمة (رحمه الله) يتبين لنا بوضوح أن هذا الرجل كان في مقدمة المهتمين بمسألة الأولويات في العصر الحديث، كما أن خبرته وعلمه بفقه الأوليات كمنهج إسلامي نابع من القرآن والسنة، جعلته إنسانًا حكيمًا يتعامل بإيجابية مع الحوادث والوقائع والمستجدات، ويطرح حلولا مناسبة ومنطقية للمشاكل والهموم والاحتياجات والتحديات.

ومبدأ معرفة الأولويات والعمل به عند النورسي منهج في الدعوة والتبليغ والتربية والإصلاح، واستمده من القرآن الكريم والهدي النبوي، وفي ضوئه تعامل مع الحوادث والمستجدات ووضع كل شيء في مرتبته بالعدل، كما أكد من خلال هذا المبدأ أن أساس العمل الإصلاحي الناجح يتمثل في عمل العالم بعلمه، وموافقة أقوال الداعية مع أفعاله، وعدم مخالفة المربي لمباديء تربيته.

* * *

المقدمة

يستلزم الفهم الصحيح للدين معرفة مبدأ الأولويات وكيفية الموازنة والترجيح بين المصالح والمفاسد إذا تعارضت، وبالتالي وضع كل شيء في مرتبته بالعدل من الأحكام والقيم والأعمال، وتقديم الأهم على المهم والمهم على غيره.

يستند فقه الموازنة والأولويات إلى مجموعة من القواعد والأصول والكليات راجعة كلها إلى نصوص القرآن والسنة النبوية، حيث توجه المجتهد نحو الصواب والوجهة السليمة، وترشده في معرفة الأحكام وفهم المقاصد على كمالها.

وفي ظل تلك التطورات والتغيرات التي أصابت النُظُم السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية في الواقع الإنساني المعاصر، بدأ الفقهاء والكتاب يهتمون بمسألة الأولويات ويركزون عليها أوسع مما تقدم..

وبالنظر والتمعن في سيرة بديع الزمان سعيد النورسي يتبين لنا بوضوح أن هذا الرجل كان في مقدمة المهتمين بمسألة الأولويات في العصر الحديث.

وكان النورسي عارفًا بمقاصد الشريعة ومراميها وأسرارها، وكان يراعي فقه الموازنات ومآل التصرفات، وترتيب سلم الأولويات في التربية والدعوة والتبليغ، ونجد آثار ذلك كله في رسائله (رسائل النور).

ولا شك أن مبدأ الأولويات عند النورسي منهج في الدعوة والتبليغ والتربية، وفي ضوئه يقدم الواجب على المندوب، والضروري على الحاجي، والحاجي على التحسيني، والأصل على الفرع، ويقدم ما فيه مصلحة عامة على ما فيه مصلحة خاصة، ويقدم دفع الضرر على جلب النفع، ويتحمل الضرر الأقل خطورة من أجل دفع الضرر الأكثر خطورة، ويتحمل الضرر الخاص لدفع الضرر العام، ويخاطب الناس على قدر عقولهم ومستوياتهم من الفهم ونحو ذلك.

إن خبرة بديع الزمان بفقه الأوليات كمنهج إسلامي نابع من القرآن والسنة، جعلته إنسانًا حكيمًا يتعامل بإيجابية مع الحوادث والوقائع والمستجدات، ويطرح حلولا مناسبة ومنطقية للمشاكل والهموم والاحتياجات والتحديات.

وقد عاش النورسي في زمن ساد فيه الضعف والتراجع والمحن العالم الإسلامي، وحاول بجد وإخلاص أن يشخص الأمراض ويحدد الأسباب وبالتالي يقدم الحلول والطروحات الحكيمة لتحقيق النهوض الإسلامي من جديد، والتغيير الشامل في كافة الميادين كعالم بفقه الأولويات وقدوة في تطبيق هذا الفقه.

والنقطة المركزية التي تعد المحور الرئيس والقاعدة الثابتة للانطلاق نحو الإصلاح والتجديد عند النورسي، تتمثل في البُعدين الإيماني والإنساني، وأن أي حركة أو تقدم أو إصلاح لم ينطلق من القاعدة المذكورة، يبوء بالفشل ولا يحالفه النجاح.

فقد حدد النورسي بحنكته أولوياتٍ في تطبيق الدين وعمل عليها بجد، كما حدد أولويات في الجانب الاجتماعي وضحّى من أجلها أكبر تضحية، وبذلك أنشأ مدرسة

فقهية حديثة خاصة به في مسألة الأولويات الدينية والاجتماعية، لذا يمكن اعتبار منهج النورسي في تحديد الأولويات والعمل بها سرّ نجاح مدرسته الفكرية.

ومن هنا يأتي الباحث ليلقي الضوء على مسألة فقه الأولويات عند الأستاذ النورسي من خلال مبحثين كالتالي:

المبحث الأول: أولويات الإصلاح الديني عند النورسي، ويتضمن أربعة مطالب:

المطلب الأول: إصلاح النفس وتربيتها على الإيمان والتقوى.

المطلب الثاني: التركيز على التربية الإيمانية في الدعوة والتبليغ.

المطلب الثالث: التركيز على خطاب الوحدة والتقريب بين المذاهب والاتجاهات الإسلامية.

المطلب الرابع: تصحيح الأفكار والرد على الشبهات.

المبحث الثاني: أولويات الإصلاح الاجتماعي عند النورسي، ويتضمن ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: إحياء الروح المعنوية لدى الفرد والمجتمع.

المطلب الثاني: الجهود المضنية لنشر روح التسامح في مقابل استعمال القوة.

المطلب الثالث: تشخيص الأمراض الاجتماعية وتحديد العلاج المناسب لها.

والخاتمة بتلخيص أهم الاستنتاجات التي توصل إليها الباحث.

تمهيد

الأولوية في اللغة مصدر صناعي من أولى، وهو اسم تفضيل بمعنى أحق وأقرب، فيقال على الأول: فلان أولى من فلان بهذا الأمر، أي أحق به،[2] وعلى الثاني جاء قوله ﷺ: ''ألحقوا الفرائض بأهلها فما بقي فلأولى رجل ذكر''[3] أي أقرب في النسب إلى الموروث،[4] وعلى هذا فالأولوية تأتي بمعنى الأفضلية والأسبقية.

أما اصطلاحًا فقد استعملت وكثر ترادها على ألسنة دعاة الإصلاح والتجديد.

وعرفها بعضهم بأنها: ''الأعمال الشرعية التي لها حق التقديم على غيرها عند الامتثال أو عند الإنجاز''.

وتجدر الإشارة إلى أنّ المصطلح المذكور كثر استعماله مركبًا لا منفردًا، أي بإضافة كلمة (الفقه) إليه، ومن هذا المنطلق عرفه القرضاوي بأنه: ''وضع كل شيء في

مرتبته بالعدل من الأحكام والقيم والأعمال، ثم يقدم الأولى فالأولى، بناء على معايير شرعية صحيحة، يهدي إليها نور الوحي، ونور العقل".[5]

ومع أن مصطلح الأولوية أو فقه الأولويات لم يكن متداولًا على ألسنة المتقدمين من الفقهاء والأصوليين، إلا أن معناه ومقصوده كان موجودًا عندهم، بل رسموا أصوله وضوابطه في مباحث الاستحسان والمصلحة المرسلة وسد الذرائع ونحوها من مباحث أصول الفقه، إضافة إلى قيامهم بصياغة قواعد فقهية في الترجيح والمقارنة بين المصالح والمفاسد، وقواعد في اعتبار المآلات وترك المباح أو تقييده.[6]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (والمؤمن ينبغي له أن يعرف الشرور الواقعة ومراتبها في الكتاب والسنة، كما يعرف الخيرات الواقعة، ومراتبها في الكتاب والسنة، فيفرق "بين" أحكام الأمور الواقعة الكائنة، والتي يراد إيقاعها في الكتاب والسنة، ليقدم ما هو أكثر خيراً وأقل شراً على ما هو دونه، ويدفع أعظم الشرين باحتمال أدناهما، ويجتلب أعظم الخيرين بفوات أدناهما، فإن من لم يعرف الواقع في الخلق، والواجب في الدين: لم يعرف أحكام الله في عباده، وإذا لم يعرف ذلك كان قوله وعمله بجهل، ومن عبد الله بغير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح).[7]

وتوظيف الأستاذ النورسي لهذا المصطلح يدلّ على أنّه كان فقيهًا أصوليًا محققًا عالمًا بالقرآن والسنة، عارفًا باجتهادات السابقين وتحقيقاتهم وخلافاتهم، إضافة إلى معرفته التامة بحوادث عصره وما يدور في واقعه الملموس، وما يأمله من المستقبل المنشود، ومن هذا المنطلق هداه الله سبحانه وتعالى بفضله إلى التمكن من تحديد الأولويات، التي أنار بها دربه لتحقيق أهدافه في سبيل الإصلاح الديني والاجتماعي في زمانه، إذ نال من خلال التركيز على هذه الأولويات شرف إعادة الروح الإسلامية الحقيقية والثبات على القيم والمبادئ المقدسة للأمة الإسلامية جمعاء وبالإخص الشعب التركي المجاهد، ولم يقتصر تأثير أفكاره في هذا المجال على زمانه، بل يمكن أن يستفيد منها الأجيال المتلاحقة لتصحيح مسار الدعوة الإسلامية المباركة وتحقيق الأمن والسعادة للمجتمع دون توقف.

"العلماء ورثة الأنبياء" كما قال رسول الله ﷺ في الحديث الشريف،[8] والله سبحانه وتعالى أرسل رسله بالدعوة إلى صلاح الدين وإصلاح المجتمع، لذا فالنورسي كان عالماً ومصلحاً بمعنى الكلمة وكان النورسي أعرف الناس بما يجب عليه من دعوة وجهاد في سبيل صلاح عقيدة الناس وإصلاح سبل عيشهم، لذا يحاول الباحث تسليط الضوء على أهم ما قام به الأستاذ من الإصلاحات في الجانب الديني والاجتماعي من

خلال تحديد بعض الأولويات التي قدمها على غيرها من الأمور في كلا الجانبين، والسير على هذا المنهج القويم للنهوض بالأمة الإسلامية والرقي بها من أجل جلب سعادة الدنيا وفلاح الآخرة، فهو ''رحمه الله'' مثلاً قدم إصلاح نفسه أولاً وتربيتها على الإيمان والتقوى وكسب العلم والمعرفة، على تقديم النصيحة للناس وإلقاء الخطب والمحاضرات عليهم، لأن ذلك أكثر فعالية، وهي أولى خطوات القدوة الحسنة، كما قدم الأخوة الإيمانية على الخلافات البشرية، فهو حين اهتم بنشر الأخوة بين الناس وحثّ على التركيز على المشتركات، لم يغفل خطورة الشيطان ومدى قوته في بثّ الفتنة بين البشر ونشر الفرقة والفساد بينهم، ودعى بجد إلى ترك الخلافات العرقية والمذهبية والطائفية التي رأى أنها السبب الرئيسي في التخلف والرجعية.

ويتطلب الحديث عن هذه الأوليات كلاً على حدة تقسيم البحث إلى مبحثين أساسيين كما يلي:

المبحث الأول: أولويات الإصلاح الديني عند النورسي، ويتضمن أربعة مطالب:

المطلب الأول: إصلاح النفس وتربيتها على الإيمان والتقوى

يُعد إصلاح النفس وتربيتها على التقوى وتنقيتها من الشوائب بداية كل خير وكل عمل إصلاحي عند النورسي، وبهذا الصدد قال: (فالتقوى هي ترك المحظور والاجتناب عن الذنوب والسيئات، والعمل الصالح هو فعل المأمور لكسب الخيرات، ففي هذا الوقت الذي يتسم بالدمار –الأخلاقي والروحي- وبإثارة هوى النفس الأمارة، وبإطلاق الشهوات من عقالها، تصبح التقوى أساسا عظيما جدا بل ركيزة الأسس، وتكسب أفضلية عظيمة حيث إنها دفع للمفاسد وترك للكبائر، إذ إن ''درء المفاسد أولى من جلب المصالح'' قاعدة مطردة في كل وقت) .[9]

بدأ النورسي من هذه النقطة بإصلاح نفسه أولاً، حيث كان يقيم الصلاة ويلتزم مجالس العلماء منذ صغره وينشغل بكسب العلم بدل الإنشغال بالهموم الدنيوية، ويشهد له جميع من عاصروه ورأوه -خاصة طلابه- بالتقوى والأخلاق الرفيعة، ولأنه كان متيقنا بأن الصلاة مفتاح باب التقوى وراحة للنفس في كل وقت وحين، لم يتركها حتى في أحلك الأوقات وأصعب الظروف، في الأسر والسجن وأثناء نفيه المستمر ونقله إلى منفاه برا وبحرا وجوا،[10] وفي المرض والهرم حتى وفاته ''رحمه الله''.

إن المرشد هو الذي يسعى إلى إصلاح الناس ويكون قدوة لهم، ويتصف بأوصاف الإيمان والعلم والتقوى والعمل والشخصية المتوازنة، ولا يكون لقوله أثر في النفوس

إلا أن يكون مرشدا بالقول والعمل، وإلا فعمله يكذب قوله ويفقد الناس ثقتهم به، فينكث غزله بالنقائض ولا يصلح حال قوم يشهدون في المرشد نقض القول بالفعل، بل لا مفر من فسادهم.[11]

فالنورسي كان مرشداً بالقول والفعل، ويعلم نفسه في رسائله أولاً وينقيها قبل أن يطلب الآخرين بذلك، ويؤكد أنه يرى نفسه محتاجاً إلى النصح أكثر من غيره مشيراً إلى حقيقة جوهرية بقوله:[12] ''ما دامت نفسي التي بين جنبيّ أمارةٌ بالسوء فلابد أن أبدأ بها أولاً، لأن من عجز عن إصلاح نفسه فهو عن غيرها أعجز)،[13] ويخاطب نفسه قائلاً: (إن الحقائق الإيمانية التي كتبتها، خاطبت بها نفسي مباشرة، ولا أدعو إليها الناس جميعاً، بل الذين أرواحهم محتاجة وقلوبهم مجروحة يتحرون عن تلك الأدوية القرآنية، فيجدونها''.[14]

إن أسلوب مخاطبة النفس الوارد في رسائل النور من أقوى الأساليب التربوية الدالّة على حرص مؤلفه على تقديم إصلاح نفسه وتنقيتها قبل طلبه ذلك من الآخرين، وهو سر تأثيرها العميق على جميع الجوارح، وسر القوة الفائقة الكامنة في معانيها ومراميها، لأن المؤلف لم يكتب شيئاً إلا وهو مقتنع به تمام الاقتناع، بل شهده شهود قلب، وعانى منه معاناة حقيقية عميقة، فهي ليست نقولاً من مصادر، ولا هي تصور فكري فحسب:[15] (ان رسائل النور تحاول اولاً اقناع نفس مؤلفها ثم تخاطب الآخرين؛ لذا فالدرس الذي أقنع نفس المؤلف الأمارة بالسوء إقناعاً كافياً و تمكّن من إزالة وساوسها وشبهاتها إزالة تامة، لهو درس قوي بلاشك، وخالص أيضا بحيث يتمكن وحده من أن يصد تيار الضلالة الحاضرة التي اتخذت شخصية معنوية رهيبة – بتشكيلاتها الجماعية المنظمة– بل أن يجابهها و يتغلب عليها).[16]

ولا شك أن أسلوب مخاطبة النفس هذه له وقع كبير على القارئ ويؤثر فيه حين قراءته لها كما لو أنه ليس قارئا فقط، بل يشعر بأنه كاتب الرسائل وهو المتكلم مع نفسه الذي يسأل ويجيب.

ومن أمثلة إصلاح النفس والأخلاق الرفيعة لدى النورسي، تركه لشهوات الدنيا الفانية وعزة نفسه وعدم قبوله للمساعدات المادية ورفضه للمكافئات المالية والهدايا من أي أحد كان حتى من السلطان، فعندما استدعي إلى وزارة الداخلية في عهد السلطان عبد الحميد الثاني عرض عليه وزير الداخلية قائلا: (السلطان يخصك بالسلام مع مرتب بمبلغ ألف قرش وعندما تعود إلى بلدك سيجعل مرتبك ثلاثين ليرة كما أرسل لك ثمانين ليرة هدية سلطانية لك، فأجابه بديع الزمان: لم أكن أبدا متسول

مرتب، ولن أقبله ولو كان ألف ليرة لأنني لم آت لغرض شخصي، وإنما لمصلحة البلد، فما تعرضون علي ليس سوى رشوة السكوت).[17]

ويفهم من ذلك أن الشخص الذي يريد أن يكون قدوة لغيره ويستمع إليه الناس ويأخذوا بنصائحه ويترك أثرا إيجابيا في نفوسهم ليقبلوا به وبأفكاره وطروحاته، يجب أن يبدأ الإصلاح من نفسه ويصلح ما بداخله، ويترك هوى النفس ويتغلب على الأمراض النفسية الكامنة فيها كالتكبر والطمع والحسد والبخل والأنانية، يقول سبحانه وتعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾،البقرة:٤٤ ويقول أيضا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ. كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ﴾.الصَّف:٢-٣

وهذا الأصل موجود في السيرة العطرة لنبي الهدى محمد ﷺ، حيث كان -حتى قبل بعثته- قدوة حسنة للناس في الأخلاق والمعاملة، وبعد بعثته كذلك اتخذه الناس أسوة حسنة لهم في الإيمان والإخلاص والتقوى والجهاد، قال سبحانه وتعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا﴾.الأحزاب:٢١

ومن المعروف أن النفس البشرية بطبيعتها، ينصت إلى شخص يكون مثالاً لحسن الخلق وقدوة في حسن المعاملة، وتأثير الناصح لا يظهر إلا إذا حقق في نفسه ما يريد تحقيقه في الآخرين، لذلك نجد في زماننا هذا كثيرا من الذين يسمون بـ''الدعاة والوعاظ'' ويدعون الناس إلى الإسلام وينصحون المسلمين بالإلتزام بالإسلام، إلا أنهم يعانون من مشكلة ''كثرة الأقوال وقلة الأفعال''، فأحياناً يفعلون ما ينهون الناس عنه، ويغفلون ما يأمرون الناس به، وأحياناً أخرى ينحني بعضهم أمام المطامع الدنيوية والشهوات الفانية فيرجع عليهم فعلهم هذا وعلى دينهم أولاً، بالسلبية، ويُقل ويضعف تأثيرهم شيئاً فشيئاً، فكم من واعظ وخطيب وعالم وداعية باع دينه بدنياه، وأُغري بالسلطة والمال والبنين والأزواج، وتعاني الأمة الإسلامية بسببهم في جميع أرجاء العالم.

المطلب الثاني: التركيز على التربية الإيمانية في الدعوة والتبليغ

إن تهيئة النفس الإنسانية من الناحية الإيمانية وتربيتها من الناحية الروحية أيضاً، هي الطريقة المثلى للدفع بها نحو القيام بالعمل الإيجابي، ويكون ذلك بالتوجه إلى ترسيخ عقيدة الإيمان بالله ووحدانيته.

وقد أراد بديع الزمان بلوغ هذا المقصد بالحديث عن الانتساب الإيماني وأهميته أولاً، إذ يمكن القول بأن نقطة البداية لدروس التربية والإصلاح الديني في رسائل النور هي ''الانتساب الإيماني''.

ويقصد بالانتساب الإيماني عند النورسي: ''الانخراط الوجداني في سلك العبودية لله إيمانا وعملا، بما يحقق للإنسان معنى الإضافة إلى الله في صفة ''عبد الله''.[18]

فمن انتسب إلى العبودية وجد نفسه وعرف قدره ومكانته، وعلى العكس من ذلك الذي لا ينتسب إلى العبودية مثله مثل التائه الضال الفاقد للهدف والغاية، (فما دمت قد ظفرت بنقطة استناد مثل هذه بهوية الانتساب الايماني، فيمكنك الاستناد والاطمئنان اذاً إلى قوة عظيمة وقدرة مطلقة. وحقاً لقد كنت أحسّ بقوة معنوية عظيمة كلما كنت أتلقى ذلك الدرس من تلك الآية الكريمة، فكنت أشعر أنني أملك قوة يمكنني أن اتحدّى بها جميع أعدائي في العالم وليس الماثلين أمامي وحدهم، لذا رددتُ من أعماق روحي: ﴿حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾.[19]

والانتساب الإيماني يجعل العبد لا ينظر إلى الأعمال الإيجابية من زاوية صعوبتها مهما كبرت، لأن المنتسب الحقيقي يفكر في قوة وعظمة من انتسب إليه، وبذلك يهون عليه أكبر وأصعب الأمور، ولتوضيح أكثر هنا يورد النورسي مثالا ويقول: ''اذا انتسب أحدٌ إلى السلطان بالجندية او بالوظيفة الحكومية، فإنه يتمكن أن ينجز من الأمور والأعمال اضعاف اضعاف ما يمكنه إنجازه بقدرته الشخصية، وذلك بقوة ذلك الانتساب السلطاني''.[20]

ثم يأتي دور الحديث عن مسألة بقاء الإنسان (الخلود)، وللبقاء مفهومه الخاص عنده،[21] حيث يقول: ''فالإنسان الذي تاه في كثرة المخلوقات وغرق في الكائنات، وأخذ حب الدنيا بلبّه حتى غره تبسم الفانيات وسقط في أحضانها، لاشك أن هذا الإنسان يخسر خسراناً مبيناً، اذ يقع في الضلال والفناء والعدم، أي يعدم نفسه معنى. ولكن اذا ما رفع هذا الإنسان رأسه واستمع بقلب شهيد لدروس الايمان من لسان القرآن، وتوجّه إلى الوحدانية فانه يستطيع أن يصعد بمعراج العبادة إلى عرش الكمالات والفضائل فيغدو انساناً باقياً''.[22]

وفي هذا السياق أيضا يكشف بديع الزمان في نكتة جميلة ومعبرة عن سرّ قناعة المسلم وتيقنه في وجود عالم البقاء الأزلي بعد الحياة الدنيا، وقناعة الملحد وشكّه في فنائه المطلق بعد الحياة الدنيا، ويرجع سبب ذلك إلى مسألة القرب والبعد عن الإله الخالق، فالمسلم يتقرب إلى خالقه بالطاعة والعبادة والامتثال لأوامره وذلك يكسبه

اليقين والاطمئنان، أما الملحد فبعصيانه وكفره يبتعد خطوةً بعد خطوة عن خالقه، وذلك يكسبه الشك والقلق الدائم وعدم الرغبة في الموت لأنه يعتبره عدماً وفناءاً له، فيقول: ‘‘إن الحق سبحانه بكمال كرمه أدمج قسماً من مكافاة الخدمة في نفس الخدمة، وأدرج أجرة العمل في نفس العمل. حتى أن الموجودات ولو الجمادات تمتثل أوامره التكوينية بكمال الشوق والتلذذ، وبالامتثال تصير معاكَس تجليات أسماء نور الانوار. كالحباب الحقير المظلم الذي يتوجه بقلبه الصافي إلى الشمس، فيتنور مبتسماً في وجهك، بجعل قلبه سرير الشمس. وكيف لاتلتذ الذراتُ ومركباتها -بفرض شعورٍ فيها- بمظهريتها لتجليات أسماء ذي الجلال والجمال والكمال المطلق مع ارتقائها بالامتثال، مثل الحباب من نهاية الخمود والظلمة إلى نهاية الظهور والنور!.. انظر إلى حواسك وأعضائك وخدَمتها التي تخدم لبقاء الشخص أو النوع كيف تتلذذ بنفس خدمتها حتى يكون التَركُ عذاباً لها‘‘.[23]

إذن فكيف يمكن للقريب الحقيقي من خالقه أن يترك الأعمال الفاضلة ويأتي عكسها، وكيف يمكن للبعيد الحقيقي من الخالق أن يأتي الأعمال الفاضلة ويترك عكسها؟

ويجعل النورسي من حاجات الإنسان ونواقصه وفقره أيضا مدخلا للقناعة وترسيخ عقيدة الإيمان بالله، ويفهم الإنسان بأن سيره إلى ربه يكون من خلال تكملة تلك النواقص والحاجات بالتوبة والتوكل والشكر والمحبة،[24] فيقول: ‘‘إن الله سبحانه يجعل ما ألبسه الإنسان من لباس الوجود دليلا على صنعته المبدعة، حيث خلقه على صورة نموذج موديل يفصّل عليه لباس الوجود، يبدله ويقصه ويغيره مبيناً بهذا التصرف تجليات مختلفة لاسمائه الحسنى. فمثلما يستدعي اسم الشافي المرض، فان اسم الرزاق ايضاً يقتضي الجوع‘‘.[25]

وحاول بديع الزمان ترسيخ الاعتقاد لدى الناس بأن الإيمان هو الذي يجعل الإنسان يفكر إيجابيا ويوجد به الأنس والأخوة الكونية والنشاط في أداء مهمة الحياة، وكذا يجعله يفرح عند نهاية حياته بموته التي يعدها موعدا للتسريح من التكليف وتحمل الأمانة إلى السعادة الأبدية في عالم البقاء السامي، وبعكس ذلك، الكفر -الذي هو طمس للحقائق ودخول في ظلام دامس وعمى عن الحقيقة الكونية للإنسان- يجعله لا يفكر إلا سلبيا، ولا يرى بسبب ذلك من الكائنات إلا ما يهدده ويفزعه ويرعبه، فيدخل في صراع خاسر مع كل شئ حتى مع نفسه،[26] حيث يقول: ‘‘إن الكفر والضلال يريان الكون لأهلهما أنّه ملئ بآلاف الأعداء المخيفين، بل هو سلسلة

من طوائف تعادي الإنسان، ابتداءً من المنظومة الشمسية وانتهاء إلى ميكروبات التدرن الرئوي، كلها تعادي هذا الإنسان المسكين بأيدي القوى العمياء والمصادفة العشواء والطبيعة الصماء. حتى تجعله في رعب دائم وألم مقيم وهلع ملازم واضطراب مستمر''.[27]

أما العبودية بمعناه الشرعي في الإسلام عند النورسي أساس التربية الخلقية، حيث إن هذه التربية تجمع بين نقيضين ''الذلة والعزة''، ذلك أن الذلة لله الواحد القهار تورث العبد عزة، فيعز بالانتساب إلى الله، ويتخلق بأخلاق القرآن ويكون فردا نافعا للمجتمع،[28] فيقول رحمه الله: ''للوصول إلى مدى الفرق بين التربية الاخلاقية التي يربي بها القرآن الكريم تلاميذه، والدرس الذي تلقنه حكمة الفلسفة، نرى أن نضع تلميذيهما في الموازنة: فالتلميذ المخلص للفلسفة 'فرعون' ولكنه فرعون ذليل، اذ يعبد أخس شئ لأجل منفعته، ويتخذ كل ما ينفعه رباً له. ثم أن ذلك التلميذ الجاحد 'متمرد وعنود' ولكنه متمرد مسكين يرضى لنفسه منتهى الذل في سبيل الحصول على لذة (...) بينما تلميذ القرآن المخلص هو 'عبد' ولكنه عبد عزيز لا يستذل لشئ حتى لأعظم مخلوق، ولا يرضى حتى بالجنة، تلك النعمة العظمى غاية لعبوديته لله. ثم أنه تلميذ 'متواضع، ليّن هيّن' ولكنه لا يتذلل بارادته لغير فاطره الجليل ولغير أمره وإذنه. ثم أنه ''فقير وضعيف'' موقن بفقره وضعفه، ولكنه مستغنٍ عن كل شئ بما ادخره له مالكُه الكريم من خزائن لا تنفد في الآخرة. وهو 'قويٌ' لاستناده إلى قوة سيده المطلقة. ثم أنه لا يعمل إلاّ لوجه الله، بل لا يسعى إلاّ ضمن رضاه بلوغاً إلى الفضائل ونشرها''.[29]

وقد فهم بديع الزمان أن صلاح الناس مرتبط بإيمانهم، فبعدهم عن خالقهم ورازقهم لا يكسبهم إلا الشقاء، وإذا أرادوا السعادة في دنياهم وآخرتهم تقربوا من إلههم بإخلاص العبودية له وبتنزيهه عن الشرك، لأن الإيمان بالله وخشيته هو الذي يدفع بالإنسان إلى تقديم الخير لبيئته ويجلب السلام لمجتمعه، أو على أقل تقدير، لا يقدم على ارتكاب الجرائم التي تخل بأمن وسلامة مجتمعه.

ومسألة الانتساب الإيماني محسومة في القرآن والسنة قبل كل شيء، وهي ما جاءت الشريعة من أجله، فقد أكد القرآن الكريم مرارا وتكرارا على ضرورة توكل المسلم على ربه وتنقية إيمانه من شوائب الشبهات الشيطانية، فكثرة آيات التوحيد في القرآن خير شاهد على ذلك، قال سبحانه وتعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾،الزمر:٦٥ كما بين الرسول الأكرم ﷺ سعة الإيمان، فقد روي

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قَال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ''الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ''.[30]

المطلب الثالث: التركيز على خطاب الوحدة والتقريب بين المذاهب والاتجاهات الإسلامية

من الخطوات المهمة والوقفات البارزة في حياة النورسي وفي مؤلفاته هي جهوده القيمة في مجال نشر التوعية الدينية لدى المسلمين، وقد شملت هذه؛ جهوده في مجال التقريب بين المدارس الفكرية والأخوة بين المذاهب الإسلامية ودفع المسلمين للتقدم وحثهم على التفكير كوسيلة تربوية وغاية تعبدية، وبناء خطاب تجديدي لكل الأمة، وقصد أن يدخل جميع الناس على اختلاف آرائهم في مراد خطابه، ولم يكن له قصد إنشاء طريقة تجمع عددا من المريدين.[31]

كانت نظرة بديع الزمان إلى سائر المناهج الإصلاحية في الإسلام مبنيا على مدى نجاعتها بالنسبة لحال الزمان وأهله، فمثلا بالنسبة للطريقة الصوفية التي كان يعتبرها منهجا إصلاحيا وتربويا، وفي نفس الوقت لم يكن يرى فيها المنهج الأمثل للإصلاح، حاول إقناع الناس برأيه هذا بأسلوب قل نظيره في التاريخ الإسلامي، حيث خرج بمعادلات تربوية ذات بعد منهجي متوازن تدل على قبوله لمنهج التصوف من جهة، وتجاوزه له من جهة ثانية.[32] حيث يقول: ''نعم، لا يمكن دخول الجنة من دون ايمان، بينما يدخلها الكثيرون جداً دون تصوف. فالإنسان لا يمكن ان يعيش دون خبز، بينما يمكنه العيش دون فاكهة. فالتصوف فاكهة والحقائق الاسلامية خبز''.[33]

لقد استطاع النورسي بحنكته وحكمته التي وهبها الله له بلوغ مستوى عال من العلم والمعرفة خلال مدة وجيزة من عمره المبارك، فرغم أنه بدأ بدراسة العلوم الشرعية عند كبار علماء الصوفية وتتلمذ على أيديهم وقرأ كثيرا من مؤلفاتهم، إلا أن كثرة اطلاعاته وسعة آفاقه المعرفية جعلته يكتشف مسلكا معرفيا جديدا يسير عليه وحوّلته إلى ما سمّى به نفسه ''سعيد الجديد'' وسار عليه مع التوفيق بينه وبين المسلك القديم الذي تتلمذ عليه عند علماء الصوفيه والذي سمى فيه نفسه بـ''سعيد القديم''، ولم ينتج بهذا المسلك طريقة صوفية جديدة وإنما صار بما سلكه من منهج قرآني شأنا آخر، وقد انطلق العمل الإيجابي عنده من هذا المنهج الذي يرفض الاستهانة بالمسلك الذي تربى عليه ويكن له احتراما وتقديرا بالغا،[34] حيث نجده يقول: ''إن غاية ''الطريقة'' وهدفها هو معرفة الحقائق الايمانية والقرآنية، ونيلها عبر السير والسلوك الروحاني في

ظل المعراج الاحمدي وتحت رايته، بخطوات القلب وصولا إلى حالة وجدانية وذوقية بما يشبه الشهود. فالطريقة والتصوف سر إنساني رفيع وكمال بشري سام''.[35]

ومع أنه لم يسجل قطيعة معرفية مع الفكر الصوفي إلا أن ملاحظاته على بعض المفاهيم والمعتقدات الصوفية بالغة الدقة والقوة، ولم يكن انتقاداته لهم نقداً هداماً نابعاً من الغضب والكراهية، بل كان هدفه النقد البنّاء واقناع المخالفين له بنصائحه، لهذا تبنى أسلوب الدفاع دون الهجوم مع الذين اعترضوا على آرائه ومواقفه من علماء الدين وشيوخ المتصوفة، حيث ركز على تبيان صوابية وجهة نظر رسائل النور، بل ويستقطب عاطفتهم ويهدئ غضبهم حين يذكر معترضيه بأنهم أصحاب الحق،[36] فيرشد طلاب النور قائلا: ''على طلبة النور حسب الأسس المذكورة: ألاّ يواجهوا المعارضين بالحدة والتهور، ولا يقابلوهم بالمثل. بل عليهم أن يكتفوا بالدفاع عن أنفسهم فحسب، مع إظهار روح المصالحة، والإجابة بوضوح عن نقاط الاعتراض، حيث إن الأنانية في عصرنا هذا قد تطاولت واشرأبت بعنقها حتى أصبح كل شخص لا يريد أن يذيب أنانيته -التي هي كقطعة ثلج بطول قامته- ولا يرغب في تغييرها بل يسوّغ لنفسه ويراها معذورة دائماً. وها هنا ينشأ النزاع والخصومة ويكون موضع استفادة أهل الباطل والضلال على حساب أصحاب الحق واهله''.[37]

ولعل من ألطف الثمرات التي قدمتها مدرسة رسائل النور أنها وحدت بين وجهات النظر المختلفة لأصول الدراسة والتفكير بين المدرستين العقلية ''الفقهية'' والقلبية ''الصوفية'' وأزالت ما بينهما من المناقشات والخلافات الظاهرة التي أعاقت التقدم والمضي في تبليغ الإسلام، فوق سعيها الحثيث في تمكين الوحدة بين صفوف أهل الإيمان، حيث إنها تقنع عقول أهل هذا العصر حتى تحقق لدى أصحاب العقول النيرة: أن ما أنتجه هذا العصر من التفرقة لا تلم شملها إلا رسائل النور.[38]

حاول النورسي جاهدا توعية المسلمين وإفهامهم أنه شخصيا ليس مرجعا لهم كمراجع بعض الطرق والمذاهب، بل أكد على أن المرجع الوحيد لفكره ومدرسته في حياته وبعد وفاته هي فقط رسائل النور، حيث كان يقول: ''إن قراءة رسائل النور أفضل مائة مرة من الحديث معي''.[39]

ويرى الباحث أنه ''رحمه الله'' بعد وفاته شاء الله له أن لا يعرف أحدٌ قبره –مع أن نقل قبره من مثواه الأخير ''أورفة'' و إخفائه كان بأمر من السلطات التركية آنذاك وأمراً سياسياً مقصوداً- لكي لا يكون مزاراً للناس وينشغلوا به بدل الانشغال بما تركه من بعده من ثروة علمية وآثار تربوية، وكأنه تحقيقٌ لما يفهم من مضامين رسائله ونصائحه

لطلابه ولمن يقرأون رسائله من بعده: ''لا تنظروا إليّ ولا تعجبوا بي، بل انظروا إلى ما كتبت واعملوا به''.

ويوظِّف النورسي التفكر كوسيلة تربوية وغاية تعبدية ويقدمه بديلا قرآنيا عن الأوراد الصوفية رغبة منه في الاستجابة لتحديات العصر الجديدة،[40] قائلا: ''للوصول إلى الله سبحانه وتعإلى طرائق كثيرة، وسبل عديدة. ومورد جميع الطرق الحقة ومنهل السبل الصائبة هو القرآن الكريم. إلا أن بعض هذه الطرق أقرب من بعض وأسلم وأعم. وقد استفدت من فيض القرآن الكريم بالرغم من فهمي القاصر طريقاً قصيراً وسبيلاً سوياً هو: طريق العجز، الفقر، الشفقة، التفكر. (...) والتفكر ايضاً كالعشق الا أنه أغنى منه وأسطع نوراً وأرحب سبيلاً، إذ هو يوصل السالك إلى اسم الله ''الحكيم''. وهذا الطريق يختلف عما سلكه أهل السلوك في طرق الخفاء -ذات الخطوات العشر كاللطائف العشر- وفي طرق الجهر -ذات الخطوات السبع حسب النفوس السبعة- فهذا الطريق عبارة عن أربع خطوات فحسب، وهو حقيقة شرعية اكثر مما هو طريقة صوفية''.[41]

وبهذا يصبح التفكر التعبدي في فكر النورسي إحدى الأساسيات في نشر الوعي الديني لدى المسلمين ويعده ضرورة من الضروريات للنهوض بالأمة الإسلامية، إذ يبدأ بالحديث عن التفكر من أصغر نقطة مثلا -عندما يأكل الإنسان، عليه التفكر بمصادر الطعام ليكون عبدا شاكرا لأنعم الله- إلى أكبر نقطة وهي التفكر في خلق الله ليكون عبدا موحدا، ومفتاح التفكر عنده هو ''بسم الله''، فيسأل قائلا: ''إننا نبدي احتراماً وتوقيراً لمن يكون سبباً لنعمة علينا، فيا ترى ماذا يطلب منا ربُّنا الله صاحب تلك النعم كلها ومالكها الحقيقي؟ الجواب: أن ذلك المنعم الحقيقي يطلب منا ثلاثة أمور ثمناً لتلك النعم الغالية: الأول: الذكر... الثاني: الشكر... الثالث: الفكر.. فـ ''بسم الله'' بدءاً هي ذكرٌ، و ''الحمد لله'' ختاماً هي شكرٌ، وما يتوسطهما هو ''فكر'' أي التأمل في هذه النعم البديعة، والإدراك بأنها معجزة قدرة الأحد الصمد وهدايا رحمته الواسعة... فهذا التأمل هو الفكر''.[42]

نعم قد بين القرآن الكريم أهمية التفكر وحث العباد بشكل عام على إعمال العقل دائما والتفكر في أمور الدنيا والآخرة والتدبر فيها من خلال ملكة العقل التي وهبهم الله، لهذا قال النورسي: (وقد استفدت من فيض القرآن الكريم)، وكثرة آيات القرآن على الأمر بالتفكر والتعقل شاهد على أهمية التفكر في الشريعة الإسلامية، قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾،البقرة:٧٣ وقال: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الآيَاتِ

لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾البقرة:٢٦٦ وقال: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ. الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾،آل عمران:١٩٠-١٩١ ''ثم إن أوائل أكثر الآيات القرآنية وخواتمها، تحيل الإنسان إلى العقل قائلة: راجع عقلك وفكرك ايها الإنسان وشاورهما، حتى يتبين لك صدق هذه الحقيقة. فانظروا مثلاً إلى قوله تعالى: 'فاعلموا.. فاعلم... أفلا يعقلون... أفلم ينظروا... أفلا يتذكرون.. أفلا يتدبرون... فاعتبروا يا أولى الأبصار...' وأمثالها من الآيات التي تخاطب العقل البشري. فهي تسأل: لِمَ تتركون العلم وتختارون طريق الجهل؟ لِمَ تعصُبون عيونَكم وتتعامَوْن عن رؤية الحق؟ ما الذي حملكم على الجنون وانتم عقلاء؟ أي شئ منعكم من التفكر والتدبّر في احداث الحياة، فلا تعتبرون ولاتهتدون إلى الطريق المستقيم؟ لماذا لا تتأملون ولا تحكّمون عقولكم لئلا تضلوا؟''.[43]

المطلب الرابع: تصحيح الأفكار والرد على الشبهات

لقد وجد بديع الزمان نفسه في عصر كثرت فيه الأمراض الفكرية التي كانت تعاني منها الأمة الإسلامية، وخاصة الشبهات والأفكار المنحرفة عند العامّة، ففي هذا الوقت الذي إشتدت فيه خطر الشبهات والانحرافات، كان المسلمون منشغلون بالخلافات المذهبية والعقدية التي تعمقت وانتشرت في كافة المجالات والعلوم من الخلاف على أكبر مسألة عقدية إلى أبسط مسألة لغوية ونحوية.

أعطى النورسي الأولوية -كطبيب لمعالجة تلك الأمراض- لمواجهة تلك الأفكار، وحرص على تطهير عقيدة التوحيد لدى الناس من الشبهات والأوهام وترسيخ ثوابت التوحيد الحقة من خلال طرح أفكار جديدة وعصرية موافقة للقرآن والسنة، وعدم الانشغال بالخلافات الموجودة التي ترجع جذورها إلى عصر الصحابة وما بعدهم، وتحقق لديه أن الانشغال بتجديد تلك الخلافات لا توصل إلى نتائج بل تؤدي إلى تأخر الأمة الإسلامية في جميع نواحي الحياة أكثر فأكثر.

وفي جانب آخر يذهب بديع الزمان إلى أن الاتجاهات الموجودة في الفكر الإسلامي لا توصل إلى الحقيقة والهدف المنشود، لهذا التزم مسلك القرآن الكريم لحل الخلافات وتصحيح الانحرافات الفكرية والوصول إلى ''التوحيد الحقيقي''، إذ أن هذا المسلك يعرض الكون المنظور للعين والعقل والقلب، وتدل العبد وتقوده إلى المعرفة الإلهية، ويرى النورسي أن ما سوى هذا المنهج غير مصون من الشبهات

والأوهام، وربما يوقع صاحبه في الضلالات،[44] قال رحمه الله: ''إن أصول العروج إلى عرش الكمالات وهو معرفة الله جلّ جلاله أربعة: اوله: منهاج علماء الصوفية، المؤسس على تزكية النفس والسلوك الاشراقي. ثانيه: طريق علماء الكلام المبني على الحدوث والإمكان. ثالثه: مسلك الفلاسفة. هذه الثلاثة ليست مصونة من الشبهات والأوهام. رابعه: المعراج القرآني الذي يعلنه ببلاغته المعجزة، فلا يوازيه طريق في الاستقامة والشمول، فهو أقصر طريق وأوضحه وأقربه إلى الله وأشمله لبني الإنسان''.[45]

وعندما يبدأ بديع الزمان بتصحيح بعض المعتقدات، فإنه يتبنى منهجا يمكن تسميته بـ''التصحيح الإيجابي للمعتقد الخاطئ''، لأنه يتبع فيه الأسلوب القرآني في عرض الحقيقة، ولا يلجأ إلى استخدام أساليب التجريح والسب والشتم والإهانة والتقليل من شأن المخالف، لما فيها من آثار سلبية وإصرار صاحب الاعتقاد الخاطئ على معتقده واستمرار المعاند على عناده، بل يوجه الانتقادات إلى تلك الأفكار ويبطلها دون إشعار أصحابها بالإهانة والتقليل من شأنهم، فمثلا في مقابل القائلين بوحدة الوجود ووحدة الشهود، يقول: ''إن أهل 'وحدة الوجود' توهموا الكائنات عدماً، فقالوا: 'لا موجود إلا هو' لأجل الوصول إلى الاطمئنان والحضور القلبي. وكذا أهل 'وحدة الشهود' حيث سجنوا الكائنات في سجن النسيان فقالوا: 'لا مشهود إلا هو' للوصول إلى الاطمئنان القلبي''،[46] ويطرح هذا البديل الذي لا يمكن لأحد رده أو إنكاره تحت أية حجة أو ذريعة، لأنه يتبع طريق القرآن لمعرفة الخالق، و(إن هذا الطريق أسلم من غيره، لأن ليس للنفس فيه شطحات أو ادعاءات فوق طاقتها، إذ المرء لا يجد في نفسه غير العجز والفقر والتقصير كي يتجاوز حده. ثم إن هذا الطريق طريق عام وجادة كبرى، لانه لا يضطر إلى إعدام الكائنات ولا إلى سجنها''.[47]

لقد سار النورسي على درب القرآن أيضاً في الرد على الشبهات، حيث أثبت قصدية الكون ورفض قبول كلية الكون للانقسام، فهو ''رحمه الله'' أدرك بتفكيره العميق ما لهذه الكائنات من دلالات ربانية وما لرموزها من معان خطابية، فرفض أن يكون هذا النظام الدقيق والمتشابك، مجرد صدفة عمياء، أما رفضه لقبول كلية الكون للانقسام فجاء من قناعته بعدم قبول المصدرية المتعددة، إذ حقيقة الانقسام عنده هي بمعنى تدخل الأيدي المتعددة في الخلق، فيرجع كل مخلوق إلى خالقه المفترض، فيكون لكل خلق طابع مختلف ومتناقض للآخر بدلالته على خالق آخر، وهذا انقسام في الكون، إلا أنه عُلم أن الخالق واحد من وحدة المخلوقات المنتظمة في ناموس كلي واحد، إذ أن ''الأحدية'' في تجلياتها الكونية دليل قاطع على ''الواحدية''.[48]

وقد عرف بديع الزمان أن هداية الناس وإرشادهم نحو القيام بدور إيجابي تكمن في تخليصهم من الشبهات والأوهام والانحرافات الفكرية، فمعروف أن النفس البشرية لا يمكن أن يردعها رادع عن إتيان الشر سوى الترهيب بعواقب فعلته، كما لا يمكن أن يحثها شيئ على فعل الخير سوى الترغيب في نتائج وجزاء عمله، ولا سبيل يبلغ بالإنسان إلى هذ المقصد سوى اعتقاده بوجود خالق واحد للكون.

المبحث الثاني: أولويات الإصلاح الإجتماعي عند النورسي

إن الحديث عن الإصلاح الإجتماعي لدى النورسي واختصاره في إطار بحث صغير يعد أمراً صعباً إلى حد كبير، إذا أردنا أن نعطي المسألة حقها ولا ننقص منها، نظراً لسعة المسألة وديمومتها في حياة النورسي العملية والفكرية –مؤلفاته–، إذ أن كثرة مواقفه العملية الإيجابية في سيرة حياته المباركة، إضافة إلى سعة أفكاره ونظرياته البناءة في رسائله، تجعل من انتقاء بعض المواقف والأفكار منها وجمعها في صفحات معدودة محتاجة إلى تعمق واسع وجهد كبير، إلا أن محاولة تحديد بعض المواقف والأفكار وحصرها على الجانب الاجتماعي يمكن أن يسهل الأمر (بعض الشيء) على باحث مبتدئ قليل الخبرة في رسائل النور.

وجدير بالذكر أن جميع ما اهتم به الأستاذ من أمور اجتماعية مضاءة بنور القرآن الكريم ونابعة من فيضها أو معطرة من عطر السنة النبوية الشريفة، وليس من قبيل المبالغة إذا قلنا أنه ''رحمه الله'' ضحّى بعمره المبارك وبجميع ملذات حياته من أجل تحقيق هذه المقاصد الجليلة، وعمل جاهداً ''قولاً وفعلاً'' من أجل صلاح المجتمع وفوز أفراده بسعادة الدارين.

وللحديث عن أولويات الإصلاح الاجتماعي عند النورسي، رأى الباحث تقسيم المبحث إلى ثلاثة مطالب كالآتي:

المطلب الأول: إحياء الروح المعنوية لدى الفرد والمجتمع

أعطى بديع الزمان الأولوية لتربية أفراد المجتمع على حب الله ورسوله وجعل من هذه النقطة منطلقا لإصلاح علاقة الناس بربهم لأن بها يتعلم الفرد أن يفكر إيجابيا وهذا التفكير الإيجابي يرجع عليه دائما بالطمأنينة في النفس والراحة في الحياة ويطور فيه الروح المعنوية التي هي أساس كل عمل صالح، ويبعده عن الشعور باليأس والإحباط الذين هما دائما أساس كل شر.

وقد وجد بديع الزمان هذه الحكمة من نور قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، آل عمران:٣١ ''في هذه الآية

الكريمة ايجاز معجز، حيث إن معاني كثيرة قد اندرجت في هذه الجمل الثلاث: تقول الآية الكريمة: ان كنتم تؤمنون بالله، فانكم تحبونه، فما دمتم تحبونه فستعملون وفق ما يحبه، وما ذاك إلا تشبهكم بمن يحبه.. وتشبهكم بمحبوبه ليس الا في اتباعه، فمتى ما اتبعتموه يحبكم الله، ومن المعلوم انكم تحبون الله كي يحبكم الله. (...) لذا يصح القول: ان أسمى مقصد للانسان واعلاه هو ان يكون اهلا لمحبة الله.. فنص هذه الاية يبين لنا ان طريق ذلك المقصد الاسنى انما هو في اتباع حبيب الله والاقتداء بسنته المطهرة''.[49]

ومسألة حب الله ورسوله مرتبطة بالإيمان والإسلام، فلا يحبهما من لم يسلم ولم يؤمن بوحدانية الله وبجميع رسله، ولا يقدم على فعل الفضائل بل لا يؤمن بما هو مقدس أصلا في الحياة الاجتماعية من ليس له إيمان، لهذا فإن المسلم المحب المطيع لله ورسوله عنده خشية المراقبة والمحاسبة والمحاكمة، يقوم بأداء واجباته تجاه نفسه ومجتمعه وبيئته ولا يعتدي على حقوق غيره، لأنه يدرك أن ما أتيح له من إمكانيات وكلف بها من مسؤوليات فهي مقابل استخلافه في الأرض، وهذا الشعور يردعه عن الأمور السلبية ويدفعه نحو القيام بفضائل الأعمال، وفي أضعف الحالات فإنه إن لم يبادر إلى فعل الخير فإنه لا يُقْدم على فعل الشر، إذن فعدم فعل الخير أمر سلبي، وعدم فعل الشر أمر إيجابي، والمعلوم أن الإيجابية أحسن من السلبية، لهذا فإن المسلم في نظر النورسي ليس خيرا لنفسه فقط بل هو نعمة وخير لمجتمعه وأولياء أموره، لأنه بهذه الصفات يكون سهل الإدارة والتنظيم ولا يكون عبئاً على غيره: ''ان الاسلام لايقاس بغيره من الاديان، لان المسلم اذا انخلع عن الاسلام فلا يؤمن بعدُ بأيّ نبي آخر، بل لا يقرّ بوجوده تعالى، بل لايعتقد بشئ مقدسٍ اصلاً، ولا يجد في وجدانه موضعاً ليكون مبعث الفضائل. اذ يتفسخ وجدانه كلياً. (...) فاي مصلحة ياترى يجنيها اهل البدعة -هؤلاء، بل الاصوب اهل الالحاد- في الخروج على الدين؟ فان كانوا يرومون منه أمن البلاد واستتباب النظام فيها، فان ادارة عشرة من الملحدين السفلة الذين لايؤمنون بالله، ودفع شرورهم أصعب بكثير من ادارة ألف من المؤمنين. وان كانوا يرغبون في الرقي الحضاري، فان امثال هؤلاء الملحدين مثلما يضرون بادارة الدولة فهم يعيقون التقدم ايضاً؛ اذ يخلّون بالامن والنظام، وهما اساسا الرقي والتجارة. وفي الحقيقة هم مخرّبون بمقتضى مسلكهم. وان أحمق الحمقى في الدنيا هو من ينتظر من امثال هؤلاء الملحدين السفهاء الرقي وسعادة الحياة''.[50]

إذن فإن مسألة إصلاح علاقة الناس بربهم مسألة عبودية، ومسألة حب الله ورسوله مسألة انتساب، فيعز العبد بالانتساب إليه تعالى ويتخلق في الأرض بأخلاق الصلاح،

حيث يعبد ربه بمعاملة الناس والسعي في حوائجهم صلاحا وإصلاحا، وهذه التربية القرآنية تنعدم معانيها في غير مجتمع العابدين، ولا يمكن تصورها في التربية الفلسفية، لأن الاحتكام إلى العقل الفلسفي لا يورث إلزاما ولا التزاما، مادام القلب لا يستجيب بشكل وجداني لعاطفة المحبة، التي هي سر التحولات الخلقية في الإنسان، تماماً مثلما تحولت قبائل العرب من بداوتها المتوحشة إلى أستاذية عالمية في درس الأخلاق، والتربية القرآنية تجعل من المجتمع الإسلامي مجتمعا سهل الانقياد، وسهل الإدارة لما له من قابلية تعبدية، ولما له من رغبة في التقرب إلى الله، بالانضباط الخلقي والالتزام التلقائي لحدود الله،[51] وبهذا المنطق تحدث بديع الزمان قائلا: ''كان الانسان في السابق يتحرك في ميدان محدود وضيق جداً، رغم إستعداداته غير المتناهية، حتى انه كان يعيش عيش حيوان مع كونه إنساناً. لذا تدنت افكاره وضاقت اخلاقه بنسبة محدودية تلك الدائرة. فإذا ما عاشت الآن هذه الحرية الشرعية العادلة ولم تفسد، فستكسر اغلال فكر الانسان، وتحطم الموانع الموضوعة امام استعداده للرقي، فتوسع ميدان حركته سعة الدنيا كلها. حتى ان قروياً مثلي يستطيع ان ينظر الى ادارة الدولة التي هي في اوج العلا كالثريا، ويربط نوى الاماني والاستعدادات هناك. وحيث ان كل فعل وطور يصدر يلقى صداه هناك، لذا ستتعالى همته كالثريا وتتكامل اخلاقه بالدرجة نفسها، وتتوسع افكاره بقدر سعة الممالك العثمانية''.[52]

المطلب الثاني: الجهود المضنية لنشر روح التسامح في مقابل استعمال القوة

إن رسائل النور كتبت في زمن إشتد فيه النكاية بالإسلام والكيد بالمسلمين ومضايقتهم، فإلى جانب نشر الأفكار الهدامة وضرب أسس الإيمان عند المسلمين، زاد عليهم الضغط أضعاف ذلك بمنع الشعائر الإسلامية، والأسلوب الخطابي في رسائل النور يراعي هذا الوضع الحرج بدقة وذكاء فائقين، إذ يهتم بنشر الحقائق والتوعية الإيمانية والرد على الشبهات المثارة، دون إعطاء أية ذريعة للسلطة الحاكمة آنذاك لمنع انتشار الرسائل، على الرغم من تعرضها لخلق مشاكل تكاد لا تحصى، هذا وبالإضافة إلى مئات المحاكمات لصاحب رسائل النور وطلابه وسجنهم ونفيهم المستمر إضافة إلى ذلك إهانتهم ومحاربتهم، إلا أن تلك المحاولات كلها لم تمنع رسائل النور من الانتشار، كما لم توقف مسيرة بديع الزمان الإصلاحية، ولم تقدر على تحويل هذه الحركة الإيجابية إلى جماعة انتقامية تتبنى العنف أو القتل كردّ فعل على ما لاقوه من السلطات الحاكمة من بطش وعذاب، بل كلما زاد الضغط على بديع

الزمان كلما زاد حرصه على تهدئة العواطف والتمسك بحفظ الأمن والسلم الاجتماعي، فهو ''رحمه الله'' تحقق لديه أن حفظ الدين وصلاح العباد مرهون بأمن وبسلامة المجتمع، والعنف لا يثمر شيئاً، بل يفسد ويهلك الحرث والنسل والله سبحانه وتعالى لا يحب الفساد ولا يرضى به، ويقول: ''انه بسبب التعصب العنصري والانانية التي نشأت في هذا العصر العاصف من المدنية الغادرة، والدكتاتورية العسكرية التي اعقبت الحرب العالمية، وما افرزته الضلالة من القسوة وعدم الرحمة، ساد اشد انواع الظلم واشد انواع الاستبداد، بحيث لو قام اهل الحق بالدفاع عن حقوقهم بالقوة لأصاب الكثير من الابرياء والضعفاء اشد الظلم نتيجة الحيدة عن العدل، فيبقى هؤلاء مغلوبين على امرهم يقاسون اشد انواع الظلم. ذلك لان الظالمين الذين تدفعهم النوازع المذكورة آنفاً لايترددون ابداً في مدّ يد الاذى والبطش والظلم بعشرين او ثلاثين من الابرياء ويؤاخذونهم بجريرة او خطأ شخص او شخصين باسباب واهية ومعاذير شتى. فلو قام اهل الحق بضرب ذلك الموضع في سبيل الحق والعدل لأعطوا خسارة بمعدل ثلاثين الى واحد. ولو قاموا باتباع القاعدة الظالمة المتمثلة بالمقابلة بالمثل وبطشوا بعشرين او ثلاثين شخصاً مأخوذين بجريرة واحد او اثنين من الظالمين لاقترفوا -باسم الحق وتحت شعاره- ظلماً عظيماً وشنيعاً''.[53]

نعم إن الإسلام بحاجة إلى بيئة يسودها السلام والوئام ليعلو كلمته، والدعوة الإسلامية بأمس الحاجة إلى مجتمع مسالم ومستقر ليعطي مفعولها وثمارها، لهذا نجد سعي النورسي جاهداً لخلق هذه البيئة، وقد تمكن من تحقيق هذا المقصد، إذ نجح في بناء أجيال من طلابه الذين تربوا على هذا الأساس تربية ثابتة وصحيحة، يقول ''رحمه الله'': (لقد ورد الى القلب: انه حيال اهانتنا والاستخفاف بنا بحجة اخلالنا بالامن العام، (...) في الوقت الذي تنشط الفوضى والارهاب المتستّر بستار الشيوعية للاخلال بالأمن العام، فان طلاب رسائل النور يقفون ذلك الإفساد المرعب، في جميع ارجاء البلاد ويكسرون شوكته بقوة الايمان التحقيقي، ويسعون حثيثاً لإحلال الأمن والنظام مكان الخوف والفوضى. فلم تظهر في العشرين سنة السابقة أية حادثة كانت حول اخلالهم بالأمن، رغم كثرة طلاب النور وانتشارهم في جميع انحاء البلاد، فلم يجد ولم يسجل عليهم أحد من الضباط المسؤولين حدثاً، في عشر ولايات وعبر حوالي اربع محاكم ذات علاقة، بل لقد قال ضباط منصفون لثلاث ولايات: ''ان طلاب النور ضباط معنويون للأمن في البلاد، انهم يساعدوننا في الحفاظ على الامن والنظام لما يجعلون من فكر كل من يقرأ رسائل النور بالايمان التحقيقي حارساً ورقيباً عليه فيسعون بذلك للحفاظ على الأمن العام''.

وسجن ''دنيزلي'' مثال واضح ونموذج جيد لهذا الكلام، فما ان دخل طلاب النور ورسالة ''الثمرة'' التي كتبت للمسجونين حتى تاب اكثر من مائتي سجين وتحلّوا بالطاعة والصلاح، وذلك في غضون ثلاثة أشهر أو تزيد. حتى أن قاتلاً لأكثر من ثلاثة اشخاص كان يتحاشى أن يقتل (بقة الفراش). فلم يعد عضواً لايضر، بل اصبح نافعاً رحيماً للبلاد.[54]

ويلاحظ أن هذه القناعة لم تأت من ضعف وقلة عدد وبأس، بل كانت قاعدة راسخة مستنبطة من نور القرآن الكريم: ''نعم، إن في مسلكنا قوةً، إلّا أننا لم نقم باستعمالها إلّا في تأمين الأمن الداخلي. لذا قمت طوال حياتي بتحقيق الأمن الداخلي اتباعا لدستور الآية الكريمة: ﴿وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾الإسراء:١٥ (أي لا يجوز معاقبة إنسان بجريرة أخيه أو أحبائه). إن هذه القوة لا يمكن استعمالها إلّا ضد الهجمات الخارجية. إن وظيفتنا -وفق دستور الآية الكريمة المذكورة- هي الإعانة على ضمان الأمن الداخلي بكل ما نملك من قوة''.[55]

وقد كان بإمكان بديع الزمان ان ينطلق بثورة إسلامية في عصره وخاصة الأزمنة التي تعرض فيها للظلم والسجن والنفي على يد الحاقدين على الإسلام، حيث إن الإنسان في هذه الأوقات التي يتعرض فيها للظلم والقهر على أتم الاستعداد من الناحية النفسية لتبني مواقف معارضة وثائرة، وكان بإمكانه جمع عدد كبير من المناصرين حوله، وخلق ثورة تضايق السلطة الحاكمة، ولو استشهد آنذاك -على حد هذه الفرضية- كان خيراً له شخصيا أمام الله للفوز بدرجة الشهادة في سبيل الله، من أن يتوفى على فراش المرض، ولكن لِمَ لَمْ يقم بذلك مع أنه كان عالما ومعلما ومناضلا وأعرف منا بأمور الجهاد والشهادة في سبيل الله؟ والجواب من منظور الباحث هو أن الأستاذ لم يكن يفكر في سعادة نفسه دون سواه، بل كانت الأولوية عنده خير وسعادة أبناء مجتمعه البشري كافة والمسلمين خاصة، فهو ''رحمهُ الله'' ضحّى بكل ما يملك من أجل راحة الناس وسعادتهم الدنيوية والأخروية.

المطلب الثالث: تشخيص الأمراض الاجتماعية وتحديد العلاج المناسب لها

لقد وجد بديع الزمان نفسه في عصر ومجتمع عرف عنهما بالتخلف والفقر وانتشار الكثير من الأمراض الاجتماعية التي فتكت ببنيتهما، حيث أبتلي المجتمع بتفشي الأمراض المعنوية بين أفراده كاليأس والكذب ومحبة العداوة والبغضاء والاختلاف، والأنانية، التي تتجلى في اختيار المنافع الشخصية وتفضيلها على المنفعة

العامة، الأمر الذي مهّد لتقوية نفوذ الأعداء وتسرب الأفكار الهدامة داخله إلى عقول أبنائها بيسر وسهولة.[56]

وعرف بديع الزمان بفضل ما أوتي به من علم وحكمة، أن الأعداء متربصة بالمجتمع البشري على الدوام وتريد تحطيمه وتمزيق القيم والروابط الاجتماعية والمثل الأخلاقية فيها من خلال نشر أوبئة وأمراض مختلفة يمكن أن تقلعها من جذورها، فتنبه باكراً إلى تلك الأمراض وسعى جاهدا لإيجاد العلاج الفوري والمناسب لها، فحارب الجهل بكسب العلم أولاً لنفسه وثانياً لنشرها بين أفراد المجتمع، ومع أنه قبل بالفقر لنفسه كابتلاء وامتحان إلا أنه واجهه بعزة النفس وعدم قبول الهدايا والمكافئات أو الزكاة والصدقات مع أنه كان يستحقها دون أدنى شك، كما حارب الفقر في المجتمع بحثّ الناس على التعاون فيما بينهم والتذكير بفضل الصدقة ومساعدة الفقراء والمحتاجين من جانب وتنبيه الحكومة من إعانة المحتاجين كونها المسؤول الأول عنهم وعن توفير العيش المناسب لهم من جانب آخر، كما اهتم ببث روح التسامح في مقابل الحقد وحب الخير للغير في مقابل الأنانية.

وقد ركز هذا الإمام الفاضل جل اهتمامه -بعد كسبه العلوم الشرعية وتعلم العلوم الكونية الرائجة في زمانه- على خدمة مجتمعه بمقاومة الجهل والتخلف وأعطى الأولوية لنشر العلم والمعرفة بين أفراد المجتمع إنطلاقا من أنوار الآيات القرآنية الكثيرة التي تحضّ الناس على التفكير وتؤكد على التعلم، حيث أن أول آية نزلت من القرآن أمر النبي ﷺ بالقراءة والتعلم: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ. اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ. الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ. عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾،[العلق:١-٥] وكم من توكيد وتكرار لقوله تعالى في القرآن الكريم: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾،[البقرة:٢١٩،٢٦٦] وقوله تعالى: ﴿لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾،[الزمر:٤٢/والروم:٢١/والرعد:٣/والجاثية:١٣] وغيرها من الآيات: ﴿تتفكرون وتعقلون ويعقلون...﴾، إذ يفهم من ذلك كله أنه سبحانه وتعالى أوجب التعلم والتفكر على عباده.

لهذا كان بديع الزمان يرى في المعرفة خير الدنيا وسعادة الآخرة، إذا كان مقترنا بالدعاء والعبادة، لأن المعرفة الشاملة قائمة على ما أودع في الإنسان من خصائص شاملة ترفعه إلى أعلى درجات المعرفة والقرب من الخالق عز وجل:[57] ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾[فاطر:٢٨] والتفكير من الأساسيات التي نظر إليه النورسي من حيث كونه أداة فعالة بيد الإنسان ليجد بها نفسه ويعرف من خلالها مكانته الواقعية في الكون، وجعله من الأساليب التربوية لطلابه ودربهم عليه، إذ رأى

فيه فحسب السبيل الوحيد للإنسان ليكتسب به صفة ''الإنسانية الحقة'' التي بها تأهل للاستخلاف في الأرض وبها نال التكريم، ويكتسب هذه الصفة بإنخراطه في وظيفة ''الإنسانية''، ويفقدها بالعصيان والتمرد، وبذلك جعل من التفكير أداة فعالة للإنسان نحو القيام بالعمل الإيجابي.[58]

وقد عانى النورسي كثيرا لأجل تحقيق هذا المقصد العظيم منذ سلطة الخلافة العثمانية حتى توفاه الله ''رحمهُ الله'' كما واجه الاعتقالات والمحاكمات بسبب حرصه الشديد على نشر المعرفة وتثقيف المجتمع، فعندما استطاع مقابلة السلطان عبدالحميد كان طلبه الوحيد تحقيق العدالة والإهتمام بنشر العلم خاصة في موطنه الذي نشأ فيه حيث كان يعاني بلده من مرضين فتاكين ''الجهل والفقر''.[59]

ونظرا لكون ''الرسائل'' السبيل الوحيد الذي وجد فيه بديع الزمان ضالته لنشر المعرفة وتثقيف الناس، فإنه لم يسلم أيضا من الملاحقة والممانعة خاصة بعد سقوط الخلافة العثمانية ووصول كمال أتاتورك إلى السلطة، فقد مُنع بداية اللغة العربية والكتابة بحروفها، وسرعان ما وجد بديع الزمان البديل والحل باستعمال اللغة والحروف المسموحة بها دون توقف ولا تلكؤ، وعندما منع الرسائل من الطباعة والنشر بعد خوض مئات المحاكمات، كذلك كان الحل موجودا لديه ''رحمه الله'' بالطباعة والكتابة يدويا والنشر سريا، إذن فالإيجابية عمّ جميع مناحي حياة هذا العالم وشمل كل توجهاته وأفكاره.[60]

وتبنى بديع الزمان في مدرسته الفكرية والتربوية مبدأ ''المجاهدة'' لإصلاح النفس وهي بمثابة حرب يخوضها الإنسان مع نوازعه الشريرة على المستوى الباطني والنفسي، ويقصد به مواجهة عدوى فساد الأخلاق كالحقد والأنانية وغيرهما، والانخراط في صراع مع الشهوات الحيوانية، التي تثور في نفسه، وتريد أن تنحرف به عن فلكها السيار مستقيما على نظام القرآن الدائر على محورها النموذجي في كمال الأخلاق: الرسول الأعظم سيدنا محمد ﷺ.

حيث قال الأستاذ ''رحمهُ الله'' في بيان ما ينبغي أن تكون عليه (جمعية) تأسست في زمانه وتسمت باسم ''الاتحاد المحمدي'':[61] ''فجمعية مثل هذه.. رئيسها هو فخر العالمين سيدنا الرسول الكريم ﷺ. ومسلكها ومنهجها؛ مجاهدة كل شخص نفسه اي التخلق باخلاق الرسول الكريم ﷺ واحياء السنة النبوية ومحبة الآخرين واسداء النصح لهم''.[62]

فهو ''رحمهُ الله'' لم يحمل الحقد حتى لمن آذوه وسبّبوا له أشدّ المعاناة طوال حياته، وأراد من طلابه أن يكونوا على نفس الطريقة النبوية التي تشفق على الذين لم يهتدوا بهداية الإسلام بدل الحقد والضغينة، بل تجاهد وتدعوا على الدوام من أجل هدايتهم وخلاصهم.

لقد انطلق الأستاذ النورسي في رسم طريق المجاهدة الأخلاقية من مبدأ تفكري استقرائي في تشخيص أصل الأمراض الخلقية كلها، وهو رجوعها جميعا إلى غرق الإنسان في مشاهدة (الأنا) الذاتية التي تسكنه بصورة تعميه عن مشاهدة أي شيء سواها إلا من خلالها، فتنشأ بباطنه رغبة آثمة لتوظيف كل مصالح الإجتماع البشري لصالحه فقط، ولا عليه بعد ذلك أن يهلك الآخرون،[63] قال (رحمه الله): ''لو تأملت في مساوئ جمعية البشر لرأيت: اس اساس جميع اختلالاتها وفسادها، ومنبع كل الاخلاق الرذيلة في الهيئة الاجتماعية، كلمتين فقط: احداهم: إن شبعتُ فلا عليّ ان يموت غيري من الجوع. والثانية: إكتسب انت لآكل أنا، واتعبْ انت لأستريح انا''.[64]

وقد انطلق بديع الزمان إلى علاج هذا الداء الخلقي العضال الذي يمكن اعتباره مصدرا لكثير من الأمراض الخلقية الأخرى ومسببا لها، بتحديد طريق التخلص من سيطرة ''الأنا'' على الإنسان، وترقيته بمدارج الصلاح الخلقي بصورة تحقق له توازنا فطريا وكمالا حقيقيا، وذلك من خلال المعراج القرآني الذي رأى فيه الصيدلية الكبرى الجامعة لأدوية جميع الأمراض والعاهات، قائلا: ''ان الحياة حركة وفعالية، (...) اذا بـ''اليأس'' أول ما يصادفها، (...) فعليكم ان تضربوه بسيف الآية الكريمة: ﴿لاَ تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ﴾الزمر:٥٣ ثم يشن ''حب الظهور وميل التفوق'' هجومه، (...) فعليكم ان تبعثوا اليه حقيقة الآية الكريمة: ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ﴾النساء:١٣٥ ثم يبرز الى الميدان ''الاستعجال'' فيُزلّ قدم الهمة (...) فعليكم ان تحتموا منه بالخندق الأمين للآية الكريمة: ﴿اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا﴾.آل عمران:٢٠٠ ثم يتصدى لها ''الرأي الشخصي'' المستبد والتفكير الانفرادي الذي يبدد اعمال الانسان، رغم انه مكلّف بفطرته رعاية حقوقه ضمن رعايته لحقوق الآخرين.. فعليكم ان تصدوه بالحقيقة الشامخة في الحديث الشريف: ''خير الناس انفعهم للناس''.[65] (...) ثم يلوح العدوّ الغدّار وهو: ''التسويف'' الناجم من العجز وفقدان الثقة بالنفس، (...) فعليكم الاقتداء بسر الآية الكريمة: ﴿وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.آل عمران:١٢٢ على الله لا على غيره. (...) واخيراً يُقبل ''حب الراحة والدعة'' الذي هو أم المصائب ووكر الرذائل فيصفّد الهمة الكريمة بسلاسله واغلاله ويقعدها عن طلب معالي الامور ويقذفها في هاوية السفالة

والذلة.. فعليكم ان تُخرجوا على ذلك السفاح الساحر، البطل المجاهد في الآية الكريمة: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى﴾. النجم:٣٩ 66

ويقول أيضا: (ان اهل الضلالة في هذا العصر قد امتطوا ''أنا'' فهو يجوب بهم في وديان الضلالة. فأهل الحق لايستطيعون خدمة الحق إلاّ بترك ''أنا'' وحتى لو كانوا على حق وصواب في استعمالهم ''أنا'' فعليهم تركه، لئلا يشبهوا أولئك، اذ يكونون موضع ظنهم انهم مثلهم يعبدون النفس. لذا فان عدم ترك ''أنا'' بخس للحق تجاه خدمة الحق. زد على ذلك ان الخدمة القرآنية التي اجتمعنا عليها ترفض ''أنا'' وتطلب ''نحن''، فلا تقولو:أنا! بل قولوا: نحن.

ولاشك انكم قد اقتنعتم ان أخاكم هذا الفقير لم يبرز الى الميدان بـ ''أنا''، ولا يجعلكم خداماً لأنانيته، بل اراكم نفسه خادماً للقرآن لايملك انانية، فليس هو الا قد اتخذ كما بيّنه لكم - مسلك عدم الاعجاب بالنفس وعدم موالاة ''أنا''، فضلاً عن انه قد اثبت لكم بدلائل قاطعة ان الآثار والمؤلفات المعدّة لافادة الناس كافة هي ملك الجميع، اي انها ترشحات من القرآن الكريم لايسع أحد ان يتملكها بأنانيته''.[67]

الخاتمة

في ختام هذا البحث حول فقه الأولويات عند بديع الزمان ومنهجه في الإصلاح الديني والاجتماعي، يمكن استخلاص بعض الاستنتاجات، من أهمها:

١- إن بديع الزمان سعيد النورسي واحد من كبار رواد الصحوة الإسلامية في العالم الإسلامي عامة وفي تركيا خاصة، ويعد مشروعه التجديدي والإصلاحي امتدادًا وتكميلًا لما بدأه غيره ممن سبقوه أو عاصروه من العلماء المجددين الكبار.

٢- مبدأ الأولويات عند النورسي منهج في الدعوة والتبليغ والتربية والإصلاح، واستمد هذا المبدأ من القرآن الكريم والهدي النبوي، وفي ضوئه عامل مع الحوادث والمستجدات ووضع كل شيء في مرتبته بالعدل.

٣- أساس العمل الإصلاحي الناجح عند النورسي يتمثل في عمل العالم بعلمه، وموافقة أقوال الداعية مع أفعاله، وعدم مخالفة المربي لمباديء تربيته.

٤- آمن النورسي بالعمل الإيجابي البناء، وتبناه في مشروعه الإصلاحي، ومن أبرز سمات الإيجابية، المزج بين عقيدة التوحيد والحياة الاجتماعية، أي توظيف الإصلاح الديني كوسيلة للإصلاح الاجتماعي.

٥- فرضت حركة النور نفسها على المجتمع التركي بقوة، كما شمل تأثير أفكارها الكثير من بلدان العالم، بسبب تبني النهج الإصلاحي الشامل والإيجابية في جميع مناحي الحياة.

٦- الهدف الرئيس من مشروع النورسي الإصلاحي إنقاذ الإيمان، وتثقيف الناس بالإسلام الحقيقي والقضاء على الجهل والاستبداد.

* * *

مصادر البحث ومراجعه

رسائل النور

١- الكلمات: بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، شركة rnk للنشر، ط٢، ٢٠١٤.
٢- المكتوبات: بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، شركة rnk للنشر، ط٢، ٢٠١٤.
٣- اللمعات: بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، شركة rnk للنشر، ط٢، ٢٠١٤.
٤- الشعاعات: بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، شركة rnk للنشر، ط٢، ٢٠١٤.
٥- المثنوي العربي النوري: بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، شركة rnk للنشر، ط٢، ٢٠١٤.
٦- صيقل الإسلام: بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، شركة rnk للنشر، ط٢، ٢٠١٤.
٧- ملحق قسطموني: بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، شركة rnk للنشر، ط٢، ٢٠١٤.
٨- السيرة الذاتية: بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، شركة rnk للنشر، ط٢، ٢٠١٤.

المصادر الحديثية واللغوية

١- صحيح البخاري: محمد بن اسماعيل البخاري، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، ط٣.
٢- جامع الترمذي: محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٣- صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط١.
٤- لسان العرب: ابن منظور، تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، د.ت.
٥- النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير، تحقيق: محمود محمد الطناحي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

المراجع الفقهية والفكرية

١- أسلوب الإرشاد في القرآن: نيازي بكي، المؤتمر الدولي الرابع لبديع الزمان سعيد النورسي "نحو فهم عصري للقرآن الكريم –رسائل النور نموذجاً"، ١٩٩٨.
٢- جامع الرسائل: ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، دار المدني للنشر والتوزيع، ط٢، ١٩٨٤.
٣- فقه الأولويات: محمد الوكيلي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط١، ١٩٩٧.
٤- فقه الأولويات: يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٢، ١٩٩٦.
٥- مفاتح النور: فريد الأنصاري، دار النيل، القاهرة، ط١، ٢٠١٠.
٦- نظرة عامة عن حياة بديع الزمان سعيد النورسي: إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر، القاهرة، ط١، ٢٠١٠.

* * *

الهوامش

[1] مدرس بجامعة السليمانية/ كلية العلوم الإسلامية/ قسم الفقه وأصوله.

[2] ينظر: لسان العرب: ابن منظور، تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، د.ت، ج٦، ص٤٩٢١.

[3] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الفرائض، باب ميراث الولد من أبيه وأمه ٦٢٦٦و ٦٧٣٥). صحيح البخاري: محمد بن اسماعيل البخاري، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، ط٣، ج٣، ص١٣٦٢.

[4] ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير، تحقيق: محمود محمد الطناحي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت، ج٥، ص٢٢٩.

[5] في فقه الأولويات: يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٢، ١٩٩٦، ص٩.

[6] ينظر: فقه الأولويات: محمد الوكيلي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط١، ١٩٩٧، ص١٢.

[7] جامع الرسائل: ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، دار المدني للنشر والتوزيع، ط٢، ١٩٨٤، ج٢، ص٣٠٥.

[8] الحديث رواه الترمذي وأبو داود والبيهقي وغيرهم عن أبي الدرداء، وتفصيله: ''مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَبْتَغِي فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضَاءً لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ حَتَّى الْحِيتَانُ فِي الْمَاءِ، وَفَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ''، ينظر: جامع الترمذي: محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ص٩٩٥. رقم الحديث ٢٦٢٥''.

[9] السيرة الذاتية: بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، شركة rnk للنشر، ط٢، ٢٠١٤، ص٣٦٢.

[10] يراجع: نظرة عامة عن حياة بديع الزمان سعيد النورسي: إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر، القاهرة، ط١، ٢٠١٠، ص٣٠-٣١، ٨٩،٩٣،١٠٧.

[11] ينظر: أسلوب الإرشاد في القرآن: نيازي بكي، المؤتمر الدولي الرابع لبديع الزمان سعيد النورسي ''نحو فهم عصري للقرآن الكريم –رسائل النور نموذجاً''، ١٩٩٨، ص١٩٧.

[12] ينظر: أسلوب الإرشاد في القرآن: المرجع السابق، ص٢٠٢.

[13] الكلمات: بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، شركة rnk للنشر، ط٢، ٢٠١٤، ص٢٩٧.

[14] المكتوبات: بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، شركة rnk للنشر، ط٢، ٢٠١٤، ص٩١.

[15] ينظر: نظرة عامة عن حياة بديع الزمان، ص١٢٩.

[16] الملاحق- ملحق قسطموني: بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، شركة rnk للنشر، ط٢، ٢٠١٤، ص٩٩.

[17] نظرة عامة عن حياة بديع الزمان، ص٢١.

[18] مفاتح النور: فريد الأنصاري، دار النيل، القاهرة، ط١، ٢٠١٠، ص٢٧٢.

[19] اللمعات: بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، شركة rnk للنشر، ط٢، ٢٠١٤، ص٣٥٧.

[20] اللمعات: ص٢٥٦.

[21] ينظر: مفاتح النور، ص١٢٠.

[22] الكلمات، ص٤١٦.
[23] المثنوي العربي النوري: بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، شركة rnk للنشر، ط٢، ٢٠١٤، ص٢٧٣.
[24] ينظر: مفاتح النور، ص١١٥-١١٦.
[25] اللمعات، ص١٢.
[26] ينظر: مفاتح النور، ص١٤٢.
[27] صيقل الإسلام: بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، شركة rnk للنشر، ط٢، ٢٠١٤، ص٤٨٨.
[28] ينظر: مفاتح النور، ص٣٢٤.
[29] الكلمات، ص١٤٢.
[30] متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب الإيمان باب (دعاؤكم إيمانكم)، ومسلم في كتاب الإيمان باب (بيان عدد شعب الإيمان)، صحيح البخاري: المصدر السابق، ج١، ص٨. صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط١، ج٢، ص٥.
[31] ينظر: مفاتح النور، ص٤٦-٤٧.
[32] ينظر: مفاتح النور، ص٣١.
[33] المكتوبات، ص٢٧.
[34] يراجع: مفاتح النور، ص٢٧-٢٨.
[35] المكتوبات، ص٥٦٣.
[36] ينظر: نظرة عامة عن حياة بديع الزمان، ص١١٥-١١٦.
[37] الملاحق-ملحق قسطموني، ص١٨٩.
[38] نظرة عامة عن حياة بديع الزمان، ص١٤٠.
[39] سيرة ذاتية، ص٥٢٨.
[40] ينظر: مفاتح النور، ص٥٠.
[41] الكلمات، ص٥٤٩.
[42] الكلمات، ص٨.
[43] صيقل الإسلام، ص٤٦٥.
[44] ينظر: مفاتح النور، ص٦٨.
[45] صيقل الإسلام، ص١١٢-١١٣.
[46] الكلمات، ص٥٥٢.
[47] الكلمات، ص٥٥٢.
[48] ينظر: مفاتح النور، ص١٦٦،١٦٨.
[49] اللمعات، ص٨٢.
[50] المكتوبات، ص٥٥٦-٥٥٧.
[51] ينظر: مفاتح النور، ص٣٢٥.
[52] صيقل الإسلام، ص٤٤٢.
[53] الشعاعات: بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، شركة rnk للنشر، ط٢، ٢٠١٤، ص٣٢٧.
[54] اللمعات، ٣٦٧.
[55] الملاحق، ص٤٠٠-٤٠١.

[56] يراجع: صيقل الإسلام، ص٤٩٢-٤٩٧.
[57] ينظر: مفاتح النور، ص١٣٨-١٣٩.
[58] ينظر: مفاتح النور، ص١٣٧-١٣٨.
[59] يراجع: نظرة عامة عن حياة بديع الزمان، ص٢٠-٢١.
[60] يراجع: نظرة عامة عن حياة بديع الزمان، ص٥٠-٥١.
[61] ينظر: مفاتح النور، ص٣٢٢.
[62] صيقل الإسلام، ص٤١٧.
[63] مفاتح النور، ص٣٢٩.
[64] الكلمات، ص٤٦٩.
[65] حديث حسن أخرجه القضاعي في مسند الشهاب وابن عساكر في تاريخ دمشق، ج٢، ص٤٢٠. (المترجم)
[66] صيقل الإسلام، ص٤٠٦-٤٠٨.
[67] المكتوبات، ص٥٤١.

السنن الإلهية وآثارها الإيجابية في بناء عالم أفضل
دراسة في فكر الإمام بديع الزمان النورسي

The Laws of Divine Practice and Their Positive Effects in Building a Better World: A Study in the Thought of Imam Bediuzzaman Said Nursi

ABSTRACT

Dr. Rashid Kuhus

The series of Risale-i Nur included significant and distinct directives in the awareness of the divine laws and their discovery, utility and application, both at the level of extrapolating history, or interacting with the conditions of Islamic civilization at its different stages, or at the level of human behavior and movement in societ.

But the researcher in the thought of Imam al-Nursi finds that Nursi's efforts in these divine laws and his call to work and deal with them were well. This good approach made him look deeply at the sources of these divine laws: the Holy Quran and the universe to reveal for us the most important laws ruling the universe.

The most important reasons that led me to work on this subject are the following:

– First – the scarcity of studies on the divine laws through Risale-i Nur.

Second, contemporary scholars did not care about Laws consciousness that is present in al-Nursi's thought.

research goals:

This research aims to achieve the following objectives:

– Raising awareness of the importance of divine laws in the advancement of societies.

– Reveal the relationship of the laws of God by commissioning and succession in the land and the establishment of human civilization.

– Reading the messages of light with a social and philosophical logic integrated, to know the divine law dimension.

– Highlight the efforts of Imam al-Nursi in the service of divine laws.

– Contributing to the spreading of intellectual light of Imam al-Nursi and his great reform project, which is reflected in the pages of Risale-i Nur

– draw attention to the importance of the Islamic intellectual project presented by Imam Badia Zaman al-Nursi

Key words: Risale- Nur, Nursi, Positive effects, work.

* * *

الملخص

د. رشيد كُهُوس[1]

إن كليات رسائل النور تضمنت توجيهات معتبرة ومتميزة في الوعي بالسنن الإلهية واكتشافها وتسخيرها والعمل بمقتضاها، سواء على مستوى استقراء التاريخ، أو التفاعل مع أوضاع حضارة المسلمين في مختلف مراحلها، أو على مستوى سلوك الإنسان وحركته في المجتمع.

بل الناظر في حياة الإمام النورسي -رحمه الله- ووجهته الإصلاحية يجد توظيفه لهذه السنن الإلهية، وإحسانه التعامل معها، هذا التعامل جعله يستنطق أهم مصادر هذه السنن ألا وهي: الكتاب المسطور "القرآن الكريم" والكتاب المنظور "الكون"، ليكتشف لنا أهم السنن التي تحكم الوجود كله.

اخترت الكتابة في الموضوع لندرة الدراسات المتعلقة بالسنن الإلهية من خلال رسائل النور. وأن الباحثين المعاصرين لم يلتفتوا إلى الوعي السنني عند بديع الزمان النورسي. وقصدنا من ذلك إبراز أهمية الوعي السنن في النهوض بالمجتمعات، والكشف عن علاقة السنن الإلهية بأمانة التكليف والاستخلاف في الأرض وإقامة العمران البشري، وقراءة رسائل النور بمنطق فلسفي حضاري اجتماعي متكامل، للوقوف على البعد السنني فيها، وإبراز جهود الإمام النورسي في خدمة السنن الإلهية، فضلا عن الوقوف على العقلية الفكرية المتنورة المتعددة المشارب للإمام بديع الزمان من خلال رسائل النور، والإسهام في التعريف بالإشعاع الفكري للإمام النورسي ومشروعه الإصلاحي الكبير الذي يتجلى في صفحات رسائل النور، وأخيرا لفت الأنظار إلى أهمية المشروع الفكري الإسلامي الذي قدمه الإمام بديع الزمان النورسي.

المصطلحات المفتاحية للبحث:

السنن الإلهية، رسائل النور، النورسي، الآثار، الإيجابية، العمل.

* * *

مقدمة

يتراءى لكل من غلب عليه الجهل، وأظلمت نفسه بكره الإسلام، أنّ الجهاد في سبيل الله يحمل معاني القهر والاستبداد وإرغام الآخرين على معتقدات ومبادئ لا يرغبونها، وأنها تقود إلى استرقاق الآخرين وإخضاعهم بالقوة للجزية ومبادئ الإسلام وتعاليمه. وقد أساء هؤلاء إلى الإسلام كثيراً بدافع التشويه والتنفير عن حقائق هذا الدين، وتعاليمه السامية السمحة النبيلة؛ إمعاناً منهم في الصدّ عن سبيل الله تعالى وقد

كثرت دراسات المستشرقين التي تؤصل لذلك في أذهان أبناء الغرب. يضاف اليوم وسائل جديدة في الإساءة كالإعلام والفن والرواية والأدب... كلها وسائل أسهمت وتسهم في تشويه الدين عموماً، والجهاد في سبيل الله خصوصاً.

وهنا ينبري بديع الزمان ليؤكد على الأبعاد الإيجابية للجهاد في سبيل الله تعالى. فيبين أنّ الجهاد في سبيل الله يحمل رسالة الإيمان والعدل والحرية، وأنّ هدف الجهاد في سبيل الله إزالة العوائق التي تحول بين الإنسان وبين الوصول إلى الإيمان، وتذليل كل الطرق التي توصل إليه!

غير أنّ الجهاد في سبيل الله -في فكر بديع الزمان- لا يقتصر على المعنى الذي هو قتال أعداء الله والدفاع عن بيضة الإسلام بالسيف والرمح والسنان، بل يشمل كذلك كل ما من شأنه أن ينقذ إيمان العوام من دعوة وبيان ووعظ وتوجيه وإرشاد. والمعنى الأكبر فيه هو سلوك طريقة التذلل والخضوع والخشوع لله ربّ العالمين.

إنّه في الوقت الذي تتوجه فيه جوقة الإعلام للنيل من هذا المبدأ العظيم في الإسلام، ووصف الإسلام بالإرهاب والظلم والعدوان تتبدّى المعاني التي ذكرها النورسي رحمه الله تعالى لتكون نبراسا يردّ كيد الكائدين، وطعن الطاعنين، وإفك المفترين، ولا غرابة في ذلك فقد كان رحمه الله ينظر إلى المستقبل بأفق واسع، ونظر ثاقب، وبصيرة نقادّة يهديه إيمانه بالله ويقينه به إلى أنّ الجهاد سبب عزة ومنعة للأمة في ماضيها وحاضرها ومستقبلها، وما ترك قوم الجهاد في سبيل الله تعالى إلا كتب عليهم الذلة والصغار، والذل والعار.

وسيقع هذا البحث في مقدمة ومبحثين وخاتمة

المقدمة: فكرة الموضوع وأهميته.

المبحث الأول: في الجهاد المادي.

المبحث الثاني: في الجهاد المعنوي.

الخاتمة وتشمل أهم النتائج.

المبحث الأول: في الجهاد المادي

١. بيان صورة الجهاد المشرقة

إنّ صورة الجهاد ينبغي أن تكون مشرقة وضاءة، لا ينبغي أن يلوث حقائقه أحد؛ لأنه لا يبتغي منفعة مادية عاجلة، ولا مصلحة دنيوية آجلة، بل يبتغي هداية الإنسان الذي ينبغي أن يخط طريقه في الحياة على هدى ونور.

وقد أرّقت الإساءة إلى هذه الصورة الناصعة للجهاد أستاذنا بديع الزمان رحمه الله، فنعى مفاهيم أهل الزمان الذين قلبوا المعاني، وتلاعبوا في الألفاظ حين أطلقوا على الجهاد اسم: ''البغي'' وعلى الأسر اسم ''الحرية''.[2] هذا القلب لحقائق المعاني، إنما يهدف إلى النيل من رسالة الجهاد المشرقة، وما وصل إلى هذا الحدّ إلا بسبب توغل الثقافة الغربية في نفوس أبناء المسلمين وتغلغلها في قلوبهم.

يوضّح النورسي رحمه الله أنّ الجهاد ليس تسلطاً ولا جبروتاً، ولا استبداداً، كما هي معارك الغرب والشرق وحروبهما والآثار المأساوية المترتبة على هذه الحروب، وما تجرّه من ويلات على الخلق والبلاد، إنها حروب تهلك الحرث والنسل، وتفسد الأخضر واليابس، ففي عرض مقارنته بين الدولة الإسلامية -التي تحمل لواء الجهاد بصورته المشرقة- وغيرها أنّ التيار الاستبدادي الاستعماري في الدول الأخرى تيار ظالم ومناف لطبيعة العالم الإسلامي، ومباين لمصالح الأكثرية المطلقة من أهل الإيمان، فضلاً عن أنّ عمره قصير، ومعرّض للتمزّق والتلاشي، ولو كنا نشبه ذلك التيار لخرجنا عن الطبيعة الفطرية للعالم الإسلامي ولسقناه إلى ما ينافي طبيعته. فالمدنية الحديثة لم نر منها غير الضرر فقد طغت سيئاتها على حسناتها. والإنسان بصحوته ويقظته ومصلحته سيقضي عليها (سيئاتها).[3] هذا الاعتراف من النورسي بحسنات المدنية الغربية الحديثة لا أننا لو سلكنا مسلكهم لتمزقت دولة الإسلام ولم يبق له أثر!

ويرى أن الدولة لا تعني غضّ الطرف وقطع النظر عن رؤية الأخطار الهائلة المحدقة بالأمم والمجتمعات، وهي ما تسبّبت به هذه المدنية!! وهذا من إنصاف النورسي وتفكيره العقلاني في التعامل مع كل ما حوله.

ومعنى هذا الكلام أنّ مسار الجهاد في الإسلام ليس مساراً عدائياً أو استبدادياً ظالماً يهدف إلى جني المصلحة والمنفعة، أو يهدف إلى السيطرة على العالم وإذلال الخلق كما هي طبيعة حروب العصر التي لا ترعى في مؤمن إلاّ ولا ذمّة. وهنا يشير النورسي إلى صفة في الأمة المسلمة تلك الصفة الفطرية التي تحترم إنسانية الإنسان وكرامة الإنسان، وتتقيد بقيود الشريعة الفطرية! فإذلال الخلق وقهرهم مرفوض فطرة، وسفك الدماء مرفوض فطرة... فالجهاد محكوم بأساسيات الفطرة وأنوار الشريعة الغراء.

٢. الغايات المثالية للجهاد

من واقع التفكير الهادئ العميق يوجز النورسي رحمه الله غايات الجهاد على صورة لم يسبق إليها توضيحاً وبياناً وتأصيلاً، فيبين أنّ دولة الإسلام أخذت على عاتقها القيام بفريضة الجهاد فرضاً كفائياً، للأسباب الآتية:[4]

- إعلاء كلمة الله تعالى.

- الحفاظ على استمرار حرية العالم الإسلامي الذي يعدّ كالجسد الواحد.

- أنّ الجهاد باعث روح الأخوة الإسلامية بين المسلمين. فحين يتألم المجاهدون في مكان يتألم معه العالم الإسلامي كله.

والإضافة النوعية في هذا البيان ما ورد في الفقرتين الثانية والثالثة من غايات عظيمة، فالحفاظ على حرية العالم الإسلامي مقصد من مقاصد الجهاد في سبيل الله، إنّ مقصد الحرية هو أحد المقاصد القرآنية الأربعة التي تقررت في فكر النورسي رحمه الله. والجهاد يضمن بقاء هذه الحرية واستمراريتها، ويصون قرار الأمة السياسي والاقتصادي والاجتماعي عن التأثر بهوى الأمم الأخرى والتبعية لها، كحال الأمة اليوم حيث لا تملك أياً من قراراتها السيادية أو المصيرية، وإنما هي خاضعة لتأثير قوى الشرق والغرب عليها.

أما الفقرة الثالثة التي يرى فيها أنّ الجهاد في سبيل الله هو باعث روح الأخوة الإسلامية ومحرّكها، فتشعر الأمة كأنّها كالجسد الواحد، وبذلك تزول ما يسمى بالحدود المصطنعة التي صنعها الغرب ومزق بها هذا الجسد الكبير للأمة الإسلامية. لا كما يشهد الواقع المعاصر من مآسي تحدث في بلد لا يحسّ ولا يتألم بسببها المسلم في البلد المجاور! إن هذه الوحدة الشعورية بين أفراد الأمة تجعلها وحدة واحدة بقطع النظر عن ألوانهم وأجناسهم ولغاتهم... فلو عطس ابن المشرق لقال له ابن المغرب: يرحمك الله! فالجهاد في سبيل الله يمثل الصورة العملية الواقع لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ الحجرات:١٠ ولقوله ﷺ: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمّى".[5]

فالآثار الإيجابية المترتبة على الجهاد في سبيل الله تعود وتنعكس على حرية الأمة ووحدتها الاستراتيجية، فتحفظ كرامتها وسيادتها وهيبتها بين الأمم.

٣. التحذير من مخاطر ترك الجهاد

تضافرت نصوص الكتاب والسنة في الحث على الجهاد في سبيل الله، والتحذير من التواني والتباطؤ في النهوض به، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.[التوبة:٢٤]

ويقول النبي ﷺ: (لَئِنْ تَرَكْتُمْ الْجِهَادَ وَأَخَذْتُمْ بِأَذْنَابِ الْبَقَرِ وَتَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ لَيُلْزِمَنَّكُمْ اللهُ مَذَلَّةً فِي رِقَابِكُمْ لَا تَنْفَكُّ عَنْكُمْ حَتَّى تَتُوبُوا إِلَى اللهِ وَتَرْجِعُوا عَلَى مَا كُنْتُمْ عَلَيْهِ)[6] والمقصود إن اشتغل المسلم بعرض الدنيا من حرث وزراعة وتجارة وترك الجهاد في سبيل الله فإنّه سيترتب على ذلك ذلّ ومهانة.

تتعالى الأصوات التي تنتقد الجهاد، وتعتبره عبئاً على الأمة، وتحاول أن تسوّق فكرة أنّ الجهاد في الإسلام دفاعي فقط، وأنه ليس إلا دفاعاً عن النفس. وكأن تركه يورث خيراً كثيراً، وينهض النورسي رحمه الله ليرد على مثل هذا الافتراء، فيرى أن ترك الجهاد يحدث شروراً كبيرة دون الحصول على خير يذكر، بينما الجهاد يورث خيراً كثيراً فالإسلام بالجهاد ينجو من سيطرة الكفار.[7] وهي إشارة ذكية نمّت عن عقلية عبقرية، أجل! إن ترك الجهاد سيعرض الإسلام للخطر، والواقع أكبر برهان، وأوضح شاهد على ذلك!

ويلمح النورسي رحمه الله فهماً متداولاً في أرض الواقع من الشبهات، حيث ينسب بعضهم الأفعال ونتائجها إلى الفعل نفسه، فلا يعني هذا أن يعتقد مسلم أن نتائج الخير مترتبة على الجهاد نفسه، بل إنّه يجب عليه أن يفكر في عمله ويدع التفكير فيما يخص فعل الله تعالى وشؤونه سبحانه. فالله أمر بالجهاد ونحن ننفذ إرادة الله تعالى.[8] فإذا أخذ المسلم بالأسباب، وأعدّ ما تتطلبه ضرورة الإعداد والاستعداد، فإنّ تحقيق النتائج موكول إلى الله تعالى لا يخضع لهوى أو رغبة أحد.

٤. الآثار النفسية للجهاد على تركيبة الأفراد

ويبرز النورسي بوصفه عالماً من علماء النفس والاجتماع، فيبين أنّ الجهاد ضرورة لازمة لصقل شخصية المسلم، فلا يمكن أن يكتسب الشجاعة والجسارة فرد ترك الجهاد في سبيل الله، وكما يصدق هذا على الفرد يصدق على الحكومة والدولة، يقول النورسي رحمه الله: إنّ نشوء الحسّيات العالية، ونمو الأخلاق، إنما هو بالمجاهدة، وتكمّل الأشياء إنما هو بمقابلة الأضداد ومزاحمتها، ألا ترى أن حكومة إذا جاهدت

ينمو فيها الجسارة وإذا تركت انطفأت.. تأمل.[9] هذه الجسارة هي هيبة الحكومة وقوتها.

ويؤكد هذا المعنى في ضوء قوله تعالى: ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾البقرة:٢٧ يقول: ''اعلم! أن هذا الأمر عام للأمر التشريعي والأمر التكويني المندمج في القوانين الفطرية والعادات الإلهية، فالقطع لما أمر بوصله شرعاً كقطع صلة الرحم وقطع قلوب المؤمنين بعض عن بعض وعلى هذا القياس.. وتكويناً كقطع العمل عن العلم، وقطع العلم عن الذكاء، وقطع الذكاء عن الاستعداد ، وقطع معرفة الله عن العقل، وقطع السعي عن القوة، وقطع الجهاد عن الجسارة''.[10]

هذا كله يصوّر شخصية سعيد القديم في موقفه من الجهاد، ويبقى صالحاً لما بعد شخصية سعيد الجديد من الناحية الفكرية التنظيرية، وهو فكر متوازن رصين تقررت فيه أبعاد الجهاد بعقلانية وحكمة. أما من الناحية العملية الواقعية فإنّ النورسي رحمه الله يرى أنّ هناك جهاداً أهم تتطلبه الحياة الواقعية! وهو ما سيتم تناوله في المبحث الثاني.

المبحث الثاني: في الجهاد المعنوي

إنّ شخصية سعيد الجديد تمثل الجهاد من النوع الثاني، إنّه الجهاد الذي يحفظ حقائق الإيمان، عملاً بقوله تعالى: ﴿وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾الفرقان:٥٢ فحين رأى نتائج الحرب العالمية الثانية قال: بحلول الحرب العالمية الثانية وخضّها لهم أفرز الذهن المبارك من اللين فتحوّل إلى مخيض لا قيمة له، فعاد سعيد الجديد إلى الاستمرار في جهاده وخالف سعيد القديم.[11] وقد تقررت أبعاد أخرى في فكر النورسي لموضوع الجهاد المعنوي، نوردها في النقاط الآتية:

١. أعلى وسيلة لإعلاء كلمة الله تعالى في زماننا هذا هو الرقي المادي.[12]

يقول رحمه الله: ''إنّ الأجانب يسحقوننا تحت تحكمهم المعنوي بسلاح العلوم والصنائع، ونحن سنجاهد بسلاح العلم والتقنية الجهل والفقر والخلاف الذي هو ألدّ أعداء إعلاء كلمة الله تعالى، أما الجهاد الخارجي فنحيله إلى السيوف الألماسية للبراهين القاطعة للشريعة الغراء؛ لأنّ الغلبة على المدنيين إنّما هي بالإقناع، وليس بالإكراه كما هو شأن الجهلاء الذين لا يفقهون شيئا''.[13]

وهذا الكلام ينطبق على واقع العالم الإسلامي ليس منذ عهد النورسي فحسب، بل ينطبق على واقعنا الحالي، حيث تفشى الجهل والأمية، والتخلّف في العالم الإسلامي،

ولهذا السبب هيمن الغرب والشرق على هذا العالم الممتدّ من طنجة في الغرب إلى الخليج العربي في الشرق، وتفوّق على مليار من المسلمين بفضل العلم، بل وصل الأمر إلى أن يكون لباسهم منه، وطعامهم منه، وسلاحهم منه، ودواؤهم منه... ولا حول لهم ولا قوّة! لقد استطاع النورسي رحمه الله أن يشخص الواقع أبلغ تشخيص، بل شخص العلاج لهذا الداء أبلغ تشخيص أيضاً.

٢. مجاهدة النفس ومغالبتها من الجهاد الأكبر

يؤكد النورسي أنّ أنجع وسائل الجهاد هي الجهاد الأكبر في العالم الأصغر لكل إنسان، يقول: ''إنّ جني فوائد الحرية الحقة، والاستفادة منها استفادة كاملة منوط بالاستمداد من الإيمان؛ ذلك لأنّ من أراد العبودية الخالصة لرب العالمين لا ينبغي له أن يذل نفسه فيكون عبداً للعبيد، وحيث إنّ كل إنسان راع في ملكه وعالمه فهو مكلف بالجهاد الأكبر في عالمه الأصغر ومأمور بالتخلّق بأخلاق النبي ﷺ وإحياء سنته الشريفة.[14] وهو من أعظم الجهاد كذلك. ولعلي بالنورسي رحمه الله يؤكد أن الغرب ما غزانا في عقر دارنا، وما فرض هيمنته علينا إلا بضعف إيماننا، وإهمالنا كتاب ربنا وسنة نبيّنا المصطفى ﷺ. والقلوب الخاوية من الإيمان يسهل استعبادها للهوى، ويسهل امتطاؤها للشهوة. بل سيكون هؤلاء الجسر الذي يعبر عليه أعداء الأمة إلى قلبها، فيعيثون فيه الفساد! وما من صخرة كأداء تحطمت عليه أحلام أعداء الأمة وآمالهم إلا الإيمان واليقين الراسخ بالله تعالى.

٣. أثر رسائل النور في عالم الجهاد الأكبر

لا شك أنّ النورسي رحمه الله قضى دهراً من عمره يبين الإيمان الحق، ويذبّ عن هذا الدين الافتراءات الشبهات التي علقت به من واقع الجهل والتخلف، أو تلك التي قذف بها الشرق والغرب في أذهان المسلمين، فشوشت أفكارهم، بل أخرجت بعضهم إلى عالم الإلحاد والضلال، وإذا انساق خلف هذه الشبهات المثقفون فما بالك بالعوام من الناس!! هذا فضلاً عن انهيار القيم والأخلاق. إنّ دينهم في خطر عظيم! هذا الواقع المرير المؤلم ألهم النورسي بأنّ المعركة الحقيقية هي لا تتمثل في القتال بالسلاح، بل هي في ترسيخ حقائق الإيمان وقواعد الإسلام في نفوس الناس، ولذلك بدأ يكتب رسائله يحاجج بها في كل صعيد، ويبثها في كل ميدان!

يقول مشخصاً واقع العالم الإسلامي: ''إنّ أعظم خطر على المسلمين في هذا الزمان هو فساد القلوب، وتزعزع الإيمان بضلال قادم من الفلسفة والعلوم، وإن

العلاج الوحيد لإصلاح القلب وإنقاذ الإيمان إنّما هو النور، وإراءة النور وليس الجهاد المادي''.[15] أي: من خلال رسائل النور التي هي تفسير للقرآن الكريم.

يقول رحمه الله: ''إن الذي يقابل الدمار الأخلاقي والانحطاط القيمي وتصدّع ركائز الإيمان هو تلك الرسائل النورانية التي أينما حلّت قاومت الدمار، وحالت دون تهدم الأسس الاجتماعية القرآنية... إن الفساد الذي دبّ في العالم اليوم وأحاطه بظلمات الإرهاب والفوضى، وعمت الحياة والأخلاق مظالم شنيعة وإلحاد شنيع، فظهر الفساد في البر والبحر نتيجة زلزال السد القرآني العظيم وهو الشريعة المحمدية الغراء. وإن الجهاد المعنوي لطلاب النور ضد هذا التيار الجارف يعدّ –بإذن الله– جهاداً عظيم الثواب''.[16]

إنّ نشر رسائل النور يعدّ من أنواع العبادات... بل إنه جهاد معنوي تجاه أهل الضلالة ذلك الجهاد الأهم.[17] وكثيراً ما يطلق النورسي على خدمة رسائل النور بالجهاد المعنوي. أو جهادنا المقدس.[18]

ويقول مخاطبا تلاميذه: ''انّ دوام عملكم في سبيل الايمان بوساطة رسائل النور يعني أنّ كل واحد منكم يؤدي عملاً كبيراً في وقت قليل، نظير ما ينجزه البعض في عشر سنوات من أعمال تنجز في مائة سنة... إنها مجاهدة مرهقة''.[19]

إنّه لا ينبغي الاستخفاف بالأخلاق والقيم، ولا ينبغي الاستهتار بالعلاقات الاجتماعية والروابط الأخوية بين المسلمين، فإصلاح هذه الروابط والعلاقات، وإدامة المحبة بين أفراد المجتمع... لمن أهم الواجبات!

يقول: مخاطباً أهل الحق وأهل الشريعة وأهل الحقيقة والطريقة بضرورة العفو والصفح عملا بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾[الفرقان:٧٢] فاعفوا عن هفوات إخوانكم، واصفحوا عن تقصيراتهم، وغضّوا أبصاركم عن عيوب بعضكم، واجعلوا انقاذ أهل الحق من السقوط والذلة من أهم واجباتكم الأخروية وأولاها بالاهتمام وامتثلوا بما تأمركم به مئات الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة من التحابب والتعاون، واستمسكوا بكل مشاعركم بعرى الاتفاق والوفاق مع إخوانكم في الدين، ونهج الحق المبين...[20]

ويحذّر -كل التحذير- من الاستهانة بهذا الجهاد المعنوي فيقول: ''واحذروا دائما من الوقوع في شباك الاختلاف، ولا يقولن أحدكم: سأصرف وقتي الثمين في قراءة الأوراد والأذكار والتأمل، بدلاً من أن أصرفه في مثل هذه الأمور الجزئية'' فينسحب من الميدان ويصبح وسيلة في توهين الاتفاق والاتحاد، وسبباً في إضعاف الجماعة

المسلمة؛ ذلك لأن المسائل التي تظنونها جزئية وبسيطة ربما هي على جانب عظيم من الأهمية من هذا الجهاد المعنوي.[21]

وهكذا... يختار النورسي لكل معركة السلاح الذي يناسبها، فالبندقية والمدفع لا يصلحان حين يتفشى الجهل وتسود الأمية والتخلّف، وتنحدر الأخلاق، وتختلّ القيم والأعراف والموازين الحق.

الخاتمة

نخلص من هذا البحث إلى نتائج عديدة أجملها في النقاط الآتية:

- الجهاد في سبيل نشر حقائق الإيمان وترسيخ قواعد الإسلام لا يقل أهمية عن جهاد أعداء الله بالسلاح، فلكل معركة سلاحها.

- إن نشر العلوم والتمكن منها، وامتلاك القدرة على التصنيع لهو من الجهاد الأعظم الذي نتمكن به من مقارعة أعداء هذا الدين الذين هيمنوا على الأمة المسلمة بالعلم والصناعة. بل إنّها أنجع وسيلة لإعلاء كلمة الله لتكون هي العليا.

- إنّ الجاهزية والاستعداد لمواجهة أعداء الله ضرورة لازمة لنمو الأخلاق الفاضلة من شجاعة وجسارة إن على مستوى الفرد، أو على مستوى الدولة والحكومة.

- إنّ مسار الجهاد في سبيل الله ليس مساراً عدائياً أو استبدادياً ظالماً، بل مسار يعلي كلمة الله، ويحفظ حرية العالم الإسلامي، ويعمق روابط الأخوة الإيمانية بين المسلمين.

- إن توثيق عرى المودة والمحبة، وحفظ روابط الأخوة بين أفراد المجتمع هو من الجهاد الأكبر الذي تدعو إليه رسائل النور بوصفها تبيانا لمعاني القرآن الكريم.

* * *

الهوامش

[1] أستاذ ورئيس فريق البحث في السنن الإلهية بكلية أصول الدين بتطوان جامعة عبد المالك السعدي-المغرب، رئيس تحرير مجلة المدونة الصادرة عن مجمع الفقه الإسلامي بالهند، مدير تحرير مجلة الدراسات الأسرية.

[2] انظر: المكتوبات، ص: ٦٠٤.

[3] انظر: صيقل الإسلام، ص: ٣٥٦-٣٥٧.

[4] النورسي: المكتوبات، ص ٦٠٦. وصيقل الإسلام، ص ٣٥٦-٣٥٧.

[5] رواه الإمام مسلم في الجامع الصحيح، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفه وتعاضدهم، حديث رقم: ٤٦٥٨.

[6] رواه الإمام أحمد في المسند، ح رقم ٤٧٦٥.

[7] انظر: المكتوبات، ص ٥٢. إشارات الإعجاز ص ٣٥.

[8] انظر: اللمعات، ص ١٩٨-١٩٩.

[9] إشارات الإعجاز، ص ٢٠٧.

[10] المصدر السابق نفسه، ص ٢١٢

[11] صيقل الإسلام، ص ٣٨٣.

[12] المصدر السابق نفسه، ص ٥٢٧.

[13] صيقل الإسلام، ص ٥٢٧.

[14] المصدر السابق نفسه، ص ٥٣١.

[15] اللمعات، ص ١٥٨.

[16] الملاحق، ص ١٧٠.

[17] اللمعات، ٢٥٢، والملاحق، ٢٨٨. وانظر: الشعاعات، ص ٣٦٥-٣٦٦.

[18] انظر: الشعاعات، ص ٣٦٧، ٥٢٦.

[19] الشعاعات، ص ٥٢٨.

[20] اللمعات، ص ٢٣٥

[21] المصدر السابق نفسه، ص ٢٣٦.

كليات التفسير الإشاري عند النورسي: الأسس والمقاصد

Nursi's Views on Mystical Exegesis in Its Entirety: Fundamentals and Aims

Abstract

Dr. Idris al-Tarkawi

The research attempts to explore the basics of the principle of the overlap of science and its integration at the time of Badiu'zzaman Al Nursi, and the resulting scientific manifestations and theories of knowledge, the most important of which was the Sufi interpretation theory. The most prominent entrance of this theory; is the search for generics regulating its problematic forms in the nature of its existence Building and research for purposes, on the grounds that the book of ALLAH (holly Quran) and his world are two harmonious sectors in theory's nutrition and supply, by discovering the secrets of things And linking them with patterns and threads that bind them to their creator in terms of instinct, even if the demands and terminology were different in terms of industry. All this without forgetting the linguistic, logical and jurisprudential controls and what they produce of purposeful goals and functional benefits of the theory that increases its affirmation and support the pillars of adopting it. Which in the end helps to find a scientific status to be considered among the other theories of knowledge and the sciences of Islamic law.

Keywords:

Theoretical interpretation, the integration of science, generic, the Holly Quran, Universe.

الملخص

د. إدريس التركاوي[1]

يحاول البحث التنقيب في أساسيات مبدأ تداخل العلوم وتكاملها عند بديع الزمان النورسي، وما ترتب عليها من تجليات علمية ونظريات معرفية كان أهمها نظرية التفسير الصوفي الإشاري. وقد كان أبرز مدخل -في منظور الدراسة- يطل الناظر منه على هذه النظرية؛ هو البحث عن كليات تنظم إشكالها المندرج في ماهية وجودها تأسيسا وتقصيدا، على اعتبار أن كتاب الله المسطور وكونه المنظور مجالان متعادلان منسجمان في تغذية النظرية وإمدادها، من خلال اكتشاف أسرار الأشياء وربطها بأنساق وخيوط تشدها إلى خالقها من حيث الفطرة وإن فرقتها المطالب والمصطلحات من حيث الصناعة. هذا كله دون نسيان الضوابط اللغوية والمنطقية والفقهية وما تنتجه من

غايات مقاصدية وثمرات وظيفية للنظرية تزيد في تقريرها وتدعم أركان القول بها ووجوب استحضارها. مما يسعف في النهاية في إيجاد منزلة علمية تعيد لها اعتبارها بين سائر نظريات المعرفة وعلوم الشريعة الإسلامية.

الكلمات المفاتيح:

النورسي، التفسير الإشاري، تكامل العلوم، الكليات، القرآن، الكون.

* * *

مقدمة

للحقيقة القرآنية خصوصيتها؛ فبعضها متجلية بنفسها، وأخرى متوارية تحسن الإظهار والتخفي؛ لأن ما تنضح به من معنى قد يدغدغ مشاعر البعض فيستسلم لومضات معرفية قليلة مستريحا بها عن الغوص في الأعماق راضيا بالصدف عن اللآلئ،[2] إنها تأبى الإدلاء بكل ما تحمله؛ لأنها محمّلة بأسرار الغيب مشحونة بخزائن الماوراء.

وما كان هذا شأنه في الوجود وضع علامات تنبه عليه فقط وتومئ إليه. وإذ يرتبط المقام بأذهان الناس يزداد الأمر إبهاما؛ لأن ليس كلّ ما في الأذهان هو ما في الأعيان، بل شأن الذهن أن يقارب ويحوم في مثل هذه المواضع.

من هنا كان جوهر التحدي في استدرار لوامع القرآن ومعانيه -في مثل هذه المباحث المعرفية- ليس هو حكاية دلالة تأويلية معينة أو تخريج لغوي أو كلامي قديم؛ وإنما هو إصابة عين الإشكال أو مقاربة جوهره بمنظور الكليات القرآنية والقواعد العلمية منزلة على الواقع الابتلائي الظرفي ومواءمتها مع نسبية جريان الأحداث فيه، لاستفادة الأحكام واستنباط السنن بمنهج جديد، يبدو على صورة جديدة لكنه منسلّ من ذات الصورة الكلية التي نظر بها نظار التفسير القرآني -عدا المغرقين في التأويل اللغوي أو الفلسفي أو الباطني...- سابقا إلى واقعهم المعيش. وهو في هذا السياق نوع انسجام المطلق مع النسبي أو قل هو هنا وفي هذا المقام بالذات: الوحي مع الواقع.

من هذه الزاوية بالذات نظر النورسي إلى حقيقة التفسير عموما والإشاري الصوفي منه على الخصوص. إذ كان التصوف عنده يعد علما أساسيا لم يستغن عنه عبر العصور، والحاجة إليه ماسّة في عصرنا، ولكنَّ المزاولة الإشارية عند النورسي تجعله فوق الدلالة العامة المتداولة للتصوف، فهي تركّز على مسالك إنتاج المعرفية المستفادة من إشارات القرآن الكريم بطريق التدبّر الجامع بين العقل والقلب والمسمى عند

بالتفكّر الإيماني، ذلك أنّ هذا المسلك المعرفي مشحون بمفاهيم وأنساق ودلالات من حقول علمية أخرى مثل البلاغة والمقاصد واللغة والكلام يجعل الناظر يحكم بأن ذلك ليس تصوفا بالمعنى الصناعي المتداول؛ وإنما هي معانٍ وعلوم ومعارف فطرية قرآنية تداخلت مناهجها فصارت جميعا روافد تصب في حوض التفسير الإشاري القرآني.

بمجرد مسحة واحدة لكليات رسائل النور؛ يلفي الناظر نفسه مشدودا إلى ثلاثة أوتاد تشد خيمة الإشارة القرآنية بكل تجلياتها العلمية والوجودية عند النورسي:

فالفراسة والبصيرة منبعها، والقرآن موجهها، ثم المجال الكوني محركها؛ أقصد المنطقة الجغرافية التي نشأ فيها وترعرع ''بلاد الأناضول'' بطبيعتها الخلابة من جمال ألوانها ورقرقة مياهها وحركة أشجارها... وغيرها من الكائنات الجميلة الصافية ذات الطابع ''الفسيفسائي (المتنوّع)'' التي جعلت قلب النورسي مجهرًا دقيقًا يتلقى كل إشاراتها ولوائحها، ثم يسبرها بعيار القرآن كشافها ودليلها على وظائفها وطبائعها.

الملكة والوحي والكون؛ تلك كانت أثافي نظرية التفسير الإشاري عند النورسي باعتبارها منهجا تفسيريا يتداخل فيه العلم بالعمل ويتآخى العقل مع الفن ويتساوق الإيمان مع الوجود. وتأتي كليات القرآن المنبجسة من تجليات الربوبية المطلقة والقدرة السرمدية الإلهية فتنير المشهد على قدر التقاط عين البصيرة لذرات النور المحيطة فيه بالكائنات. من هنا نجد النورسي مولعا بقواعد ومصطلحات النور مشدود الوجدان إلى قاموسه اللفظي والمعنوي؛ لأنه صورة رمزية للإشارات والخواطر الربانية. حتى آل به المطاف إلى ترجمة رسائله التفسيرية بما يدل على ذلك أو هو قطعة منه؛ (كليات رسائل النور)... هكذا؛ إشارة لطيفة منه إلى ما كان يعتلج في باطنه من أسرار ضاربة في عمق إبهام الظاهرة البشرية كما خلقها الله، فلا كاشف لها إلا نوره. فالعملية كلها جدلية بين النور والظلام والكلي والجزئي والكامل المطلق والنسبي المقيد بظروف المحيط والعوارض...

فلا عجب أن نجد عملاق الأناضول يجمع بين الشعاع ومنبعه في رسائله يُعَنون مطالب كتابه بما جد وفاض من نور شعاعات الكليات وإشاراتها، ثم يبقى للقلب والعقل مهمة استقبال الوافد الدليل لتكشف علامات الكائنات ومنازلها والتعرف على طبائعها ووظائفها، علما بأن الكليات لا تعادي العقل والقلب والفطرة؛ بل هي مزيج متناسق من قواعد العقل وفيوضات القلب وأبجديات الفطرة ! لا مجال للتفريق بين تلك المصادر العلمية ومجالاتها. وأي محاولة للتفريق أو التفكيك؛ تعد نسفا لنفس

تلك الكليات، فلا جرم كانت عند النظار هي أساس الدين كله وكماله وغدت منظاره الكشافي الأبدي إلى انقطاع أصل التكليف. وهي المقصود بقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾. المائدة:٣ 3

تأتي هذه الدراسة للكشف عن نظرة النورسي للتفسير الإشاري القرآني وفق مبدأ تكامل العلوم عنده وعلى وزان ما تمليه الكليات القرآنية الكونية والإيمانية التوحيدية من سداد منهجي وضبط علمي معرفي، يعد الخوض في الإشارات في غيابهما؛ ضربا في متاهات الجهل وتجاسرا على حقائق الغيب، فيغدو الخائض فيها مثل الخابط خبط عشواء؛ فلا هو ساكن في ظلمة الليل ولا هو مبصر بنور النهار!

أولا: إشكال التفسير الإشاري في مناهج العلوم

المقصود بالتفسير الإشاري هو مجموع المعاني والحكم والمقاصد المستفادة من فحوى النص الشرعي، سواء كان المفيد نفس ذلك اللفظ المنطوق به أو كان المفيد العقل أو البصيرة والفراسة. فهذه الثلاثة هي قنوات رصد الإشارات عند النظار في الأصول والتفسير والتصوف، باعتبار هذه العلوم مقصودة بالأصالة من الشريعة وهي المفيدة لمضامين التخلق والامتثال التعبدي واضعة إياها نصب عين المكلف.

ولم تكن علوم اللغة وأصول التفسير وأصول الفقه سوى علوما خادمة تكميلية أتت لضبط التسيُّب الذي لحق تلك المعارف الأصلية عَرَضًا كما يشهد بذلك تاريخ تدوين العلوم. أما التصوف -وهو المقصود عندنا هنا بالقصد الأصلي- ففيه الإشكال: هل هو علم ناضج أم حِكَم ولوامع وإشارات لا تزال رقبتُها خاضعة لزئبقية الليونة الاصطلاحية والتيه المفهومي الباطني؟ ولعل دمج الشاطبي الفقه بالتصوف في الموافقات وتأطيرهما تحت الكلي إشارة واضحة إلى إحساسه بالإشكال.[4] وهو الذي دفع أيضا ابن السبكي إلى القول ناقلا عن أحد شيوخه: ''إن العلوم ثلاثة: علم نضج واحترق، وعلم نضج وما احترق، وعلم ما نضج وما احترق''،[5] فمثل للأخير بعلمي التفسير والبيان.[6] والسبب في إلحاق البيان بالتفسير هو سيطرة الذوق عليهما، تماما كالتصوف؛ الذي أصبح مرتعا للخطأ والخطل، وغدت الخرافة هي المشيمة المغذية لمعانيه في جل أطواره التاريخية التي مر بها.

ثم زاد الطينَ بلَّةً كونُه مادة للتفسير الإشاري! فصار الإشكال مضاعفا مرتبطا بالتنقيب عن حقيقة التصوف العلمية أولا ثم بالتنقيب عن وظيفته التفسيرية ثانيا حين يرتبط بعلم آخر أشد ليونة وأعظم خطورة منه وهو التفسير.

قال الغزالي مشيدًا به في سياق تصنيفه للعلوم والتعريض بالتفسير الظاهري: ''علمُ التفسير الظاهر، وهو الطبقة الأخيرة من الصَّدفة القريبة من مُمَاسَّة الدُّرّ، ولذلك يشتد به شَبَهُهُ حتى يظن الظَانُّون أنه الدُّرّ وليس وراءَه أنفسُ منه، وبه قنع أكثر الخلق، وما أعظمَ غُبْنَهُم وحِرمانَهم، إذ ظنوا أنه لا رتبة وراء رُتبتهم[7]''!

من هنا سيقت معالم إشكال الهوية في التفسير الإشاري الذي يعتبر التصوف مادته. وكثير من النظار بحثوا في الإشكال بمسالك تقارب فهومهم وتساوق تخصصاتهم، بيد أن ما يصادف المتأمل في منهج طرق عملاق الأناضول لهذه النظرية هو تداخل العلم بالعمل والقرآن بالوجود في تأصيل النظرية، وربطها بقواعد قادرة على إخراجها من ''زئبقيتها'' وعدم انضباطها في السلوك والتصوف إلى ''صلبيتها'' وانضباطها في الكليات الفطرية القرآنية والكونية. مما يؤهلها لتكون أنموذجًا آخر[8] وصورة جلية لتكامل كليات القرآن مع مواقع الوجود. فما الأسس التي اعتمدها بديع الزمان لرصد النظرية؟ وما هي مشاربها العلمية المجلية لحقيقة التكامل المعرفي فيها؟ وما مقاصدها وتجلياتها؟

ثانيا: أسس التفسير الإشاري الكلية عند النورسي

١- الأساس القرآني

المقصود أن القرآن الكريم مصدر الإشارات وموجهها عموما ومركز انطلاقها ''لأن التنزيل كما يفيدك بدلالاته ونصوصه؛ كذلك يعلّمك بإشارته ورموزه''،[9] ولأنه ''الجامعية الخارقة لمقاصد القرآن ومسائله ومعانيه وأساليبه ولطائفه ومحاسنه''.[10] وسماه الشاطبي ''الاعتبار القرآني'' في مقابل ''الاعتبار الوجودي''،[11] أي الذي يأخذ ماهيته من وجود الكائنات وإدراك سر المناسبات بينها بخلاف الاعتبار القرآني وسيأتي في مبحثه.

والمقصود أن الأساس القرآني هو مجموع القوانين اللغوية والمقاصدية والعلمية التي سطرها النورسي -مبينا منبعها في القرآن- ضوابطَ لاستدرار الإشارات دون الاستنجاد بالكائنات. فههنا عندنا أساسان كليان متقابلان هما مصدر الإشارات: الأساس القرآني اللغوي والأساس الوجودي الكوني. فماذا عن مكونات الأول؟

أ- كلية هداية القرآن

نزل القرآن لهداية الناس. هذا هو مقصده الكلي الجامع، بل هو روح القرآن وباطنه النوراني الخارق، ذلك ''لأن نور الهداية تجسَّمَ فصار نفس جوهر القرآن، كما

يتجسم لونُ الحمرة فيصير قرْمِزاً".[12] "فهو أكمل الكتب، فهو يقيني؛ إذ كمال الكتاب باليقين، فهو مجسَّم الهداية للبشر".[13] وشأن الهداية أن تبوح بأسرارها ولوامعها ولوامحها إلى من رزقوا أجهزة الاستعداد والاستمداد من قلب صافٍ وعقل مُتَّقِد وهم المؤمنون . يقول: "هداية القرآن بُراقٌ إلهي أهداه للمؤمنين ليسلكوا، وهم عليه في الطريق المستقيم سائرين إلى عرش الكمالات".[14]

إذا كان كذلك وكانت الهداية هي مسلك المرور الصحيح على الصراط المستقيم إلى الفوز بالنعيم في الآخرة؛ كان لابد لزوما أن تحمل أسرارا في الدنيا لفهم القرآن وتنصب علاماتٍ في صورة مدارج يرتقي عبرها السالكون إلى تذوق القرآن واكتناه حكمه الباطنية الدقيقة اللانهائية. يقول في تفسير صدر سورة البقرة: "تنكير (هدى)؛ فيه إيماء إلى نهاية دقة هداية القرآن حتى لا يُكْتنه كُنْهها، وإلى غاية وسعتها حتى لا يُحاط بها علماً".[15]

من هنا حقا يمكن وصفها بباطن القرآن كما فعل أبو إسحاق الشاطبي إذ قال يصف الاعتبار القرآني: "... فذلك الاعتبار صحيح، وهو معتبر في فهم باطن القرآن من غير إشكال؛ لأن فهم القرآن إنما يرد على القلوب على وفق ما نزل له القرآن وهو الهداية التامة على ما يليق بكل واحد من المكلفين وبحسب التكاليف وأحوالها لا بإطلاق . وإذا كان كذلك فالمشي على طريقها مشي على الصراط المستقيم... فإن الاعتبار الصحيح في الجملة هو الذي يخرق نور البصيرة فيه حجب الأكوان من غير توقف، فإن توقف فهو غير صحيح أو غير كامل حسبما بينه أهل التحقيق بالسلوك".[16] أو بتعبير صاحبنا: "... لأن القرآن الكريم قد نزل من العلم المحيط، فيمكن أن تكون جميع معانيه مرادة، إذ معاني القرآن لا تنحصر في واحد أو اثنين من المعاني كما ينحصر كلام الإنسان الحاصل بإرادته الشخصية وبفكره الجزئي المحدود".[17]

فهذه النصوص جميعها تعد تقعيدا لحقيقة الأساس القرآني أو الاعتبار القرآني، حيث ترجع إلى الاحتفال بمرامز إشارية ومعانٍ باطنية تتدفق من غير توقف، يلوح بها النظر القرآني عند التدبر. لكن باعتبار كلي الهداية التي تخص أصحابها دون غيرهم.

ب- كلية شمول القرآن

هي خاصية من أعلى خصائص القرآن ومقصد من مقاصده العليا الحاكمة لاحت مع أول لوائح التشريع الإسلامي بقصد تفهيم الخلق حقيقة القرآن، وأنه كتاب ينظم كليات كافية لإدخال جميع المكلفين تحتها بمختلف أجناسهم وطبقاتهم في اللغة والفهم والتدبر كما في اللون والعرق والقبيلة. فصار كل منهم يدلي بدلوه في الفهم

ويستخرج من الدرر على قدر طاقته وبحسب قربه منه إيمانا وتسليما وإذعانا وخضوعا، إذ تنفتح الإشارات والإيماءات المدفونة، كما تبرز العبارات والمنطوقات الصريحة؛ لأنه كلام الله الأزلي المحيط بما يتصور في الذهن البشري، وما لا يتصور فيه ولا له طاقة على فهمه أو إدراكه. يقول: ''ولما كان القرآن الكريم خطاباً أزليا للجن والإنس بطبقاتهم كافة، فكل طبقة من البشر تأخذ إذًا حصتها من كل آية من القرآن الكريم، وكل آية أيضا تُشبع أفهام كل طبقة من الناس، أي لكل آية معانٍ متنوعة متعددة ضمناً وإشارة.

نعم! إن سعة خطاب القرآن وشمول معانيه وإشاراته ومراعاته درجات أفهام الطبقات عامة ومداركهم من أدنى العوام الى أخص الخواص تبين: أن كل آية لها وجه متوجه إلى كل طبقة من الناس''.[18]

وهذا معنى كونه شاملا أي محيطا بجميع طبقات الفهم البشري المتفتقة من قلوبهم وعقولهم، كل حسب درجة تدبره وإدراكه ''فلكل آية طبقات كثيرة من المعاني. ولأن القرآن الكريم قد نزل من العلم المحيط، فيمكن أن تكون جميع معانيه مرادة، إذ معاني القرآن لا تنحصر في واحد أو اثنين من المعاني كما ينحصر كلام الإنسان الحاصل بإرادته الشخصية وبفكره الجزئي المحدود''.[19]

ج- كلية التنزلات الإلهية إلى عقول البشر

هي قاعدة كلية تفيد مراعاة عوائد الناس في تخاطبهم وتواصلهم بحسب فهومهم وما تدلي به عقولهم تجاه الكون والكائنات. والمقصود بـ ''التنزلات الإلهية إلى عقول البشر؛ تأنيس الأذهان وتفهيمها، كمن تكلم مع صبيّ بما يألفه ويأنس به. فإن الجمهور من الناس يجتنون معلوماتهم عن محسوساتهم، ولا ينظرون إلى الحقائق المحضة إلا في مرآة متخيلاتهم ومن جانب مألوفاتهم... وأيضا المقصود من الكلام: إفادة المعنى''.[20]

غير أن مجال تأثيرها القلب والحس كما قال: ''هي لا تتم إلا بالتأثير في القلب والحس''.[21] ومن هنا تنبجس عين الحقيقة فيها؛ ذلك لأن قلوب بني آدم وضعت في الكون مرايا ترتسم فيها حركات الكائنات التي تموج على ظهر الحس في الوجود، فيقتنص العقل أحكاما منها على قدر طاقته في فهم وتدبر تلك الحركات. فلا جرم كان التفاوت لازما في الاقتناص كما كان في فهم الخطاب الشرعي الذي سطر على وزان تلك التنزلات، ''فلهذا وضع القرآن صورَ المتشابهات منظاراً على نظر الجمهور''.[22] يقول الشاطبي داعما النورسي في القول بالقاعدة: ''تَنَزَّلَ (القرآن) لهم بالتقريب

والملاطفة والتعليم في نفس المعاملة به قبل النظر إلى ما حواه من المعارف والخيرات (...) وهو أصل التخلق بصفات الله والاقتداء بأفعاله''.[23]

فالقاعدة راجعة في طبيعتها ابتداء إلى أصل خلقي تربوي ينبع من مشكاة التصرفات الإلهية الحسنة تجاه الخلق، إذ ما وجد في القرآن من إيماء أو إشارة إلى فعل حسن إلا والقصد منه نصبه أمام المكلفين للاقتداء به والتخلق بمضامينه، كما هي في الصفات الإلهية كالرفق ورفع الحرج والملاطفة... وغيرها من الكيفيات والهيئات الخلقية التي حملت قضايا الخطاب الشرعي والوحي الإلهي. فهو نظر في مقصد الخطاب وغايته التي تحملها هيئاته اللغوية من مجاز واستعارة وتمثيل... أي بتعبير آخر: تصوير العناية بهم من خلال مراعاة مداركهم وفهومهم، والمقصدان معا يجتمعان في الأسلوب التصويري؛ ''فإذاً يصوّر الحقائق بتمثيلات بناء على ما تقتضيه العناية مع التنزلات الالهية''.[24]

فهناك إذن تجد نظرية التفسير الإشاري منزلتها، لأنها راجعة إلى –والمقالة للشاطبي– ''التنزلات الفائقة الحسن في محاسن العادات''.[25] فالتنزلات الإلهية إذن هي طرائق توصيل الخطاب المتفاوتة المدارج، وإذا كانت كذلك وجب أن تتفاوت على وفقها فهوم المكلفين، إذ الفهم يتبع المفهوم.

د- كلية النظم

ذلك لأن ''القرآن الكريم مثلما يبين الحقائق بمفاهيمه وبمعناه الصريح يفيد كذلك معاني إشارية كثيرة بأساليبه وهيئاته''.[26] والمقصود بالهيئات والأساليب هو عين النظم. والفرق بين هذه القاعدة والتي قبلها أن الأولى مرتعها في مقاصد الخطاب القرآني الكلية؛ نصبت للاقتداء بها من قبل المكلفين في تعليمهم لبعضهم البعض ومراعاة تفاوت أذهانهم. أما الثانية فتلتصق أكثر بأسلوب الخطاب المبثوث في تركيب الكلام ونظمه. فهذه متعلقها النظم اللغوي وهيئاته الأسلوبية والأخرى متعلقها مقاصد الخطاب المجرد عن النظم. فهما يتعلقان ببعضهما تعلق الوسيلة بغايتها.

فمعنى النظم هو تداعي الكلمات والتزاز بعضها ببعض وتعوانها وتساندها للوقوف على مقصد التركيب؛ سواء في الآية أو في السورة أو في القرآن كله. يقول النورسي: ''إن من أساس البلاغة الذي به يبرق حسن الكلام؛ تجاوب الهيئات وتداعي القيود وتآخذها على المقصد الأصلي، وإمداد كلّ بقدْرِ الطاقة للمقصد، الذي هو كمجمع الأودية أو الحوض المتشرب من الجوانب''.[27] لابد إذن أن تتباين الأنظار في الوقوف على المقصود واستنباط الغرض الكلي لأن في النظم شعاب وأودية من الدلالات

الخفية المحفوفة بمخاطر ومفاوز قد لا ينجو منها الشادي في علوم اللغة والبلاغة والمنطق ومقاصد الشريعة. قال: ''فلأجل هذا السر والحكمة أَكْثَرَ القرآنُ من حذف الخاص للتعميم ليقدِّر كلٌ مقتضى ذوقه واستحسانه. ولقد نظم القرآن جُمَله ووضعها في مكان ينفتح من جهاته وجوه محتملة لمراعاة الافهام المختلفة ليأخذ كلُ فهمٍ حصته. وقس!..

فإذاً يجوز أن يكون الوجوه بتمامها مرادة بشرط أن لا تردها علوم العربية، وبشرط أن تستحسنها البلاغة، وبشرط أن يقبلها علم أصول مقاصد الشريعة''.[28]

ولب النظم عند النورسي هو الاستعارة والتمثيل. يقول: ''اعلم! أن كمال الكلام وجماله وحُلته البيانية بأسلوبه. وأسلوبه صورة الحقائق وقالب المعاني المتخذ من قطعات الاستعارة التمثيلية. وكأن تلك القطعات ''سِيمُوطُوغْرَاف'' خياليّ؛ كإراءة لفظ ''الثمرة'' جنتها وحديقتها. ولفظ ''بارز'' معركة الحرب''.[29]

فمن خلال هذا التفاوت في النظم تبدو دلالات الكلمات والجمل أيضا متفاوته في التجلي؛ بعضها أرق من بعض وأقوى في العمق وأوغل في الإبهام، وذلك لما يتضمنه الأسلوب من مدارج منطقية تلائم حركة الفهم البشري النسبية تجاه الخطاب . يقول: ''إن أسلوب الكلام قد يكون باعتبار خيال المخاطَب كما في أساليب القرآن الكريم فلا تنسَ. ثم إن مراتب الأسلوب متفاوتة؛ فبعضها أرقّ من النسيم إذا سرى يرمز إليه بهيئات الكلام. وبعضها أخفى من دسائس الحرب لا يشمه إلا ذو دهاء في الحرب؛ كاستشمام الزمخشري من ﴿مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾يس:٧٨ أسلوب ''مَن يبرز إلى الميدان''.[30]

غير أن هذا كله مبني على وجوب استنباط سر المناسبة بين الأشياء والكائنات في الخارج؛ لأن اللغة في النهاية تصوير وتوصيف وحكاية ما في نظام الكائنات في الوجود . يقول: ''إن التمثيلات مؤسسة على سرّ المناسبات بين الأشياء، والانعكاسات في نظام الكائنات، وإخطار أمور أمورا؛ كإخطار رؤية الهلال في الثريا في ذهن أبناء النخلة غصنَها الأبيض بالقدم المتقوس بتدلي العنقود''.[31]

إن سر المناسبة بين هاته الأشياء كامن في صدفة الطبقية في الإدلاء بالمقصود ، كل كائن يدل بقدر مكانته في الوضوح أو الإبهام، فكانت اللغة واصفة لما هو موجود بمختلف طبقاته الدلالية، فلا عجب أن تكون فهوم الناس والمجتهدين والفلاسفة متناسقة مع المقصود. يقول بديع الزمان في قطعة لغوية يصور بها هذا المعنى في ألطف بيان وأعذب تخريج: ''إن سلامة الكلام وملاسته واعتدال مزاجه؛ بتقسيم

العناية وتوزيع خلع الأساليب حسب ما يستحقه كل قيد. فان كان الكلام حكاية؛ فيجب على المتكلم فرضِ نفسه في موضع المحكي عنه، إذ لا بد من الحلول في المحكي عنه والنزول ضيفاً إلى قلبه والتكلم بلسانه لدى تصوير أفكاره وحسياته. وإذا تصرف في ماله فيجب العدالة بتقسيم الرعاية والاهتمام -الدالين على القيمة والمكانة- بأخذ كل قيدٍ للكلام واستعداده ورتبته، بنظر الاعتبار، وإلباس الأساليب على قامة استعداد كل قيد. حتى يتحلى المقصد بما يناسبه من أسلوب، إذ أسس الأساليب ثلاثة:

الأول: الأسلوب المجرد، كالأسلوب السلس للسيد الشريف الجرجاني ونصير الدين الطوسي.

الثاني: الأسلوب المزين، كالأسلوب الباهر الساطع لعبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة.

الثالث:الأسلوب العالي، كبعض الكلام المهيب للسكاكي والزمخشري وابن سينا أو بعض الفقرات العربية لهذا الكتاب، ولاسيما في المقالة الثالثة، فهي تبدو مشوشة إلا أنها تحوي فقرات رصينة. ذلك لأن علو الموضوع قد أفرغ هذا الكتاب في أسلوب عالٍ. وما صنعتي أنا إلا جزئية فيه.

إن كنتَ في بحث الإلهيات وتصوير الأصول، فعليك بالأسلوب العالي، ففيه الشدة والقوة والهيبة، بل عليك إلا تغادر هذا الأسلوب.

وإن كنت في بحث الخطاب والإقناع، فعليك بالأسلوب المزيّن ذي الحلي والحلل والترغيب والترهيب.

وإن كنت في المعاملات والمحاورات وفي العلوم الآلية؛ فعليك بالأسلوب المجرد وحده، فهو الذي يحقق وفاء الموضوع واختصار البحث وسلامة القصد ويجري على وفق السليقة حتى إنه يبين جماله الذاتي بسلاسته''.[32]

ومن هنا يظهر أن للنظم القرآني اسقلاليته الذاتية عن إدماج العلوم التي تبدو أجنبية عنه فيه واستحضارها معه إلا للضرورة. لأن المقصد الكلي إذا وضح وسط المعاني وجب أن يكون الأسلوب الذي يحكيه حاملا لجوهره بمختلف الدلالات العبارية والإشارية القريبة والبعيدة، فلا يحتاج إلى غير اللغة ومقاصدها لاستجلاء غموضه واكتناه معناه؛ ذلك ''لأن قناعة الكلام واستغناءه وعصبيته، أن لا تمدّ عينيك إلى أسلوب خارج المقصد. فلو أردت أن تفصّل أسلوبا على قامة معنى من المعاني، فالمعنى نفسه والمقام والصنعة والقصة والصفة يعينك بتفاريق لوازمها وتوابعها،

فتخيط من تلك التفاريق لباس أسلوبك. فلا تمد نظرك إلى الخارج إلا مضطراً. أو بتعبير آخر: قاطع أموال الأجانب، فهو أساس مهم للحيلولة دون تبعثر ثروة البلاد. فمقاطعة الأجانب تزيد قوة الكلام، أي: إن المعنى والمقام والصنعة يفيد الكلام بدلالته الوضعية، إذ كما يُظهر الكلام المعنى بدلالته الوضعية، فمثل هذا الأسلوب يشير بطبيعته إلى المعنى".[33]

إن قاعدة النظم معناها في النهاية استحضار روابط الكلم وعلاقاته العقلية التي تبثها في الذهن من أساليب البيان والبديع، تلاؤما مع حركة التدبر العقلية النسبية التي تمحضت في خلقة الإنسان للطبقية في الفهم والتفاوت في الاستنباط؛ حكمةً من العلي القدير الذي شاءت مشيئته أن يكون لب المسؤولية والتكليف مبنيين على تينك الخاصيتين، فلا جرم كانت أساليب الخطاب موضوعة ابتداء على التلاؤم معها. فكانت دلالة الإشارة التفسيرية منها.

ه- منطق علاقة الجزئي بالكلي في القرآن

يتجلى الإعجاز اللفظي في القرآن في كون تلك الألفاظ والكلمات كليات نصبت لاحتضان ما لا ينتهي من الصور والجزئيات المتولدة من تقلبات الأحداث وتبدلاتها السريعة في الزمان والمكان. ولذلك توصف عند النظار بأنها موجزة. والنورسي منهم حيث يقرر أن "إيجاز القرآن جامع ومعجز، فلو أُنعم النظر فيه؛ لشوهد بوضوح أن القرآن قد بيّن في مثالٍ جزئي وفي حادثة خاصة، دساتيرَ كلية واسعة وقوانينَ عامة طويلة، وكأنه يبين في غرفة ماءٍ بحراً واسعاً".[34]

إنها المركز المشع دائما، ترغب من الإنسان التأقلم معها بأخذه منها ما يواكب غيرها ويحتويه. يظل عقل الإنسان وقلبه ببعده عنها مثل الكواكب المظلمة تغدو في حالة خسوف. وحيث تزول الحواجز والحجب يرفع الستار للشعاعات واللمعات الإشارية للتدفق على الشعور والمواجيد، حيث تنعكس على مرآة القلب والروح فتنكشف الظلمة وتظهر المخفيات وتعرف الأشياء بأسمائها وصفاتها، وتتضح على قدر قابلية المرآة للشعاع ومدى صقالتها ولمعانها وقرب النور منها. من هنا طالما قرر النورسي أن الآية الواحدة تطوي بين أجنحتها ما لا ينتهي من الجزئيات القريبة والبعيدة الإشارية والعبارية، تفتح كنوزها على قدر استعداد المتدبر لها وصفاء شعوره تجاهها "فكلٌ يستفيض بقدر استعداده من فيض القرآن، ويأخذ رزقه من المائدة السماوية العامرة".[35]

لذا كانت العبرة بالمعنى الكلي لأنه هو الأصل في التدبر، والجزئي تابع له فرد من أفراده، ذلك أن ''معنى الآية شيء، وأفراد ذلك المعنى وما يشتمل عليه من تلك المعاني من الجزئيات شيء آخر. فإن لم يوجد فرد من أفراد كثيرة لذلك المعنى الكلي؛ فلا يُنكر ذلك المعنى الكلي''.[36]

ومن هنا تتحدد فلسفة الإسلام في الإفهام مُنَزَّلة على طرائق التفكير البشري المحكومة بالتفاوت في الفهم والتفهم . لذا كانت الإشارات المنضبطة -حتى ولو لم توجد- مقصودة مندرجة تحت مظلة الكلي كما الدلالات المنطوقة الصريحة، لأن الإعجاز في اللفظة القرآنية أو الآية مهيأ لاحتضانها ابتداءً كما سبق أن بينا. يقول النورسي: ''لو أن فرداً واحداً من تلك المعاني، لا وجود له في الواقع إلاّ في ألسنة الناس، يصح أن يكون داخلاً ضمن ذلك المعنى الكلي، رعايةً لأفكار العامة''.[37] من هنا طفق يعقب على بعضهم مستصحبا هذا القانون بقوله: ''ألا ترى هؤلاء المغمورين بسُكر الجغرافية وعلم الفلك الذين لا ينصفون، كيف يقعون في خطأ فيغمضون عيونهم عن المعنى الكلي الذي هو حق وحقيقة وصدق، فلا يرون مصدّقات الآية الكثيرة جداً، ويتوهمون معنى الآية منحصراً في فرد خيالي عجيب. فرشقوا الآية الكريمة بالحجارة، فارتدت على رؤوسهم فكسرتها، ففقدوا صوابهم وإيمانهم''.[38]

المحصّلة: هكذا تتحدد علاقة الجزئي بكليه باعتبارها قاعدة منهجية ومسلكا وظيفيا -كما أخواتها- يفتح المجال للإشارات الصوفية والذوقية، لكن لا تخرج جميعها عن مهيع القرآن وأساليبه اللغوية والبلاغية الإعجازية، فهو مجال حراكها والمشيمة التي تحتضنها وتنميها. فإذا عاد التدبر تفكرا وخرج من العلم اللغوي المسطور إلى الكون الخارجي المنظور احتاجت النظرية إلى مرتع آخر تترعرع فيه وذلك في:

٢- الأساس الوجودي

أ- حقيقته

المقصود به جملة الكائنات التي تسبح في الكون بانتظام وببلاغة تربطها خيوط موضوعة نصب عين الإنسان مجالا للتفكر والتدبر وإدراك الأنساق الفلسفية التي تربطها بالغيب. تبدو هذه الأنساق والخيوط مشدودة في عقد متراص ينظم لآلئ خفية ودررا مستورة، تماما كما يخفي نظم الجمل والكلمات والحروف معانيَ وبياناتٍ استعارية ومجازية تبدو غير طافية فوق سطح الدلالات الصريحة. وهي إشارة لطيفة من بديع الزمان يلمح إلى هذا التناسب بين اللغة والوجود قائلا: ''إن الكائنات في

غاية البلاغة قد أنشأها وأنشدها صانعُها فصيحةً بليغة، فكل صورة وكل نوع منها - بالنظام المندمج فيه- معجزة من معجزات القدرة. فالكلام إذا حذا حذو الواقع، وطابق نظمُه نظامَه حاز الجزالة بحذافيرها''.[39]

فالكائنات مثل الكلمات بل هي نفسها، كلاهما نواته في الغيب وثمرته في الأذهان والوجود: ''إن شجرة الكائنات شبيهة بشجرة طوبى الجنة؛ جذعها وجذورها متوغلة في العالم العلوي، وأغصانها وثمراتها متدلية إلى العالم السفلي؛ لذا فان هناك خيطاً ذا علاقة نورانية ابتداءً من مقام الثمرة في الأسفل إلى مقام النواة الأصلية''.[40] من خلال هذا الترابط اللزومي في الكائنات بين النواة والثمرة يتضح أنها مسقية بمخفيات وأسرار غيبية باطنية تغذي شجرتها قبل إثمار الثمرة، بل الثمرة حاملة في جوهرها لذلك، تتفتق وهي مكتنزة بإشارات غيبية تسربت إليها من نواة شجرتها الأصلية.

ب- نظام الكون والكائنات في الوجود

ليست الكائنات إذن سوى كلمات مجسمة هي صورة حية خارجية للكلمات في اللفظ والقرآن، إذ القرآن المسطور معادل موضوعي للكون المنظور. فكان التدبر فيها حركة لتتبع ما خفي منها من الإشارات والإيماءات الجزئية وربطها بكلياتها المقاصدية في الوجود من خلال البحث عن سر التناسب بينها كالألفاظ والعبارات تماما. يشير النورسي إلى هذا بقوله: ''ليس للكائنات وجه رقيق فقط، بل فيها وجوه عمومية مختلفة طبقا على طبق، ولفوائدها جهات كثيرة عمومية متداخلة، وطرق الاستفادة متعددة متنوعة. مثلاً: إذا كان لك روضة تستفيد منها بجهة ويستفيد الناس بجهة أخرى، كالاستلذاذ بالقوة الباصرة. ولا جرم أن استفادة الإنسان تحصل بحواسه الخمس الظاهرة وبحواسه الباطنة وبجسمه وبروحه وكذا بعقله وقلبه وكذا في دنياه وفي آخرته وكذا من جهة العبرة وقس عليها..؛ فلا مانع من استفادته بوجه من هذه الوجوه من كل ما في الأرض بل العالم.

إن سر المناسبة بين الأشياء صيَّر أكثر الأمور كالمرايا التي تتراءى في أنفسها؛ هذه في تلك وتلك في هذه. فكما أن قطعة زجاجة تريك صحراء واسعة؛ كذلك كثيراً ماتذكِّرك كلمةٌ فذة خيالا طويلا، وتمثل نصب عينيك هيئة كلمة حكاية عجيبة. ويجول بذهنك كلام في عالم المثال المثالي. كما أن لفظ ''بارَزَ'' يفتح لك معركة الحرب، ولفظ ''ثمرة'' يفتح لك باب الجنة وقس!''[41]

إن حقيقة النظام إنما تنبع من علاقة الكائنات بعضها ببعض من خلال مقاصدها الحكمية التي تحوم حولها وتشع بها، إذ ''إن في الكائنات نظاماً أكمل قصدياً، وإن في

الخلقة حكمة تامة، وأن لا عبثية في العالم، وأن لا إسراف في الفطرة. والمزكي لهؤلاء الشواهد: الاستقراء التام بجميع الفنون التي كل منها شاهدُ صدق على نظام نوع موضوعه''.[42] هذا النظام الثابت بمنهج الاستقراء هو نفسه النظام الثابت في علاقة الألفاظ في اللغة ، يستحيل أن تتضح الحقائق بمقاصدها الوجودية بدونه. فيحتاج الأمر حقا إلى تتبع الجزئيات لاستخلاص المعنى الكلي، كما إذا فهمنا من معنى الشجرة المنتصبة في زاويتها كلية توحيد الخالق أو كلية الدلالة على الجنة،كما مثل أعلاه حين قال: ''ولفظ (ثمرة) يفتح لك باب الجنة وقس''، لكن هذا كله إنما هو دلالة إشارية تلوح بها الكلمة وسط النظم.

من هنا وجب التدرج في التتبع وكشف الغوامض وتتبع الإشارات ''فيلزم التدرج في المعاني المتسلسلة والحذر من الاشتباك العشوائي بدون نظام... لأن القوانين الكلية هي أساس الصنعة الكونية وحقيقة النظام في الكون وإن كثرت الجزئيات. وهكذا؛ فمنابع هذه الكثرة والجزئيات ومعادنها الأساس لابد أنها قوانين كلية، وتجليات كلية للأسماء الحسنى''.[43]

إن مخزونية النظام التي تموج فيها حركات الكائنات ودلالاتها ووظائفها إنما توجب ضرورة إعمال القلب لفك طلسم إشاراتها فضلا عن عباراتها الظاهرة، ومن هنا خطورة هذا الأساس الوجودي؛ لأن للقلب فيوضاتٍ غير محدودة، وقد يسرح العقل فيما لا يوَدُّه الشرع! وذلك راجع بالأساس إلى طبيعة الإشارات واللوائح التي تُقذف إلهاما وتحديثا في قلوب أصحاب الأحوال. وبسبب صعوبة إيقافها في عالم الروح لشدة تناغمه مع الكون ومخلوقاته وما ينساب منها من حوادث وظواهر؛ فإن القلب يسارع في بادئ النظر إلى الحكم عليها. ومن هنا خطورتها. ولهذا أوصى النظار بالتوقف فيه لصعوبة مورده. يقول شيخ المقاصد: ''... فالتوقف عن اعتباره في فهم باطن القرآن لازم، وأخذه على إطلاقه فيه ممتنع لأنه بخلاف الأول؛ فلا يصح إطلاق القول باعتباره في فهم القرآن''.[44] إذ لا يسمح لأي عارف مبتدئ أو ناظر معتبر أن يرى شيئا في الكون ثم يجعله دلالة تفسيرية من دلالات القرآن أو ظاهرة وجودية تصور حقيقة قرآنية! بل المفروض العكس -إلا لأرباب الأحوال- بحيث يربط علمه الذهني بالحقائق الخارجية وينقح تصوراته على ميزان ما في الخارج من كليات وقواعد دون الظواهر النسبية المؤقتة التي تعرض للذهن فيخالها الحقيقة. إذ ''لو تجسمت تصورات المتكلم في الخارج -هاربة من الدماغ- لا يردّه الخارج... فلا يخفى ان شأن الآلات التي تثقب السطح نافذة إلى الحقيقة، وتدل على الطبيعة والحقيقة الخارجية، وتربط الحكم الذهني بالقانون الخارجي''.[45]

هنا فقط يبدو الإبصار جليا تجاه هاته المخلوقات وحركاتها؛ لأنها بعيدة عن ظلام النفس والهوى وقهرهما الشهواني، وإذًا؛ فإن الكون يصير عبارة عن تموجات متكاثفة ومتراصة تنطلق بقوة إلى إحساس الناظر المتدبر حتى إذا اصطدمت بوجدانه؛ راحت تنعكس عليه ظلالا من التأوهات الجمالية والحكم اللدنية التي تبدو غريبة في الحس البليد والطبع المتكلس.

إن الكون مجال لسياحة قلبية، ترتشف من أعيان الكائنات التي يموج بها في مساحة ممتدة وغير متناهية، لأن طبيعتها مسكوكة بسكة الكلمات القرآنية غير المتناهية هي كذلك ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾.الكهف:١٠٩ وليست الجسوم والأعراض المادية الحاملة لتلك الجواهر سوى علامات مادية تظهر وتختفي لتترك بعد اختفائها وظيفتها التعبدية الكونية التي حددها لها الخالق في حدود التعريف به للإنسان. فهي خادمة له لكن خدمة تعبدية منوطة بها تكوينا وخلقا. فكان لابد من استنطاق هذه الكائنات والحفر في أسرارها الكونية الملكوتية بمعاول القرآن نفسه؛ أليس هو الكتاب المعرف بمجالها ووظائفها؟ فكيف يطلق للقلب السياحة الشعورية في مجالها دون الرجوع إليه خضوعا لكلياته العلمية الشاملة؟

لهذا كله وجب استحضار حقائق القرآن عند النورسي ضابطة للمجال، متناغمة كليا مع قوانين الوجود، قاهرة لها، قاضية عليها، خارقة غشاءها بنور الوحي المطلق. يقول: ''إن القرآن الكريم، ببياناته القوية النافذة، إنما يمزّق غطاء الألفة وستار العادة الملقى على موجودات الكون قاطبة، والتي لا تُذكر إلا أنها عادية مألوفة مع أنها خوارق قدرةٍ بديعة ومعجزاتها العظيمة. فيكشف القرآن بتمزيقه ذلك الغطاء حقائق عجيبة لذوي الشعور، ويُلفت أنظارهم إلى ما فيها من دروس بليغة للاعتبار والعظة، فاتحاً كنزاً لا يفنى للعلوم أمام العقول.[46]

لقد بدا واضحا أن الأساس الوجودي -وهو حركة الكون والكائنات وما يلزم عنها ويترتب عليها من لوائح ولوامع تدبرية- مجالا لتحرك الإشارات التي تبثها فراسة الذوق والبصيرة في وجدان المتدبر لكن مع استحضار شرط مصاحبة القرآن بكلياته؛ لأنه فهرسة الكون والوجود، تماما كما كان استحضار ضوابط اللغة العربية والبلاغة وعلم مقاصد الشريعة شرطا في الأساس القرآني سابقا.

٣- الأساس الإنساني:

جبل الإنسان في ابتداء الخلق على أجهزة واستعدادات وقوى إدراكية خلقها الله فيه وركبها في ماهيته لالتقاط المعاني والأحاسيس والصور، من تعاقب الأجسام وأعراضها في الكون. وهذه القوى الباطنية كما هي عند العلماء: القوة الباصرة التي تبصر الموجودات، والقوة الخيالية التي تبقي على صور تلك الموجودات بعد رؤيتها فهي تدرك الصور، ثم القوة الخيالية المدركة للمعاني، ثم القوة المفكرة وهي التي تركب المعاني على الصور وتحفظها.[47]

تساعد هذه القوى والاتستعدادات الإنسان على إدراك كنوز المخفيات واكتناه دفائنها كما تعينه على فهم الجليات والواضحات. فالله ''خلق الإنسان باستعداد زرع فيه أنواع المعالي، وجهزه بالحواس وبوجدان تتمثل فيه الموجودات، واعدّه لتعلّم حقائق الأشياء بأنواعها، ثم علّمه الأسماء كلها.[48]

من هنا كان هذا الإنسان عالما مصغرا يطوي منظومة خارقة من مظاهر الكون وتجليات الأسماء والصفات. يقول النورسي مبينا ذلك: ''الإنسان هو النسخة الجامعة والمظهر الأتمّ لكل التجليات لتنوع استعداداته وتكثر طرف استفاداته وعلمه، فيحيط بالكائنات بحواسه الخمس الظاهرة والباطنة لاسيما بوجدانه الذي لا قعر له''.[49]

لطالما إذن كانت الإنسانية في الإنسان تمده بقدرة خارقة وطاقة جبارة لفك لغز الإشارات المسطورة والمنظورة على السواء، بصورة لا توجد عند غيره من الكائنات الأخرى. والسبب في ذلك جاهزيته واستعداداته التي بُثَّتْ في حافظاته المتنوعة التي تلتقط الدلالات الظاهرة مثلما تستنطق الرموز والإشارات الخفية.

ثانيا: التجليات المقاصدية الكلية لنظرية التفسير الإشاري

إذا ثبت أن للإشارات مكانة مهمة في التفسير توجبها هيئات التفكير العقلي المتفاوتة ثم كليات القرآن والوجود الكوني والإنساني؛ وجب أن يكون لها في منظور النورسي مقاصد وغايات تلتز غير مفارقة بتلك المسالك التي أوجبتها. وهذه التجليات والمقاصد تتنوع بتنوع مسالك التدبر ومجالاته؛ تارة ترتبط بالقرآن وتارة ترتبط بالكون وترتبط بهما معا تارة أخرى. نكتفي بثلاث مقاصد كلية متنوعة المشرب نسوقها للتمثيل دون الحصر كما يلي:

١- قصد التناسب والانتظام والجمال

لاشك أن للكلمات القرآنية والكائنات الوجودية مقصدا كليا تحوم حوله خادمة له تدل عليه وتشرب من معينه. وذلك مثل التوحيد والعدالة والحشر والنبوة . فتتخذ

الأساليب القرآنية هيئات وكيفيات للتعبير عن المقصد والإشارة إليه بالمنطوق تارة وبالمفهوم تارة أخرى، فيكون للإشارة نفس الغاية التي للعبارة؛ وهي الدلالة على المقصد لكن بصورة جمالية ذوقية تنبو عنها العبارة في بعض الأحيان، إذ يغدو أسلوب الإشارة لباس زينة يلف العبارة ويظمها تماما كما تلف القوالب الاستعارية والتمثيلية المعنى الصريح، فيضفيان على التركيب مسحة جمالية بتساندهما وتعاونهما في تأدية الدلالة المقصودة والغاية المرجوة. يقول رحمه الله: ''اعلم! أن الكلام إنما يكون ذا قوّة وقدرة إذا كان أجزاؤه مصداقا لما قيل:

عِبَاراتُنا شَتى وَحسْنُكَ وَاحِدٌ وَكُلٌّ إلى ذَاكَ الْجَمَالِ يُشير:

بأن تتجاوب قيودات الكلام ونظمه وهيئته، ويأخذ كلٌ بيد الآخر ويظاهره، ويمد كلٌ بقَدَرِه الغرضَ الكليّ مع ثمراته الخصوصية. كأن الغرض المشترك حوض يتشرب من جوانبه الرطبة، فيتولّد من هذه المجاوبة المعاونةَ، ومنها الانتظام، ومنه التناسب، ومنه الحسن والجمال الذاتي. وهذا السر من البلاغة يتلألأ من مجموع القرآن''.[50]

إن طبقات اللغة إنما هي نتيجة منطقية للتفاوت الحاصل في الأذهان البشرية ، لكن لابد من تضافر الكل لتحقق المقصد الكلي وخدمته. يسترسل في نص طويل: ''إن ثمرات الكلام هي: المعاني المتولدة في صور متعددة والمتفجرة في طبقات متفاوتة. فكما هو معلوم لدى الكيمياويين: أن الذهب عند استحصاله، يمرَّرُ في أنابيب معامل متعددة ويرسب ترسبات مختلفة في طبقات متفاوتة ويشكل بأشكال متنوعة. وفي الختام يحصّل على قسم من الذهب. كذلك الكلام الذي هو خريطة مختصرة أخذت من صورة المعاني المتفاوتة، فالمفاهيم المتفاوتة تتشكل صورها كالآتي:

إنه باهتزاز قسم من أحاسيس القلب بتأثيرات خارجية، تتولد الميول. وبتكّون معان هوائية منها وتعلّقها بنظر العقل؛ توجّه العقل إلى نفسها. ثم بتكاثف قسم من ذلك المعنى البخاري؛ يبقى قسم من الميول والتصورات معلقة. ثم بتقطر قسم آخر؛ يرغب فيه العقل. ثم القسم المائع؛ يتحصل منه ويُصلّب، فيضمه العقل ضمن الكلام. ثم ذلك المتصلب لأنه يتجلى ويتمثل برسم خاص به؛ يُظهره العقل بكلام خاص حسب قامته المخصوصة.

ومن هذا النبع ينفجر مسمّى ''الاسم''، ومعنى ''الفعل''، ومدلول ''الحرف'' ومظروف ''النظم''، ومفهوم ''الهيئة''، ومرموز ''الكيفية''، ومشار ''المستتبعات'' ومحرك ''الأطوار المشايعة للخطاب'' ومقصود ''الدال بالعبارة'' ومدلول ''الدال بالإشارة'' والمفهوم القياسي ''للدال بالفحوى'' والمعنى الضروري ''للدال

بالاقتضاء''... وأمثالها من المفاهيم كل منها ينعقد في طبقة من طبقات هذه السلسلة''[51] ومن ثم ''يجب السداد وعدم التمايل يميناً وشمالاً، للحيلولة دون التفرق في مسيل الغرض والتشتت في مجرى القصد، وذلك لئلا تهون الجوانب من الغرض بتشرب قوته، بل تمده الجوانب -كالحوض- بما تتضمه من الطراوة واللطافة. ويلزم أيضا -لسلامة السلاسة- تميّز مستقر القصد، وتعيّن ملتقى الغرض''.[52]

فبان أن أهم غاية عليا للتفسير الإشاري ودلالات الإشارة هو الانتماء إلى سلسلة الدلالات العقلية والنقلية واللغوية التي يفرضها المقام عند الانخراط في سلك عملية التفكير والتدبر، فيؤدي الجميع عند التجسيد اللغوي وحدة فنية تصويرية جمالية زائدة على تقرير المعنى الظاهري.

٢- قصد توحيد الخالق واستجلاء حكمته:

هذا بالنسبة للغة والنص القرآني، أما في الكون فتجري الحقيقة في المجرى نفسه دالة بالفحوى والرمز -فضلا عن الملاحظة المادية- على قصد توحيد الخالق وإفراده بالصنع والربوبية المطلقة والألوهية الحاكمة. إن اتساق الرموز والإشارات النورانية مع الدلالات الواضحة الصريحة في مجموع الكائنات؛ إنما يثبت وجود نظام كامل يحكمه قانون كلي لا يتخلف، الشيء الذي يدل على وجود الصانع الواحد الذي يشد خيوط هذا النظام القريبة والبعيدة في التدليل عليه، وإبراز وظيفة هاته المخلوقات المتمثلة في العبودية للخالق من خلال خدمة الإنسان المقصود الأكبر من الخلق. فمثلا إن رؤية الشمس تدل على وجودها، تماما كرؤية شعاعاتها حين تخترق كوةَ بيت مظلم فيرمقها شخص جالس في زاوية منه، أو كمن يتلمس هذه الشعاعات على جدول مائي، أو يتملى صورتها المنعكسة في مرآة. إذ المقصود واحد والدلالات متنوعة. فالحكمة موجودة في جميعها؛ ظاهرة بارزة في الشمس وخفية متلفعة بجلباب الربوبية المطلقة في الشعاع أو المرآة. فالخفي مع الواضح يشكلان بمجموعهما نظاما متكاملا ونسقا مستمرا يستحيل وجوده بغياب المخفيات والإشارات. يصور النورسي ذلك بقوله: ''كلّ فن من فنون الكائنات كشّاف بكلية قواعده عن اتساق وانتظام لا يعقل أكمل منهما؛ إذ كل نوع من الكائنات إما تشكّل فيه فن أو يقبل أن يتشكل. والفن عبارة عن قواعد كلية. وكلية القاعدة تدل على حسن النظام؛ إذ ما لا نظام له لا تجري فيه الكلية. ألا ترى أن قولنا ''كل عالم فهو ذو عمامة بيضاء''؛ إنما يصدق كلية إذا كان في ذلك النوع انتظام. فأنتج أن كل فن من الفنون الكونية بسبب كلية قواعده ينتج بالاستقراء التام نظاماً كاملا شاملا، وإن كل فن برهان نيّر يشير إلى المصالح والثمرات

المتدلية كالعناقيد في حلقات سلاسل الموجودات، ويلوِّح إلى الحِكَم والفوائد المستترة في معاطف انقلابات الأحوال. فترفع الفنونُ أعلام الشهادة على قصد الصانع وحكمته، كأن كل فن نجم ثاقب في طرد شياطين الأوهام''.[53]

فالإشارات مع العبارات في الكون كالنجوم في السماء تلوح إلى المقصود الكلي نفسه على قدر وظيفتها. ومن هنا كان فعل الذرة في فكر النورسي لا يتقاعس منزلة عن فعل المجرة، فهما سيان بالنسبة إلى القدرة في الدلالة على المقصود؛ ''لا مراتب في تلك القدرة ، فتتساوى بالنسبة إليها الذرات والنجوم والقليل والكثير''.[54]

قصد بيان خطورة الكفر الكونية الممتدة:

يدل الفناء الموجود في الكائنات باللزوم الضمني على أن الإنسان يكابد: إما فراقات أبدية إذا تخندق في زاوية الجحود والإلحاد والكفر، وإما فراقات مؤقتة تستحيل بعد موته وجودا سرمديا مفعما باللذة والنعيم المطلقين، فيرى في ذلك الفراق المؤقت تسريحا من الوظيفة الاستخلافية التي استُعْمِر في الأرض من أجلها، فيغدو مع تلك الكائنات على نسق تعبدي واحد وأخوة كونية شاملة.

وما نصبت الكائنات إلا لتعرفه بالمسلكين معا وتدله على النوعين كليهما . يقول بديع الزمان يلخص حقيقة الفناء والوجود في شعور المؤمن والكافر معا. أما المؤمن: ''فيرى أن المملكة كلها تعلن -في حفل التسريح العام- هتافات الفرح بصيحة مصحوبة بكلمات الشكر والثناء. ويسمع فيهم أيضاً أصوات الجوقة الموسيقية وهي تقدم ألحانها الحماسية مقترنة بالتكبيرات العالية والتهليلات الحارة بسعادة واعتزاز للذين يساقون إلى الخدمة والجندية''.[55]

وأما الكافر ''فيرى في الكائنات مأتماً عمومياً، ويرى موجوداتها كالأجانب الغرباء والأعداء، لا يعرف بعضٌ بعضاً، بل يعاديه، وترى جامداتها جنائز دهّاشة، وترى حيواناتها وأناسيّها أيتاماً باكين بضربات الزوال والفراق''.[56] وإذا ''أظلم سمع هذا الكافر بالكفر؛ صار أصم من تلك الأصوات اللذيذة، ولايسمع من الكائنات إلا نِياحات المأتم ونعْيات الموت، فلا يَلقى في القلب إلا غمَّ اليُتْمة -أي عدم الأحباب- ووحشة الغربة''.[57]

فلا جرم ''كان للكفر في زمان متناهٍ جناية غير متناهية بست جهات إشارية:

''منها: أن من مات على الكفر لو بقي أبدا لكان كافراً أبداً لفساد جوهر روحه، فهذا القلب الفاسد استعد لجناية غير متناهية.

ومنها: أن الكفر وإن كان في زمان متناه لكنه جناية على غير المتناهي، وتكذيب لغير المتناهي أعني عموم الكائنات التي تشهد على الوحدانية.

ومنها: أن الكفر كفرانٌ لنعمٍ غير متناهية.

ومنها: أن الكفر جناية في مقابلة الغير المتناهي وهو الذات والصفات الإلهية.

ومنها: أن وجدان البشر -بسر حديث "لاَ يَسَعُني أَرْضِي وَلا سَمائي"[58]- وإن كان في الظاهر والملك محصوراً ومتناهياً لكن ملكوتيته بالحقيقة نشرت ومدت عروقها إلى الأبد. فهو من هذه الجهة كغير المتناهي وبالكفر تلوث واضمحل".[59] من هنا سيق تزاحم الكائنات لخدمة الإنسان باعتباره ثمرة شجرة الخلقة، إذ ما انفكت تنبهه في جريانها بإشاراتها ورموزها، بوجودها وفنائها على خطورة الشرود عن باب الله والتيه الوجودي وسط ما لا ينتهي من السبل الفلسفية المظلمة، الحاجزة دون تذوق حلاوة طريق الله المستقيم في وجدانه، والاستضاءة بنوره الأزلي المنقذ له وحده دون سواه.

تلك هي قصة الفناء والوجود للكائنات والإنسان جميعا، وهي النتيجة الحتمية الموضوعة نصب عقل كل إنسان ليتملى مشاهدها في الكون، عساه يؤوب إلى رشده من حيث هو إنسان مخلوق مقهور تحت سلطة مبدل الكائنات ومجددها، فلا جرم كان هدف النورسي هو احتضان الإنسان الغربي بعقلنته حقائق الوجود والفناء وبيان جذورها المنطقية الفطرية وإن كانت تفاصيلها غيبية .

خاتمة

يمكن اعتبار محاولة تنزيل القوانين الكلية القرآنية والكونية على ما لا يحد من الحوادث والنوازل الإنسانية المعاصرة لحياة المتدبر ومعالجة إشكاليات العلوم؛ أهم فكرة سيطرت على وجدان النورسي وهو يرسي دعائم فريدته (كليات رسائل النور). وقد اختارت الدراسة التفسير الصوفي الإشاري بمكوناته القرآنية والوجودية أنموذجًا لرصد تجليات هذه الفكرة؛ مبينة بعض مظاهر تكامل التصوف مع جملة علوم متآخية معه مثل اللغة والأصول والمقاصد والمنطق في دعم نظرية التفسير الإشاري ووضعها موضعا وسطا يليق بها . وقد كانت الكليات أقرب منهج نظري للم مشارب الإشكال ودمج اللطائف والأذواق بالمساطر والقواعد، وتَبَيُّن بعض التجليات والمقاصد في دلالتها المزدوجة التي خطفت حقيقتها من تناغم الكون المنظور مع الكتاب المسطور وتعادلهما.

هكذا تأسست نظرية التفسير الإشاري عند عملاق الأناضول وامتدت عروقها إلى كل موضع في الشريعة نسج فيه الكلي خيوطه. وإنما اقتصرنا على سوق نماذج منها فقط؛ لأن المقصود بيان المنهج. وإنَّه حقا لَمَرام صعب ومطلب عسير، ولولا أنه على ذلك، لما وجدت الناس منذ القدم بين مُنْكِرٍ لها من أصلها، ومُتَحَيِّلٍ لها على غيرِ وجهها، ومعتقِدٍ أنها باب لا يسلك منها إلى المرام، ولا يملك فيها غير الإبهام!

لتبقى هذه الدراسة المتواضعة قبسا تنير درب المباحثة في الإشكال وتسهل على الدارسين -لمن شاء منهم- الإدلاج في بحره البهيم المتلاطم الأطراف وفق موازين العلم والمنهج السليم. وذلك من خلال مقترحات تدارسية قد يكون أهمها ما يلي:

- نظرية التفسير الإشاري عند نظار التفسير القرآني المعاصر مثل رشيد رضا وسيد قطب والطاهر ابن عاشور؛ دراسة تصف كليات النظرية وترصد أهم قواعدها وأصولها.

- التصوف عند النورسي؛ دراسة في كليات العلم وقواعده وأهم معالم التداخل العلمي والتكامل المنهجي بينه وبين سائر العلوم الأخرى القريبة منه المشكلة لوحدة الشريعة.

- مقاصد الجمال التعبدي عند النورسي؛ دراسة في نظرية الجمال كما قررها القرآن وفهمها النورسي بمختلف أنواعها وأطيافها وتجلياتها العمرانية والحضارية.

مصادر البحث ومراجعه

مصادر البحث

مؤلفات النورسي

١- الكلمات، ضمن كليات رسائل النور، القاهرة، طبع شركة سوزلر للنشر، ط.٤، ٢٠٠٥م.
٢- اللمعات، ضمن كليات رسائل النور، القاهرة، طبع شركة سوزلر للنشر، ط.٤، ٢٠٠٥.
٣- إشارات الإعجاز، ضمن كليات رسائل النور، القاهرة، طبع شركة سوزلر للنشر، ط.٤، ٢٠٠٥م.
٤- صيقل الإسلام، ضمن كليات رسائل النور، القاهرة، طبع شركة سوزلر للنشر، ط.٤، ٢٠٠٥م.

المصادر البحث (كتب علوم القرآن والسنة والأصول واللغة)

١- الألباني، ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، الرياض، دار المعارف، ١٩٩٢م.
٢- السيوطي جلال الدين، الأشباه والنظائر في النحو، ت. عبد الإله نبهان، دمشق، طبع مجمع اللغة العربية، ط.١، ١٩٨٥م.
٣- الشاطبي إبراهيم بن موسى، الاعتصام، ضبطه وصححه أحمد عبد الشافي، لبنان، دار الكتب العلمية، ط.٢، ٢٠٠٥م.
٤- الغزالي أبو حامد محمد بن محمد، جواهر القرآن، ت. محمد رشيد رضا القباني، بيروت، دار إحياء العلوم ، ط.٢، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

المراجع العامة

١- التركاوي ادريس، جمالية النسق التعبدي أو موسيقى الكائنات من منظور النورسي: دراسة في الكليات، مجلة إسلامية المعرفة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هرنند، العدد٨٧، ٢٠١٧م.
٢- جابر حسن، المقاصد الكلية في مناهج التفسير، لندن، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي،٢٠٠٧م.
٣- الغزالي أبو حامد، تهافت الفلاسفة ، قدم له وضبط نصه أحمد شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط . ١، ٢٠٠٠م.

* * *

الهوامش

[1] دكتوراه أصول الفقه ومقاصد الشريعة جامعة ابن الزهر أغادير المغرب

[2] جابر حسن، المقاصد الكلية في مناهج التفسير، لندن، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ٢٠٠٧م: ص٠٩.

[3] الشاطبي إبراهيم بن موسى، الاعتصام، ضبطه وصححه أحمد عبد الشافي، لبنان، دار الكتب العلمية، ط.٢، ٢٠٠٥م: ص٢١٦.

[4] ذلك قوله: ''كُلُّ مسألة مرسومة في أصول الفقه لا ينبني عليها فروع فقهية (الفقه الجوارحي) أو آداب شرعية (التصوف والفقه الباطني) أو لا تكون عونا في ذلك فوضعها في أصول الفقه عارية''. انظر:
- الشاطبي أبو إسحاق إبراهيم بن موسى، الموافقات في أصول الشريعة، ت. الشيخ عبد الله دراز، بيروت، دار الكتب العلمية، ط.١، ٢٠٠١م: ج١ ص١٩. وسنورد بعض ملامح الوحدة المنهجية بينه وبين النورسي في رصد الإشارات التفسيرية في المتن قريبا.

[5] السيوطي جلال الدين، الأشباه والنظائر في النحو، ت. عبد الإله نبهان، دمشق، طبع مجمع اللغة العربية، ط.١، ١٩٨٥م: ج١ ص٠٦.

[6] نفس المصدر والصفحة.

[7] الغزالي أبو حامد محمد بن محمد، جواهر القرآن، ت. محمد رشيد رضا القباني، بيروت، دار إحياء العلوم، ط.٢، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦ م: ص٣٧.

[8] قدمنا صورة أخرى لهذا التكامل من خلال نظريات الكليات تعلقت بالمقاصد الجمالية عند النورسي ينظر:
- التركاوي ادريس، جمالية النسق التعبدي أو موسيقى الكائنات من منظور النورسي: دراسة في الكليات، مجلة إسلامية المعرفة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هرنند، العدد٨٧، ٢٠١٧م. وتعد الدراستان معا ديباجة بحث متكامل حول الكليات عند النورسي تجاوز الحفر فيها عقدا من الزمن نسأل الله التوفيق إلى إتمامه.

[9] النورسي سعيد، إشارات الإعجاز، ضمن كليات رسائل النور، القاهرة، طبع شركة سوزلر للنشر، ط.٤، ٢٠٠٥م: ص ٢٣٨.

[10] النورسي سعيد، الكلمات، ضمن كليات رسائل النور، القاهرة، طبع شركة سوزلر للنشر، ط.٤، ٢٠٠٥م: ص٤٦٦.

[11] الشاطبي، الموافقات، مصدر سابق: ج٣ ص٣٠٢.

[12] النورسي سعيد، إشارات الإعجاز، مصدر سابق: ص١٤٨.

[13] المصدر نفسه: ص٤٨.

[14] المصدر نفسه: ص٦٩.

[15] المصدر نفسه: ٤٨.

[16] الشاطبي، الموافقات، مصدر سابق: ج٣ ص٣٠٢.

[17] النورسي سعيد، إشارات الإعجاز، مصدر سابق: ص٤٧.

[18] المصدر نفسه: ص١٠٦.

[19] النورسي سعيد، اللمعات، ضمن كليات رسائل النور، القاهرة، طبع شركة سوزلر للنشر، ط.٤، ٢٠٠٥: ص٤٧.
[20] النورسي، إشارات الإعجاز، مصدر سابق: ص٢٦.
[21] نفس المصدر والصفحة.
[22] المصدر نفسه: ١٧٥.
[23] الشاطبي، الموافقات، مصدر سابق: ج٣ ص٢٨٢.
[24] النورسي، إشارات الإعجاز، مصدر سابق: ص ٢٠٥.
[25] الشاطبي، الموافقات، مصدر سابق: ج٤ ص١٨١.
[26] النورسي، اللمعات، مصدر سابق: ص٤٧.
[27] النورسي، إشارات الإعجاز، مصدر سابق: ص٤٤.
[28] المصدر نفسه: ص٤٩
[29] المصدر نفسه: ص١١٩.
[30] المصدر نفسه: ص١٢١.
[31] المصدر نفسه: ص١٢٠.
[32] النورسي سعيد، صيقل الإسلام، ضمن كليات رسائل النور، القاهرة، طبع شركة سوزلر للنشر، ط.٤، ٢٠٠٥م: ص١١٣.
[33] النورسي، إشارات الإعجاز، مصدر سابق: ص١١٣-١١٤.
[34] النورسي، اللمعات، مصدر سابق: ص٤٦٣.
[35] المصدر نفسه: ص١٠٧.
[36] النورسي، اللمعات، مصدر سابق: ص١٠١.
[37] المصدر نفسه: ص١٠٧.
[38] نفس المصدر والصفحة.
[39] النورسي، إشارات الإعجاز، مصدر سابق: ص١١٩.
[40] النورسي، الكلمات، مصدر سابق: ص٦٩٣.
[41] المصدر نفسه: ٦٩.
[42] النورسي، إشارات الإعجاز، مصدر سابق: ص٦١.
[43] النورسي، الصيقل، مصدر سابق: ص٦٩٥.
[44] الشاطبي، الموافقات، مصدر سابق: ٣ /٣٠٣.
[45] النورسي، الصيقل، مصدر سابق: ص١١٥.
[46] النورسي، اللمعات، مصدر سابق: ص١٥٠.
[47] الغزالي أبو حامد، تهافت الفلاسفة، قدم له وضبط نصه أحمد شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط . ١، ٢٠٠٠م: ص١٧٥- ١٧٦.
[48] النورسي، إشارات الإعجاز، مصدر سابق: ص٢١.
[49] المصدر نفسه: ٢٤٠.
[50] المصدر نفسه: ١٢١-١٢٢.
[51] النورسي، الصيقل، مصدر سابق: ص١٠٥.
[52] نفس المصدر والصفحة.
[53] المصدر نفسه: ١٥٠.
[54] النورسي، اللمعات، مرجع سابق: ص٤٨٤.

[55] النورسي، الكلمات، مرجع سابق: ص١٠.
[56] المرجع نفسه: ص٢٥٦.
[57] النورسي، إشارات الاعجاز، مرجع سابق: ص٧٨.
[58] قال ابن حجر الهيتمي في الفتاوى الحديثية: وذكرُ جماعةٍ له من الصوفية لا يريدون حقيقة ظاهره من الاتحاد والحلول لأن كلا منهما كفر، وصالحو الصوفية أعرف الناس بالله وما يجب له وما يستحيل عليه، وإنما يريدون بذلك أن قلب المؤمن يسع الإيمان بالله ومحبته ومعرفته. أ هـ.
وانظر: أحمد بن حنبل، الزهد ص٨١؛ الغزالي، إحياء علوم الدين ١٥/٣؛ الديلمي، المسند ١٧٤/٣؛ الزركشي، التذكرة في الأحاديث المشتهرة ص١٣٥؛ السخاوي، المقاصد الحسنة ص٩٩٠؛ العجلوني، كشف الخفاء ٢٥٥/٢. وضعفه الألباني وأخرجه بلفظ "ما وسعني أرضي ولا سمائي، ووسعني قلب عبدي المؤمن، النقي التقي الوادع اللين". انظر: الألباني، ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، الرياض، دار المعارف، ١٩٩٢م: رقم ٥١٠٣، ١١/ ١٧٦.
[59] النورسي، إشارات الإعجاز، مصدر سابق: ص٨٦.

الإصدارات والنشاطات العلمية،
المؤتمرات والحلقات الدراسية

الإصدارات والنشاطات العلمية

صدر عن دار المأمون للنشر والتوزيع كتاب الدكتور مأمون فريز جرار بعنوان: ''اللؤلؤ والمرجان من حكم بديع الزمان''، ويمثّل هذا المصنف الجزء الثالث من كتاب: اللمعات المؤلف، ويأتي هذا الجزء الثالث المستخلص من كتاب اللمعات متمما لجزءين سابقين مستخلصين من كتابي الكلمات والمكتوبات.

وكانت بداية هذا المشروع مقالات نشرها الدكتور مأمون جرار في جريدة الدستور الأردنية في شهر رمضان المبارك عام ١٤٣٢ هجرية، ٢٠١١ ميلادية. واستمر في النشر أسبوعيا في يوم الجمعة حتى حين صدور هذا الجزء الثالث، أراد المؤلف بهذه السلسلة إقامة جسر اتصال برسائل النور تقريبا وتحبيبا واستفادة.

النشاطات العلمية:

نستهلها بقضية كثيرا ما شغلت المهتمين بالدراسات الأكاديمية، وهي مسألة اختصار أو تهذيب رسائل النور، فقد شغلت غير واحد من المهتمين؛ ولعلّ من أهمّ الشخصيات العلمية التي شغلها الموضوع أستاذنا الكبير محسن عبد الحميد، عايش الأستاذ محسن رسائل النور ترجمة وتعليقا وتصحيحا ودراسة وتدريساً منذ ثلث قرن على الأقل، وبِحُكم طول العناية بالرسائل وتنوّعها راودته فكرة تهذيبها فكان المقال ثمرة هذه المحاولات.

حول تهذيب رسائل النور لبديع الزمان سعيد النورسي

أد. محسن عبد الحميد العراق

يقول الأستاذ النورسي: (إن رسائل النور تفسير للقرآن الكريم، تفسير نابع من القرآن مدعم بالبراهين، لذا فإن فيها تكرارات ضرورية مساقة لحكمة ومصلحة كالتكرارات القرآنية اللطيفة الحكيمة الضرورية والتي لا تُسئم القارئ أبداً)[1]

هذا يعني أنه ليس فيه المصطلحات اللغوية، نحواً وصرفاً وبلاغة ولا مصطلحات العلوم العقلية المنطقية والكلامية والفلسفية، ولا تفاصيل المذاهب الفقهية والأصولية والمقاصدية، ولا الصوفية وطرقها، ولا الاستطرادات التاريخية ولا حوادث نزول الآيات ولا مقارنة الأديان وغيرها.

فالتفاسير المعروفة ولاسيما القديمة مشحونة بعلوم كثيرة شكّلت أغطية سميكة أحاطت بكتاب الله الحكيم وحالت بينه وبين إيصال نوره ومقاصده ورؤيته الكونية والإنسانية ومقومات شرائعه إلى قلوب المسلمين لصياغتها صياغة ربانية.

كنت يوماً في ضيافة أحد مشاهير العلماء في كردستان العراق، وكان بين يديه تفسير البيضاوي يدرّس فيه تلميذه. ولما انتهى من درسه، سألني: ما رأيك؟. قلت: سمعت كل شيء إلا تفسير القرآن الكريم، ثم شرحت له المنهج الصحيح في تفسير القرآن الكريم.

أما تفسير القرآن في رسائل النور فإنه يختلف اختلافا جوهرياً عن التفاسير السابقة وحتى المعاصرة في زمانه، لأنه تفسير ذاتي شهودي ينتقل من خلال شبكة من الآيات إلى معانيها المباشرة وإشاراتها المتنوعة وتجليات الأسماء الحسنى الإلهية حولها، ثم إلى الحديث عن تصميم الكون والحياة والمجتمع من خلال حركة الحضارة المعاصرة وصراعاتها مع الحقائق الفطرية ومأساة الإنسان المعاصر، مسلمين وغير مسلمين، الذين ابتعدوا كثيراً عن هداية خالقهم والعمل بشرائعه الحقة والذين فصلهم الفصام النكد مع دينهم (ولاسيما المسلمين) وتاريخهم وحضارتهم ومحاولة إعادتهم عبر أجواء الآيات إلى حضن الموكب الالهي الخالد بقيادة رسول الله الذي هو البرهان المبين والنور الساطع الذي جمع الله فيه أنوار انعكاسات الأسماء الحسنى، متوازنة مكتملة متعانقة.

هذا التفسير النوري الذي جمع فيه الإمام النورسي معارف القرائين الثلاثة، المقروء والمنظور والناطق في سبيل إنقاذ البشرية جميعاً من الحياة المادية الموغلة التي يقودها الشيطان الرجيم لتخريب إيمانها ومنظومة قيَمها وأنساقها الخالدة التي أقحمتها في حياة الضنك والفوضى والاضطراب والأمراض النفسية والتصرفات الحيوانية التي انتهت إلى الزعزعة الاجتماعية وفقدان راحة الضمير. وتناول النورسي

لموضوعات رسائله تناول موحد، متداخل بعضه مع الآخر، بنسيج واحد وأسلوب رائع، المقدمات فيه تقود إلى النتائج، لا يمكن فصل بعضها عن البعض الآخر.

لقد عزمت في فترة سابقة أن أهذّب رسائل النور، كي تسهل قراءتها على القراء الذين لم يتخصصوا في مثل هذه الدراسات العميقة، من غير الصابرين على متابعة قصصها وأفكارها وأنوارها وفهم دقائق ما ورد فيها من تحليلات بارعة، كما فعلت قبل ذلك في تهذيب (روح المعاني) للعلامة أبي الثناء الآلوسي و(منهاج السنة النبوية) للإمام ابن تيمية.

وعندما جئت للمرة الثانية إلى رسائل النور كي أسير على المنهج نفسه في تهذيبها لم أستطع للأسباب الآتية:

- لا يمكن حذف أي شيء منها، لأن الآيات التي يستشهد بها متداخلة في نسيج واحد وشرح متواصل، فيقتضي هذا التدخل في كلام الأستاذ النورسي إحداث خلل كامل في الألفاظ والمعاني ومضمون الرسائل.

- إن التفاسير السابقة بما إنها استعانت بعلوم عصرها عبر الاستشهاد بآراء العلماء في تفسير الآيات، خارج التركيز على معنى الآيات ومقاصدها، فإن المهذّب يستطيع أن يبعد كثيرًا من الشروح والاستطرادات التي لا يتعلق بالمعاني الجوهرية للآيات الكريمة، وهذا الذي فعلته من قبل بتفسير الآلوسي ومنهاج السنة النبوية، وكانت النتيجة استخلاص خمسة أجزاء من ستة عشر جزءًا في الأول واستخلاص جزء واحد من عدة أجزاء في الثاني.

أما بالنسبة لرسائل النور فإن كل شرح فيها مقصود بذاته، فمن الخسارة أن تحذف فقرات أو صفحات من رسائل النور أو تختصر أو توجز، لأن هذه الرسائل تمشى مع حركة العصر وصراعاتها، وأوضاع المسلمين وتخلفهم وتمزق أواصر ملتهم. وتُقدّم شبكة من الحلول القرآنية النورانية في اتجاهات الحياة كلها، لتقويم أوضاع المسلمين وإرجاعهم إلى خط الاستقامة والربانية والعبودية الخالصة لخالقهم.

- إن شبكة الآيات القرآنية التي يستشهد بها النورسي بل يدير عليها الكلام كله، لا تستطيع أن تحذف منها آية واحدة، لأن كل آية في منظومة كلام النورسي موضوعة

بدقة لإخراج المعاني المتعاضدة المتسلسلة في الموقع الحقيقي الذي يجب أن توضع فيه.

- إن رسائل النور مستقلة عن بعضها البعض، كُتبت كل رسالة في زمانها المعين، وما أثيرت فيها من أسئلة موجهة إليه أو إلى الإسلام أو المسلمين، تبدأ من آية قرآنية أو مجموعة من الآيات، موضوعاتها متنوعة ترتبط بقصصها التمثيلية وتطبيقها كلمةً كلمةً وجزءًا جزءًا على شخوصها الواقعية وأفكارها المستنبطة من وقائع الصراع المعاش عبر الاستدلال بالآيات القرآنية والأدلة العقلية والاستدلالات النفسية وتحليلها.

وقد تستطيع تهذيب بعض مقولاتها في جملة أو جملتين أو فقرة أو فقرتين بأسلوبه الخاص، ولكن سينتهي عملك إلى منظومة أسلوب النورسي والتصرف بأفكارها والذهاب بروعتها والتصرف بنسيجها المسبوك المعبّر.

بما أن القرآن الكريم يكرر قصص الأنبياء وحوارات الدعوة والدعاة وإقامة الاستدلالات على مشاهد الأنفس والآفاق ووجود الخالق والوحدانية وغيرها بأساليب متنوعة، فإن الأستاذ النورسي في تتبع هذه الآيات يكرر في رسائل عدة ما يدور حول هذه الآيات وبأساليب متنوعة، يكمل بعضها البعض في روعة عرض تلك المشاهد والآثار بقلمه المعبّر وخياله الخصب ومشاعره الجياشة التي تضرب على أوتار قلوب متتبعي قراءة الرسائل. فمحاولة تهذيب هذه الرسائل تؤدي إلى قطع أفكارها وتخريب تسلسلها وتنوع أساليب تعابيرها.

لو تتبعت أجزاء رسائل النور واطلعت على حبكتها الفكرية، رسالة رسالة لظهر لك صدق ما انتهيت إليه سابقًا ولاحقًا، أنها لا يمكن تهذيبها، بل لابد من تركها بصورتها الواقعية، لأنها أفضل وأوضح وأفيد.

وهنا لتأييد رأيي أقدم تحليل عدد من رسائل النور ليقوم شاهدًا على ما أقول:

راجع مثلا الكلمة الخامسة والعشرين التي خصصها الأستاذ للحديث عن المعجزات القرآنية، فإنه ضمّنها كل ما يتعلق بإعجاز القرآن الكريم من حيث جزالة ألفاظه وفصاحة تراكيبه وإيجاز معانيها البليغة الدالة عليها في أجمع صورة وأبدع نسيج وأسبك أسلوب وأبرع بيان يضم خزينة هائلة من الإرشاد وإثبات العقائد وتقرير

الشرائع وتفاصيل انعكاسات أسماء الله الحسنى على كل خلية من خلايا الطبيعية والحيوية بجامعية شاملة.

والحق أنك تستطيع أن تلخص ما يقول الأستاذ بأسلوبه الأخاذ الممتع في صفحات عدة، ولكنك بعملك هذا ستُذهب -كما ذكرنا- بروعة الرسائل، وتسلب منها روح النورسي بين ثنايا سطورها وتوزيع أفكارها بتوازن مسبوك. وهذا يقوم دليلا ساطعًا على أنك لا تستطيع أن تحافظ على ما أراده من الوصول في تدوين أفكاره بقلمه الذي ذاب فيه كيانُه المتشبع بآيات القرآن الكريم من خلال نبضات قلبه وجولات عقله ورقّة ما ينبعث منها من فكر دقيق ومنطق سديد وحركة متواصلة تدفع إلى العمل المنضبط الحكيم في طريق إحياء روح القرآن في نفوس المسلمين.

ثم إنك تستطيع أن تراجع (رسالة الاجتهاد) في الكلمة السابعة والعشرين لتعلم كيف صاغها الأستاذ بتفاصيلها مع أدلته عليها من غير أن ينقل آراء المجتهدين القدماء والمحدثين في الواقع الذي أصابه الغبش، بتركهم ضرورات الدين، والتوجّه تزلفا ونفاقا إلى اجتهادات تفتقر إلى الأصول الشرعية ومقاصدها، تسوغ سياسات اللادينيين التي تبنّوها لشرعنة انحرافاتهم وخروجهم على الأحكام الإلهية القاطعة من خلال فتاوى الدجالين الخيانية.

إن النورسي في هذه الرسالة الواقعية المدللة أراد أن يقطع الطريق على أزلام السلطة من وعاظ السلاطين قائلا: إن اجتهادات الصحابة الذين كانوا يمثلون قمة الكمال الإنساني ومن تبعهم الذين استنبطوا تلك الاجتهادات من الضروريات الشرعية أصولها وقواعدها تكفي لهذا العصر وزيادة.

فلا أدري هل تهذب هذه الرسالة الرصينة المسبوكة والتي تشكل وحدة موضوعية واحدة؟ أقول: لا يمكن أن تتجزأ، لأنه يؤدي إلى تمزيق التسلسل المركز المترابط في عرض فكرته الفقهية.

وإن أردت رجعت قليلاً إلى الكلمة العشرين التي ينطلق فيها الأستاذ لمعالجة معجزات الأنبياء بتقديم الآية الكريمة ﴿وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾[الأنعام:٥٩] لينتهي بعد تحليلات دقيقة إلى أن تلك المعجزات لها نوع من الإشارة إلى خوارق التقدم العلمي والصناعي، وأهم العلوم البشرية وصناعاتها ضمن دائرة أن كتاب الله المعجز فيه جميع ما يلزم للسعادة الدنيوية والأخروية، كل حسب قيمته

وأهميته، ويستخلص من كل ذلك أن القرآن العظيم حكيمٌ يعطى لكل شيء قدره من المقام ويرى القرآن العظيم من ثمرات الغيب التقدم الحضاري البشري قبل ألف وثلاثمائة سنة المستترة في ظلمات المستقبل أفضل وأوضح مما نراها نحن وسنراها.

فالقرآن إذن كلام مَن ينظر إلى كل الأزمنة بما فيها من الأمور والأشياء في آن واحد. فتلك لمعة من الإعجاز القرآني تلمع في وجه معجزات الأنبياء.[2]

ثم إقرأ الكلمة الثالثة والعشرين: حيث ينطلق من قوله تعالى ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ. ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ. إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾التين:٤-٦ ويبتعد عن التفسير الاصطلاحي كعادته ويدخل ذاتيًا شهوديًا مقاصديًا بتوجيه من أنوار انعكاسات الأسماء الحسنى في معالجة أوضاع الإنسان عندما يكون مؤمنًا وعندما ينحدر إلى الكفر، إذ بالإيمان يكون سعيدًا وبالكفر يدخل في شقاء أبدي. هذا عبر سلسلة من التحليلات الدقيقة بأدلة تحقق في إنسان (أحسن تقويم) وتدخل الآخر في ''أسفل سافلين''.

وذلك من خلال قصص جميلة يطابق فيها الواقع بالخيال، عبر تلاحق الأفكار وتزاحم الترابط بحيث لا تجد فيها لا هنا ولا في الذي سبقه ثغرة تتقدم منها إلى التهذيب أو الاختصار المخل.

- المفسرون السابقون على جلالة قدرهم وكثافة علومهم، لم يركزوا كثيرًا وجوهريًا على معاني القرآن واكتشاف جوانب من كنوره ومعارفه، وإنما شغلوا بإخراج الأدلة لتأييد مذاهبهم. فالتفاسير كانت ساحة واسعة لعرض أفكارهم واستعراض علومهم عبر استطرادات مملة، أي أنهم أخضعوا القرآن الكريم إلى مصطلحات علوم زمانهم التي تعلّموها، فبدل أن يوحد تفسير القرآن الأمة عبر التاريخ صار من دون أن يشعر هؤلاء الأجلاء سببًا لتمزقها وتفرقها عبر الخلافات المذهبية والصراعات الفلسفية والكلامية، بل والسياسية أيضًا، فضلاً عن الصدامات الدموية.

- عصر الإمام النورسي اختلف اختلافا جوهريا عن العصور السابقة، فعصور المفسرين السابقين لم تكن عصور فقدان الإيمان وترك الشرائع والأخلاق الإسلامية. وإنما كان الصراع داخل المجتمع الإسلامي سياسيًا بين الأحزاب وعربيًا بين القبائل القيسية والعدنانية وقوميًا بين العرب والفرس أو بين العرب والترك وغيرها من التراجعات عن وحدة الأمة التي رسخها القرآن الكريم.

بينما الصراع في زمن النورسي كان بين الإيمان والكفر الطاغي، لأن المسلمين بدأوا بالانسلاخ من منظومة الحضارة الإسلامية إلى منظومة الحضارة الغربية الطاغية في الحياة العقيدية والفكرية والاجتماعية والأخلاقية وغيرها. فمن هنا كانت الحاجة الماسة إلى انقاذ الايمان بمنهج قرآني شامل. فتوجه الإمام النورسي إلى القرآن وحده، مقروءًا أو منظورًا و ناطقًا، وقاده ذكاؤه الحاد وعبقريته الفذة وذوبانه الشعوري الغامر إلى استدعاء أنوار تجليات اسماء الله الحسنى وإدارة الصراع والحركة من خلالها عبر تحليلاته العميقة، وكان نتيجتها رسائله النورانية المباركة التي أيقظت أمة عظيمة في داخل تركيا، وستؤثر هذه الرسائل تأثيراً عالميًا واسعًا بإذن الله تعالى اذا تمت ترجمتها إلى اللغات الحية.

الخاتمة:

وبعد فإن هذه الرسائل القرآنية الربانية النورانية الموجهة إلى كيان الإنسان، مسلمين أو غيرهم ما زالت تحوي بين ثناياها كثيراً من الأسرار الإلهية والتطبيقات القرآنية التي ألهم الله تعالى عبده الصالح النورسي سواء في جانب العمق العقيدي والفكري أم في الجانب السَوقي (الاستراتيجي) أم في جانب منهج الدعوة (التكتيكي) التي لم تكتشف تمامًا على الرغم من عشرات الدراسات العلمية حولها في المؤتمرات العالمية التي أقامها تلامذته الأوفياء من طلبة النور سواء في تركيا أم في بلدان اخرى.

وفي رأيي أن المضي في الترجمة سيفتح المجال أمام الفلاسفة والمفكرين ورجال الدين في العالم من استخراج الكنوز المبثوثة في رسائل الإمام سعيد النورسي رحمه الله تعالى.

والحمد لله رب العالمين.

* * *

الهوامش

[1] الشعاع الرابع ص ٨٩.

[2] الكلمات: الكلمة العشرون، المقام الثاني ص ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩٣.

المؤتمرات والحلقات الدراسية

المؤتمر الدولي الحادي عشر لبديع الزمان سعيد النورسي

أقيم في إسطنبول من الأول حتى الثالث من شهر أكتوبر / تشرين الأول عام ٢٠١٧ المؤتمر الدولي الحادي عشر لبديع الزمان سعيد النورسي تحت عنوان : ''العمل الإيجابي البناء في ضوء الفرآن الكريم والسنة النبوية''. وكان من المقرر أن يعقد هذا المؤتمر في العام الماضي ٢٠١٦ ولكن تم تأجيله بسبب تداعيات محاولة الانقلاب الفاشل في تركيا.

وقد خصص اليوم الأول من المؤتمرللجلسة الافتتاحية التي عقدت في مركز الخليج للمؤتمرات صباح يوم الأحد الأول من أكتوبر. وقد تضمنت الجلسة تلاوة من القرآن الكريم والنشيد الوطني وعددا من الكلمات الرسمية وكلمات لعدد من الضيوف المشاركين في المؤتمر، وامتدت الجلسة على مدى أربع ساعات.

وعقدت الجلسات العلمية للمؤتمر في فندق توبكابي إريسين، وبلغ عددها ثلاثًا وعشرين جلسة عقدت في معظمها متوازية بواقع ثلاث جلسات في الوقت نفسه.وكان بعضها مخصصًا للغة العربية وقسم للغة الإنجليزية وقسم متعدد اللغات، وتم توفير الترجمة الفورية في قاعتين من القاعات الثلاث للمؤتمر. وألقيت بحوث باللغات الثلاث: التركية والعربية والإنجليزية.

وقد أبدى كثير من الباحثين من شتى أنحاء العالم رغبتهم في المشاركة في المؤتمر من خلال إرسال ملخصات البحوث ثم إرسال البحوث الكاملة التي بلغت عدة مئات، وكان الكم الأكبر من هذه البحوث المكتوبة بالعربية من الجزائر والمغرب والعراق، وقد شكلت لجان للنظر في البحوث وترشيح ما يلقى منها في المؤتمر، وقد راعت اللجان أن تعطى الأولوية في المشاركة للباحثين الذين لم يشاركوا من قبل ، هذا إضافة إلى أصالة البحث وتقيده بالمعايير العلمية وصلته بموضوع المؤتمر، ولم يكن عدم اختيار البحوث حكمًا سلبيًا على البحث أو الباحث. وشارك في المؤتمر مئة باحث من سبع وعشرين دولة. وفي مجال البحوث المكتوبة باللغة العربية بلغت

أربعين بحثا جاءت من خمس عشر دولة، وكان العدد الأكبر من كل من الجزائر (تسعة بحوث، ثلاثة من المشاركين يعملون في المملكة العربية السعودية) والعراق (ثمانية بحوث) والمغرب (ستة بحوث)، ومن مصر (أربعة بحوث أحدها لأستاذ يعمل في باكستان)، ومن الهند (ثلاثة بحوث) ومن الأردن وتونس وإندونيسيا (بحثان من كل منهما)، كما ورد بحث واحد من كل من:السودان ولبنان وبنغلاديش وأوغندا وباكستان وماليزيا (والمشارك من ماليزيا أردني يعمل فيها).

وأما البحوث المكتوبة باللغة الإنجليزية فقد وردت من خمسة عشر بلدًا وبلغت ثلاثة وثلاثين بحثًا: من الهند (ستة)، ماليزيا (خمسة) ، بريطانيا (أربعة)، بنغلاديش وأوكرانيا (ثلاثة)، البرازيل وفرنسا (بحثان) ، وبحث واحد من كل من: بوتسوانا وفنلندة وباكستان والولايات المتحدة وكينيا وإندونيسيا والفلبين ونيجيريا. وقدمت ثلاثة باحثين الأتراك بحوثهم باللغة الإنجليزية.

وبلـغ عدد البحوث المكتوبة باللغة التركية عشرين بحثا من مختلف الجامعات التركية.

وقد أقيمت للمشاركين في المؤتمر أنشطة سياحية ومنها جولة بحرية أطل المشاركون فيها على إسطنبول بشقيها الأوربي والآسيوي. كما أقيمت لهم دعوات عشاء تكريمية تحدث فيها مشاركون أتراك ومن الضيوف.

وشارك في حضور جلسات المؤتمر الباحثون الأكاديميون الشباب الذين يعدون رسائل جامعية في رسائل النور، وقد عقد ملتقاهم الثامن قبيل انعقاد المؤتمر من ٢٥– ٢٩ أيلول / سبتمبر، وشارك الباحثون الناطقون بالإنجليزية في إلقاء أوراق بحثية حول الرسائل في قاعة خصصت لهم. .

تقرير الندوة الدولية الثامنة للأكاديميين الشباب ٢٥-٢٧ من سبتمبر (٢٠١٧)

نظمت مؤسسة إسطنبول للثقافة والعلوم المؤتمر الثامن للأكاديميين الشباب في الفترة الممتدة ما بين ٢٥– ٢٩ أيلول، سبتمبر ٢٠١٧، وقد نظّم اللقاء بإشراف مديره الأستاذ الدكتور مأمون جرار، شارك فيها باحثون من مختلف البلاد الإسلامية، وساهم في تسيير وتأطير أشغال الملتقى ثلّة من الأساتذة الجامعيين من مختلف المؤسسات العلمية من البلاد المشرقية والمغاربية وهي على التوالي: الجامعة الإسلامية العالمية، قسم العقيدة والفلسفة، إسلام أباد، باكستان، وكلية الإمام الأعظم الجامعة، العراق،

جامعة الجزائر٢ أبو القاسم سعد الله (وقسم الفلسفة، كلية العلوم الإنسانية)، وجامعة الأزهر أسيوط، مصر (كلية اللغة العربية، قسم البلاغة والنقد)، وجامعة صلاح الدين أربيل، العراق (كلية العلوم الإسلامية)، وجامعة بن الزُهر، أغادير، وجامعة الجزائر١ بن يوسف بن خدّه (كلية العلوم الإسلامية)، وجامعة سونان كاليجاكا الإسلامية الحكومية يوكياكرتا، إندونيسيا.

استهل الافتتاح يوم الاثنين ٢٥ أيلول، سبتمبر ٢٠١٧ على الساعة التاسعة والنصف صباحا بتلاوة آيات بيّنات من الذكر الحكيم، وحضر إلى جانب الأستاذة المؤطرين الأستاذ إحسان قاسم الصالحي والأستاذ كنعان دمرداش، والأستاذ سعيد أوزدالي، وبدأت الأشغال بعد الافتتاح مباشرة في شكل جلسات علمية، خصصت منها لهذا اليوم جلستان، الأولى بعرضين من ٩:٣٠ إلى ١١:٣٠ كلّف برئاستها أ.د. عمار جيدل، استهلت الجلسة الأولى بالباحث عمر الفاروق أبو بكر من الجامعة الإسلامية الإندونيسية، إندونيسيا. وقدّم فيه عرضا عن مشروع رسالته لنيل دكتوراه علوم في العلوم الإسلامية، واختار له العنوان الآتي: فقه مقاصد الشريعة الإسلامية وتطبيقاتها العملية عند بديع الزمان سعيد النورسي والشيخ محمد الطاهر ابن عاشور. (دراسة تحليلية مقارنة)، وقدّم الباحث أيريس رزمة الله: الجامعة الإسلامية العالمية، قسم العقيدة والفلسفة، إسلام أباد، باكستان. تعريفا مختصرا بمشروع رسالته المقدّمة لنيل ماجستير في العقيدة والفلسفة، وكان عنوان بحثه: ''النبوة في فكر الإمام النورسي (دراسة تحليلية في ضوء الكتاب والسنة).''

حظي الباحثان بملاحظات عميقة ودقيقة للسادة الأساتذة انصبت على الناحية المنهجية والدراسات السابقة فضلا عن التعمّق في موضوع الدراسة، وكانت تدخلات الطالبين غنية بالإيحاءات الدالة على الاستفادة من الملاحظات وطلب الاستزادة منها, ورفعت الجلسة لاستراحة قصيرة، واستئنفت الأشغال في الجلسة الثانية من الساعة ١٢:٠٠ إلى ١٣:٠٠، وكلّف برئاستها أ.د. عبد الكريم عكيوي، قدّمت فيها الباحثة مها غانم الشريف من كلية الإمام الأعظم الجامعة، العراق، تعريفا مختصرا برسالتها المقدّمة لنيل الدكتوراه في العلوم الإسلامية، والتي شكّلت لجنة الحكم عليها ووزّعت على أعضاء لجنة المناقشة (لجنة الحكم)، واختارت لها العنوان الآتي: ''رسالة دكتوراه: فكر بديع الزمان النورسي في الخطاب العربي المعاصر.'' وقد ناقشها السادة الأساتذة من مختلف الجوانب بدءًا من العنوان وانتهاء بالخاتمة والتوصيات مرورا

بالدراسات السابقة وبالنظر في المناهج والمضامين، وأقرّت الباحثة بعمق الملاحظات وأهميتها في تطوير بحوثها القابلة.

استئنفت أشغال الملتقى بلقاء مفتوح دام أكثر مما كان مقررا له من الوقت إذ انتهى على الساعة السابعة مساءً، بينما كان مقررا توقيته من ١٧:٠٠ إلى ١٨:٣٠، أسندت إدارته لـ أد عمار جيدل، كان الغرض من هذا اللقاء المفتوح الخروج عن المألوف في العلاقات الأكاديمية بين المشرفين وأعضاء لجان الحكم (المناقشة)، بقصد إسعاف الطلبة وتدريبهم على المناقشة والقراءة الهادفة فضلا عن الدقّة العلمية المطلوبة في الدراسات الأكاديمية، ويعدُّ اللقاء المفتوح فرصة للتدريب على المناقشة العلمية الهادئة والهادفة، وهو في الوقت نفسه تدريب على الاعتراض المؤدّب على الفكرة والفكرة المقابلة، ودعوة صادقة للمطالعة الدائبة لمشروع الرسائل والدراسات العلمية، فقد كانت الرغبة ملحّة في تحويل اللقاء إلى لقاء ودّي يتّسم بالصرامة العلمية في أحسن صورها وأكملها.

وبرمجت بعد صلاة العشاء جلسات مع رسائل النور دامت ساعة كاملة من ٢١:٠٠ إلى ٢٢:٠٠، وقد أطّرها وسيّرها أ.د مأمون جرار، قدّم خلالها مقتطفات من نصوص رسائل النور للتدريب على قرءاتها والتدبّر في معانيها.

كان اليوم الثاني (الثلاثاء ٢٦ أيلول، سبتمبر) من الأشغال العلمية ثريا، فعقدت فيه جلستان كلّف برئاسة الجلسة الثالثة د. أميد المفتي ودامت من ٠٩:٣٠ إلى ١١:٣٠، وقدّم خلالها باحثان مشروعيهما، فكانت البداية مع الباحثة حورية بن سعدي من قسم الفلسفة، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر٢ أبو القاسم سعد الله، وعرضت فكرة مشروع تطمح في تقديمه لنيل دكتوراه في الفلسفة، ووقع اختيارها على ''النورسي وإشكالية أبعاد الإشارات العلمية في الطبيعة'' وقد حظيت الباحثة بتدخلات الطلبة والأساتذة في صميم أطروحتها، فكان للمنهج نصيب وافر كما كان للتعليق على العنوان نصيب أوفر، فضلا عن الوقوف عند تضاعيف البحث ومصادره والمناج المستثمرة في إنجازه، بعدها قدّم الباحث عصام عطية من كلية اللغة العربية، قسم البلاغة والنقد ، أسيوط، جامعة الأزهر، مصر. تعريفا مختصرا عن مشروعه الموسوم بـ: كتاب إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز للنورسي، تأصيلا ودراسة، والمقدّم لنيل ماجستير في التخصص المشار إليه، وقد كان الباحث محظوظا بما قدّم له من تعليقات

علمية دقيقة تعلّقت أساسا بالعنوان والمناهج والقضايا ذات الصلة، وخاصة الدراسات السابقة التي تصب في صلب الموضوع، وما يستدرك عليها بعد الاطّلاع على المراجع المشار إليها، ووقف الباحثون مليًّا عند مصطلح التأصيل واختيار كتاب عنوانا لبحث، ويرى المتدخلون ضرورة التدقيق في شأنه.

عقدت الجلسة الرابعة من ١٢:٠٠ إلى ١٣:٠٠ وكلّف برئاستها أ.د.عبد الكريم عكيوي، قدّم فيها الباحث زياد صالح من جامعة صلاح الدين، كلية العلوم الإسلامية، أربيل، العراق. عرضا أوليا عن مشروعه لنيل دكتوراه في علوم الحديث والموسوم بـ التأويل في رسائل النور – دراسة من خلال السنّة النبوية، وقد كانت تعليقات السادة الأساتذة في غاية الدقّة طلباً للتدقيق في المصطلحات التي عليها مدار البحث، وخاصة مصطلح التأويل الذي يحتاج إلى تحريره كما ورد في رسائل النور، فضلا عن الخطة المقترحة والموقف من الدراسات السابقة.

بعد جلسة الاستراحة انتقل المؤتمرون إلى اللقاء المفتوح الذي استمر كما كان مقررا من ١٧:٠٠ إلى ١٨:٣٠، وقدأطّر هذا اللقاء العلمي المثمر فضيلة الأستاذ الدكتور عبد الكريم عكّيوي، عرض فيه تجربته الثرية في التعامل مع رسائل النور دراسة وتفهّما ثم تدبّرا، فقد كان المدخل إلى رحابها من باب التعرّف على حاضر العالم الإسلامي، وشدّته (جذبته) تلك الرسائل إليها، فأصبحت مادّة علمية رائدة وثرية في تقريب المعارف والربط بالأفق الأعلى الذي تشرئب إليه النفوس العليّة والقلوب النقية، فهو درس عملي للترقي والتدرّب على التدبّر.

خصصت الفترة الموالية من الساعة ٢١:٠٠ إلى الساعة ٢٢:٠٠ لجلسة مع رسائل النور كلّف بتأطيرها الدكتور فرهاد الشواني، وقد أجاد الأستاذ في تقديم أنموذج التدرّب على التدبّر في مضامين رسائل النور، ونظر في المسالك المنهجية في تناول الحقائق الإيمانية، وقد كان لهذا اللقاء دور في شحذ همم الباحثين الشباب، فكانت قراءة النص النوري فرصة للتعمّق المعرفي والمنهجي، ونوع تنبيه عملي إلى جملة المعارف المحتاج إليها في تفهّم النص.

أما اليوم الثالث من المؤتمر (يوم الأربعاء، ٢٧ أيلول، سبتمبر) فقد خصصت للجلسة العلمية الخامسة التي استضافت الأستاذ علي قطؤز، الذي شارك في الجلسة الصباحية مستمعا لعرضين استمرا من ٩:٣٠-١١:٣٠ وكلّف بإدارة الجلسة رئيسها

الدكتور فرهاد الشواني، تقدّم فيها الباحث محمد لطفي الأنصاري من جامعة سونان كاليجاكا الإسلامية الحكومية يوكياكرتا، إندونيسيا. بمشروع بحث لنيل دكتوراه في التفسير عنوانه: قضية الفقر وعلاجها من المنظور القرآني، (دراسة في فكر سعيد النورسي وآثاره في تركيا)، وقد تفضّل الأساتذة بمناقشة المشروع مناقشات مستفيضة، علّقوا فيها على فكرة المشروع وخطّته وعنوانه من خلال التعليق على المصطلحات المفتاحية في البحث، وخاصة تلك المشار إليها في العنوان، فضلا عن التنبيه إلى الدراسات السابقة ومظان البحث، وقد نبّه الأساتذة إلى فكرة حشر دراسة الآثار ضمن هذا المشورع، إذ لا تتوافق مع طبيعة الدراسة والتخصص الذي رام الباحث نيل الدرجة العلمية فيه، زيادة إلى مسالك دراسة الآثار. ثم جاء دور الباحث شاخوان شعبان من جامعة صلاح الدين، قسم الشريعة. أربيل، العراق. والذي قدّم ملخّصا مركّزا عن بحثه الذي أجيز بعد مناقشته في الجامعة المذكورة أعلاه، وقد كانت المناقشات عميقة ودقيقة تناولت التدقيق في العمل المنجز ومنهجه وخطته المغرقة في التفاصيل، وقد أبان الباحث عن نفس طويل وقدرة على التعبير عن مراده، واقترح على الباحث التحقق من معاني وابعاد مصطلح الفقه رسائل النور، ذلك أنّه أكبر من أن يقصر على التعريف الاصطلاحي المتداول في درس الفقه (فقه الفروع).

استأنف المؤتمرون اشغالهم في الجلسة السادسة من الساعة ١٢:٠٠ إلى الساعة ١٣:٠٠، وكلّف برئاستها الدكتور أشرف عبد الرافع الدرفيلي، وألقي خلالها عرض واحد قدّمته الباحثة أسماء أبوطالب من قسم الفلسفة، تخصص فلسفة العلم والحضارة، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر٢، أبو القاسم سعد الله ، الجزائر، وهو مشروع فكرة موضوع لنيل دكتوراه نظام جديد، مالت الطالبة في إطار تصوّر أولي إلى عنوان: فلسفة الحضارة بين بديع الزمان سعيد النورسي ومالك بن نبي دراسة تحليلية نقدية مقارنة. وكان نصيبها كبيرا في المناقشة، استوعبت مناقشات الأساتذة التدقيق في العنوان والمصطلحات المفتاحية اليت تضمّنها (فلسفة، الحضارة) فضلا عن الشخصيتين، وقد اختار كثير من المتدخلين من الطلبة والأساتذة إلى الاكتفاء بشخصية واحدة منهما، عوض المقارنة بين شخصيتين بمعطيات متباينة في المضامين والمسالك المنهجية والروافد المعرفية، لهذا اقترح على الباحثة عنوان تحوم حول أصول التحضر، أصول الحضارة، حكمة الحضارة...

عقدت بعدها الجلسة السابعة وخصص لها وقت من الساعة ١٧:٠٠ إلى ١٨:٣٠ كلّف برئاستها أ.د عمار جيدل، وشارك باحثان، أولهما الباحثة – رزيقة زراولية من قسم الفلسفة، تخصص فلسفة العلم والحضارة، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر٢، أبو القاسم سعد الله.، الجزائر، وقدّمت خلالها عرضا عن مذكرتها (التي نوقشت) لنيل ماستر فلسفة والتي كان عنوانها: ''المنهج العلمي في رسائل النور.'' وقد نوقشت المذكرة مناقشة مستفيضة ركّز فيها الأساتذة على المصطلحات المفتاحية في عنوان المشورع (المنهج، المنهج العلمي) ذلك إنْ ورد مصطلح (العلمي) من غير متعلّق انصرف إلى تخصص علمي مخصوص، أما إن ورد مع متعلّق فهو يرد في حق ذلك المتعلّق (المنهج العلمي لدراسة التاريخ مثلا)، وختمت الجلسة بعرض الباحث بلال فضل من الجامعة الإسلامية العالمية، قسم العقيدة والفلسفة، إسلام أباد، باكستان. وقدّم عرضا مختصرا عن رسالته المقدّمة لنيل الماجستير الموسومة بـ ''قضية الحشر عند بديع الزمان سعيد النورسي، دراسة تحليلية في ضوء الكتاب والسنة.'' وهو عمل على مشارف تقديمه للجنة الحكم، وحظي البحث بتعليقات تناولت تفاصيله وعنوانه والمناهج المستفاد منها في إنجازه، وسجّل الأساتذة تحفظا على خطة البحث إذ لاحظوا تداخلا بين الفصل التمهيدي والفصل الأول، كما نبّهوا إلى بيان مبررات التفصيل في ذكر المذاهب الفكرية في مسألة الحشر وموقف النورسي منها، فضلا عن لفت نظر الباحث إلى بعض موارد الموضوع وخاصة مقاصد القرآن الكريم في رسائل النور.

واستأنف المشاركون أشغال اليوم الثالث من ٢١:٠٠ إلى ٢٢:٠٠ بجلسة مع رسائل النور قدّم فيها الأستاذ مأمون جرار مسالك التدبّر في رسائل النور والقراءة الأمثل المتوافقة مع موازين البحث العلمي الرصين، واللقاء نوع دربة تدبّرية على التعامل نصوص الرسائل.

وختمت الجلسات العلمية والتوجيهية بجلسة ختامية تلي فيها التقرير النهائي والكلمة الختامية، وكان ذلك يوم الخميس ٢٨ من سبتمبر أيلول ٢٠١٧ على الساعة العاشرة صباحا.

التوصيات: بناء على ما ورد في ملاحظات الأساتذة وتعليقاتهم، انتهى اللقاء العلمي الثامن إلى التوصيات الآتية:

١- تعد القراءة الكاملة لرسائل النور من أنفذ مسالك التعمّق فيها والانتفاع بها.

٢- يفترض في الراغب في الاستفادة من رسائل النور أن يركّز على القراءة التدبرية عوض القراءة الكمية، فعدد قليل من الصفحات المفهومة أولى وأجدى وأنفع من قراءة الكتاب كلّه.

٣- التركيز على ما له صلة مباشرة بموضوع الدراسة مطلوب، ولكن هذا لايغني عن ربطه بشبكة المعارف ذات الصلة من جهة، وربطه بالنظرة الكلية لرسائل النور من جهة أخرى، فلا يستغنى من اختار الكتابة عن موضوع عن النظرة الكلية للنص والرؤية التي تحكم النص نفسه.

٤- التحقق من المناهج العلمية والتمرّس بها والتحكّم في أدواتها بعد معرفة المناهج الأفيد في المشروع المختار.

فريق تأطير الندوة: شارك في تأطير الندوة السادة الأساتذة الأفاضل الآتية أسماؤهم:

مأمور جرار الأردن مدير الملتقى، وعمار جيدل الجزائر١، وعبد الكريم عكيوي المغرب، وأشرف الدرفيلي مصر، وفرهاد الشواني العراق، أميد المفتي العراق، إحسان قاسم الصالحي تركيا

زيارة جامعات غجرات – مومباي، الهند

قام وفد من مؤسسة إسطنبول للثقافة والعلوم في٢٤-٢٠١٧/١٠/٣٠، بزيارة عدد من جامعات إسلامية في ولاية غجرات. كان مستهلها استقبال أساتذة من الجامعات في مومباي، ثم زيارة مؤسسات تابعة ''للجامعة الإسلامية إشاعة العلوم في اكل كوا'' منها كلية الطب الحديث ومستشفى النور[1]

عقدت الندوة الأولى في (جامع اورنغ أباد)[2] وكان الحضور حاشداً يتقدّمهم أساتذة مدرسة ''كاشف العلوم'' وطلابها. وأقيمت بعد المغرب ندوة حضرها أعيان المدينة ووجهاؤها ووزراء وأطباء وصحفيون. ثم عقد حفل حضره أكثر من ألفين من طلاب العلوم الإسلامية مع أساتذتهم من العلماء...[3] وبعد المغرب عقدت ندوة علمية حضرها طلاب الكليات العصرية وأساتذتها ومسؤولين من المدينة.[4]

زيارة (الجامعة القاسمية كهرود) حضر الندوة ما يقرب الالف طالبًا مع هيئة التدريس كاملة. ثم زيارة (جامعة فلاح الدارين تركيسر). وألقى خلالها الطلاب والأساتذة من الوفد كلمات، انتهت بحوارات.

عقد ندوة في مدينة (سورت) حضرها أعيان من المدينة. وقد عبّر أحد الحاضرين عقبها قائلا: ''لو عُرّف الإسلام بهذا الأسلوب لدخلت أوروبا كلها في الإسلام''.

ثم كانت ندوة ليلية فى أقدم جامعة إسلامية فى غجرات (جامعة دابهيل)[5] ختم أخيرا بحفل عام في مومباي حضره كبار التجار والمثقفين والصحفيين.

* * *

الهوامش

[1]- يعالج يوميًا ألفًا من الرجال والنساء مجانًا دون تمييز بين الأديان.

[2] - بناه الملك الصالح اورنـغ زيب قبل أربعة قرون.

[3] - واختتم الحفل بدعاء الشيخ غلام الوستانوي (مؤسس الجامعة الإسلامية إشاعة العلوم اكل كوا)، ثم زار الوفد المكان الذي بدأت منه هذه الجامعة بـ (٦) طالبًا ومعلم واحد سنة ١٩٧٩.

[4] - توجه الوفد في اليوم التالي إلى مدينة (اودودرا). وفي الطريق تشرفوا بلقاء الشيخ عبدالله الكافودروي الغجراتي الذي أهدى كتابه القيّم ''أضواء على الحركة التعليمية في غجرات'' وبالمقابل أهدى الأستاذ إحسان مجموعة كاملة لرسائل النور ومطبوعات أخرى من مؤسسة اسطنبول للثقافة والعلوم. ثم عقدت الندوة العلمية فى (اودودرا غجرات).

[5] - درّس فيها الشيخ أنور الكشميري.

معلومات عن النشر في المجلة

١. تنشر المجلة البحوث الأصيلة (تنشر أول مرة) المنجزة في الدراسات الحضارية والفكرية بمعناه العام.
٢. تسعى المجلة إلى نشر البحوث والدراسات المتوافقة مع العمل العلمي الجدي المتجلي في وضوح المقاصد والأهداف، ودقة المنهجية.
٣. لا ترى المجلة مانعا من نشر الدراسات التأصيلية في ميادين الدراسات الفكرية والحضارية، وخاصة إن حازت عناصر الجدة والدقة.
٤. ترحب المجلة بالبحوث المقارنة سواء تعلّقت بالدراسات المقارنة في ذات الفضاء الفكري أو من فضاءين مختلفين أو من فضاءات متعددة.
٥. تعمل المجلة على تشجيع الدراسات والبحوث النقدية الواضحة المقاصد الملتزمة بآداب الحوار والنقاش، المتقيّدة بالمنهجية العلمية.
٦. تشجع المجلة على التعريف بأعلام الفكر والدراسات الحضارية، لهذا تتبنى خدمة هذا الهدف بنشر الدراسات المعرّفة برجالات الفكر ولاسيما الشخصيات العلمية التي لم تحظ بالتعريف بالقدر الكافي.
٧. تخدم المجلة الباحثين الناشئين وتشجّع دراساتهم المنجزة، وتقدّم ملخصات مركّزة عن أعمالهم المقدّمة لنيل الدرجات العلمية الأكاديمية.
٨. تنشر المجلة بعنوان المقالات المحكّمة التغطية الجيّدة لأعمال المؤتمرات والورشات أو الأيام الدراسية العلمية الحضارية والفكرية.
٩. تنشر المجلة بعنوان الدراسات الأكاديمية، البحوث المنجزة في التعريف بالكتب النوعية في ميدان الدراسات الحضارية والفكرية، يقدّم فيها الباحث أهم عناصر الكتاب وأهم النتائج التي خلص إليها، مع بيان المآخذ التي سجّلها على الكتاب.
١٠. تعرض الدراسة أو البحث المقدم للنشر على محكّمين من أهل الاختصاص، تختارهم إدارة المجلة، ويُلْزَم صاحب العمل المقدّم بإعادة النظر في بحثه أو دراسته في ضوء الملاحظات المقدّمة له.
١١. يمنح صاحب البحث نسخا (عدة مستلات) من بحثه المنشور، فضلا عن عدد من المجلة التي نشر بها بحثه.
١٢. تحتفظ المجلة بحق نشر العمل المنشور في كتاب أو بشكل مستقل، بلغته الأصلية أو مترجما.
١٣. البحوث والدراسات التي وصلت المجلة لا ترد إلى أصحابها سواء نشرت أو لم تنشر.
١٤. ترسل البحوث والدراسات على العنوان الإلكتروني للمجلة editor@nurmajalla.com بشرط أن لا يزيد حجمها عن ٤٢٠٠٠ حرف (مع الهوامش والفواصل).

عنوان التوزيع

عبد الكريم بايبارا kerimbaybara@gmail.com
شركة سوزلر للنشر
٣٠ شارع جعفر الصادق – الحي السابع
مدينة نصر– القاهرة – جمهورية مصر العربية
تلفون + فاكس: ٩٣٨ ٦٠٢ ٢٢ (٢٠٢+)

Kalendarhane Mahallesi, Delikanli Sk.
No: 6, VEFA 34134 Fatih
ISTANBUL – TURKEY
Tel: +90 212 527 81 81 (pbx)
Fax: +90 212 527 80 80
info@nurmajalla. com
www. nurmajalla. com

Contents

Editorial

- Prof. Dr. Amar Djidel: Introductory Note 3

Miscellaneous Studies

- Dr. Hani Isma'il Muhammad: Nursi's Prison Writings: Their Educative and Ameliorative Value: A Study on the Analysis of Discourse 9
- Dr. 'Arif As'ad Jum'a: Imam al-Ghazali's Educational Principles in His Treatise *The Way of the Student* 31

Dossier: Fiqh and Qur'anic Studies

- Prof. Dr. Hasan Khalid Mustafa Mahmud al-Mufti: Ustad Bediuzzaman Said Nursi's Way Between Sectarianism and Non-Madhhadbism (A Study on the Principles of the Aims of the Shar'īa) 53
- Aras Hame Amin 'Uthman (Research Scholar): The First Principles of *Fiqh* in the Thought of Bediuzzaman Said Nursi: The Principles of Religious and Social Reform in the Risale-i Nur: An Analytical, Thematic Study 107
- Dr. Rashid Kuhus: The Laws of Divine Practice and Their Positive Effects in Building a Better World: A Study in the Thought of Imam Bediuzzaman Said Nursi 137
- Dr. Idris al-Tarkawi: Nursi's Views on Mystical Exegesis in Its Entirety: Fundamentals and Aims 149

Publications and Conferences

- Publications and Scholarly Activities 175
- Conferences and Study Circles 182

- Information on Publishing Papers in al-Nur 192
- Contents / Annual Subscriptions 193

Only papers conforming to academic standards will be considered for publication